أزهار الحديقة

للعارف الكبير ، والعلَم الشهير ، بحر المعارف ، وكنز اللطائف
الحسيب النسيب ، سيد كل أديب عاصره وخطيب ، العلامة الفهامة
السيد محمد أبي الهُدى الصيادي الرفاعي الحسيني الحسني الخالدي

رضي الله عنه وقدس سره

يم ذوي الحق واعرف قدر رُتبتهم ... لم يُدمج العطرُ في كل الرياحين
في الخَلق كالناس لكن في خلائقهم ... طوّرُ الملائك عن أطوار تمكين
لله ذُلوا وقد عزّوا يُشام بهم ... ذُلُّ الساكين في عز السلاطين

* * *

التزم تحقيقه وتدقيقه ، ثم ماشيّده المؤلف برحبه ووارثه روحاً شقيقه
القائم بنشر العلم والحال المحمدي ، ورافع لواء الطريق الرفاعي الأحمدي
سيدنا صاحب الفضيلة والعرفان ، الشيخ محمود الشقفة أبو عبد الرحمن

رضي الله عنه وقدس سره

عني بتنظيم أصله وفرعه ، وترجم المشتغلين بربعه ، بعض اخوان محققه وزرعه

فضيلة الشيخ	فضيلة الشيخ	الشهم العصامي
السيد محمد الحريلي الصيادي	مصطفى التركاني	محمد سليم الحمامي

فناشر تُراث سادات واسط

عبد الحليم بن سليم عبد الباسط

قام بطبعه السادة الأفاضل إبراهيم عبد القادر موسى عبد العال الرفعي
محي الدين عثمان ، محمد سعيد البقامي ، الأستاذ مصطفى التركاني وابنه البار

﴿ الفذلكة الأُولى ﴾

تترجم حال المؤلف الصادق ومقامه الأجلى
رضي الله عنه وقدس سره

هي من نظمه ولطيف كلمه ، اختار وضعها هنا الناشر خويدم مظهر هديه القائم برحابه ، ووارث جنابه ، مُحقق قصده ، ووارث حمته ومجده ، رضي الله عنهما ، وأماتنا على حبهما :

حللتُ رُموزاً من علوم شريفة ... نأت رُتبة والسر منها مُطلسمُ
وأوضحت أسرار المعاني التي خفت ... بعصري ويرضى ذاك لو يتكلمُ
بفلسفة لم يُخطئ الشرع حُكمها ... عليها بعالي حُكمه يتحكمُ
آيات عرفان يُرتّل نصها ... لسان له التحرير في البحث يُفحمُ
يزُّ عُقوداً من جواهر حِكمة ... عن الفضل والعلم الوسيع تُترجمُ
وقائلة : ما بال حظك نائمٌ ... فقلت : حظوظ السادة الغُرّ نُوّمُ
فقالت : ألم يُدفع بعلمك نومه ... فقلت لها للشك : اللهُ أعلمُ

* * *

وقال رضي الله عنه :

قيل : بعد الغلا ونيل الأماني ... بلت عيش الكفاف لا بالرخاء
قلت : هذا دعاءُ خير البرايا ﷺ ... وأبو الآل مُستجاب الدعاء[1]

* * *

---

(١) يشير الناظم رضي الله عنه لدعاء النبي ﷺ « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا » وفي رواية : قوتا .

﴿ الفذلكة الثانية ﴾

تصف للعامة لطافة الأزهار ، ورياض نضرة نسيم صباها معطار ، وتشرح للخاصة بلسان الحقيقة : ما تحكيه ألسنة حال أزهار الحديقة فن أجلّ وأجل ما ترجم عنها السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس ـ رضي الله عنه ـ في مثل هذه المناسبة اللائقة بهذا الكتاب قوله :

طفح البر بالأزاهر هذا ... ماد لطفاً وذاك هزّ اهتزازا
واتجلى آخرّ بطرزٍ لطيفٍ ... عزّ في رونق الجمال طرازا
كلها وحّدت وبالله هامت ... بفنون حقيقة وعجازا

* * *

وترجم المؤلف رضي الله عنه بقوله :

حبك الزهر في الرياض فأبدى ... من نسيم الصبا لنا أرجازا
جاءنا من عفيفه بعبانٍ ... أخذت للقلوب منا مجازا
كلها ذاكرٌ بنطقٍ خفيٍّ ... مُظهر من رموزه ألغازا
عرف العارفون معناها لما ... ركبهم هذه العوالم جازا
يفهم السر من طوى الكون عبدٌ ... طرح الكمّ أهل الأحيازا
فإذا قام غاب عن كل شيء ... وإذا نام صحح الإيجازا
هام من هبّة النسيم على الرو ... ض وخلّى الفاني وبالله فازا
بالقوم بالله طابوا وغابوا ... فيه ذلاً فغوّضوا الإعزازا
ولعمري من عامل الله بالإخـ ... ـلاص لاشك بالجميل يُجازا
هاهم القوم حين هاموا بحب الـ ... ـله صارت أسماؤهم أحرازا

* * *

﴿ نصيحة صحيحة ﴾

لقوله صلى الله عليه وآله وسلم

« الدين النصيحة »

لا نقول للمرتاب : اقرأ للقناعة جميع ما بين دفتيّ الكتاب بل نقول له : اقرأ ما وضعه الناشر على دفّتيه وما اختاره فذلكة وما قدم به قبل بدء الكتاب فيزول ما عنده ـ إن شاء الله تعالى ـ من الشك والارتياب ، ورحم الله القائل :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل

* * *

هذا إذا كان المتردد المرتاب جاهلاً بشأن المؤلف نزيه الجناب ، أما إن كان تردده عن حسد وغرور قلّد فيها عدوّه إبليس الغرور ، فليس لدائه دواء ، وتستحيل بُرؤه من فتك تلك الأدواء ، بيّن ذلك بقوله السيد محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس لوارثه السيد المؤلف رضي الله عنهما :

خُذ إثر سر الكائنات محمد ﷺ من شرفت بجنابه الأسماءُ
وافتح عيون السالكين بهمة فيها لنور جنابه إيماءُ
واترك صنوف الحاسدين بدائهم ما للحواسد يا أبيّ دواءُ
يتلوّنون مع الهوى لضلالهم طيشاً كما تتلوّن الحرباءُ
عقد العناد غُبارهم فتوسّدوا لُجج العناد وكلهم سُفهاءُ
غمزوا الشريعة بالنقم عقولهم وبزعمهم جهلاً هُمُ العُرفاءُ

* * *

﴿ المقدمة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يستحق الحمد حقيقة على نعمة سواه ، والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على أشرف خلقه سيدنا محمد النبي الأمي حبيبه ومصطفاه ، القائل : « إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا » وعلى الآل البررة الكرام وفي مقدمتهم باب مدينة العلم ، أمير المؤمنين ، سيد العرب فضلاً عن الأعجام ، حيدرة الكرار في أعظم وأهم معارك فتوحات الإسلام ، المرشد إلى ترويح النفوس بعد تهذيبها بقوله : ان هذه النفوس لتملّ كما تملّ الأبدان فالتمسوا لها طرائف الحكمة . وعلى الصحابة الغُر اليامين الجهابذة الأعلام ، المترنم حاديهم بلسان قاصيهم ودانيهم بين يدي أُستاذهم ومربيهم سيدنا رسول الله ـ عليه أفضل صلوات الملك العلام ـ بقوله :

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينة علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا

* * *

وعلى الأئمة المجتهدين مَنْ أجمعوا على إباحة السماع إلى السحر الحلال اتّباعاً لنبيهم المشرّع ﷺ مُحلل الحلال ومُحرم الحرام ، وعلى سائر العلماء العاملين الناصحين لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم دون مُواربة أمام مخلوق ولا انهزام ، وعلى السالكين في طلب العلم إثرهم المتخلقين بأخلاق الصحابة

الذين قضوا نحبهم السابقين الشهداء ، والمنتظرين بوقتهم الثابتين على الحق مَنْ نشروا العلم والفضيلة وأعزّ الله بهم الإسلام فكانوا الهُداة السعداء ، وعلى كل مَنْ دان لله تعالى على ما شرع له في المِلّة الحنيفية السمحاء .

أما بعد فقد أكرمنا الله تعالى بأن نقوم بطباعة هذا الديوان المنتقى المختار من خلاصة كُتب أدب الشريعة والحقيقة ، والذي حَقٌّ لمؤلفه ـ العلاّمة الكبير ، والجهبذ النحرير ، الأديب اللبيب ، والكاتب الأريب ، شيخ الإسلام ، وأستاذ الأعلام ، سيدنا ومولانا السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي الحسيني الحسني ثم الخالدي رضي الله عنه أن يسميه ـ نظراً لما استودع فيه من جواهر النظم والتحقيقات الدقيقة ـ بـ (أزهار الحديقة) فإن لكل مُسمى نصيباً من معنى اسمه ، وقد وجدنا نصيب هذا الديوان من معنى اسمه المعنى بكامله ، ولما علم الله سبحانه وتعالى رغبة أهل زمننا هذا للنُّزَه والمتنزهات أظهر لهم هذا المتنزه العلمي الجامع النزيه السالم من ذكر الموبقات والخلاعات والتهتكات ومن ذكر النساء الكاسيات العاريات والذي قلّ أن يخلو متنزه من وجود فتن جميع هذه المحظورات يليق بالسادات والأفاضل والعلماء والصلحاء المتمسكين بتعاليم دين الاسلام حتى ولو في طريق ذهابهم وإيابهم ، فرضي الله عن المؤلف حيث قال في كتابه (الفرقان ، الدامغ بالحق أباطيل أهل البهتان) الذي أبان فيه حسبه ونسبه ، وترجم نفسه بنفسه قال ـ رضي الله عنه ـ :

وسأذكر سيرتي في بيتي ومعاملاتي ووطائي وغطائي وأخذي وإعطائي مختصراً كل ذلك على سبيل الإجمال ، ولكل حقيقة نور يدل على الحال : إني ـ ولله الفضل والمنة ـ لم أتقيّد بحب طعام أو شراب بل آكل ما أجد ولم أذكر أني تشهيت ، أو طلبت طعاماً وتمنيت ، ولم تستفزني عادات الزمان في الملبس بل

أنا على سيرتي في وطني لم أغير الطرز الذي نشأت عليه ، ولم أقيّد همتي للنوم والقيام بوطاء ليّن وغطاء جميل عملاً بنص « اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم » ولم أغلظ في الكلام حالة الاستخدام لا على كبير ولا على صغير من حاشيتي لا داخلاً ولا خارجاً ، ولم أترك أحداً منهم يخرج عن ساحة الأدب لا في الأقوال ولا في الأفعال :

وأمضيت السنين العديدة وها أنا لم أخرج من بيتي لا لسوق ولا لمتنزه ولا لمحل فرجة بل حديقة نظري الكتب المباركة أقرأ وأكتب تصنيفاً وتأليفاً وأنظم الشّعر وأرصع الصحائف بالنثر ، وأقطع الوقت ـ ولله الحمد ـ بذكر الله تعالى والثناء على رسوله العظيم وحبيبه الكريم ﷺ وبمدائح الآل والأصحاب والأقطاب والأنجاب والأولياء كافة ، والصالحين والعلماء العاملين ، ولم تنقطع ـ ولله المنة ـ من بيتي الأذكار ولا مدائح النبي الأعظم لا في الليل ولا في النهار ، ولم أشادد الدين بل ثارة أروّح النفس بسماع الغزل المباح ، وبلطائف الكلام من المزاح ، ولم أعرف التقتير ولم أرض التبذير ، ولم أشغل القلب بجمع شيء من الدنيا ، وقد تركت كل أمري لله هو حسبي ونعم الوكيل ، اه

ووجدنا أيضا في هذا الديوان علاوة على المتنزه الزيه جامعة وأي جامعة فيها من سائر العلوم والفنون تصلح للعالم والمتعلم والمتخرج ، وللفقيه الشهير ، والصوفي الكبير ، وللولي الخطير ، والمتعبد الناسك الفقير ، يسع لكافة أهل النُّهى والإنصاف ، والذوق السليم من جميع هذه الأصناف ، أن يدخلوا هذه الجامعة ويفحصوا أنفسهم بأنفسهم على مقتضى برامجها الجامعة المباركة الحقيقية ، ثم يعطوا لأنفسهم ما تستحق من الشهادات والدرجات كلٌ حسب مقدرته ومكانته التي حققها ، والحكم العدل الذوق السليم والإنصاف ، فلا يكون الإعطاء جُزافا ولا يُمازجه إجحافا ، فالإنسان العاقل هو من أعرف

الناس بنفسه ـ بغضّ النظر عن الأدعياء المغترين ، والحمقى الجانين فالميزان لكل إنسان متابعة الحضرة المحمدية وكمال الإيمان والتحقق بالاحسان ، وفقنا الله جميعاً لذلك ، وحمانا من سائر المزالق والمهالك ، ورضي الله عن إمامنا الشافعي حيث قال :

حياة الفتى والله بالعلم والتُّقى وإن لم يكونا لا اعتبار لذاته

* * *

وكأن هذا الديوان العظيم بحر محيط قد حوى من كل دُرّة يتيمة ، وجوهرة كريمة : ينطبق على كل من يُقبل على مطالعته ويستوعب حقيقته فيجعله محل نزهته ومدرسته قول بعضهم :

ما حوى العلم جميعاً أحد لا ولو مارسه ألف سنه
إنما العلم كبحر زاخر فاتخذ من كل شيء أحسنه

* * *

وقد جمع في هذا الديوان المبارك الشريف من كل شيء أحسنه .

وقد انتقينا من هذا الديوان المبارك نموذجا لطيفا يتعلق بالحب والمحبين من نظم ساداتنا وأئمتنا السادة الرفاعية خاصة وجمعناه بعد أن كان مُفرقاً خدمة لإخواننا المحبين الصادقين ، وأملا بأن يجذب مغناطيس سر كلام ساداتنا الكثير من أهل النُّهى المنصفين لاتّباع طريق الحق المبين فاستمع لما قاله المؤلف في أستاذه السيد محمد مهدي بهاء الدين ، رضي الله عنهما :

يا أيها المهديُّ يا من حبُّه في القلب للسر الخفيّ أنيسُ
أقوى على إبليس فيه فيقتدي رهن الفرار لناره إبليسُ
لم يَلو قلبي عن هواك مدى المدى أنّاً زليخاءً ولا بلقيسُ

يحـدو بـذكرك مُنشـدي وكأنمـا بحروفـه للقلب مغنـاطيسُ

* * *

وقد قدمنا لهذا الموجز اللطيف بكلمة ، وأطلقنا عليه هذا الاسم الشيّق العطر وهو (شذا عطر الشريعة والحقيقة) ينبعث من « أزهار الحديقة » عني بتحقيق الأصل وتدقيقه أستاذنا الجليل ، المعلّم المربي الجيل إثر جيل ، العلاّمة الفهامة صاحب الفضيلة سيدنا أبو عبد الرحمن الشيخ محمود بن عبد الرحمن الشقفة ـ حفظه الله تعالى وحماه ـ ولما فرغ من ذلك تكرم بتوجيهاته وتوجهاته لبعض إخوانه الذين قاموا بنسخه والتقديم له وتهييئه للطبع وترجمة بعض الرجال الذين وُجِد لهم في هذا الديوان شيء من النظم (بُغية تخميسه أو تشطيره أو تذييله والإلحاق به على نسقه وإيضاح معناه وضبطه ضمن دائرة الشرع المحمدي على أن معظم هذا الديوان هو من نظم المؤلف وأستاذه السيد محمد مهدي الرواس ، وشيء قليل من نظم أسلافهما رضي الله عنهم أجمعين) والإشراف على طبعه وتصحيحه بقدر المستطاع فقدمنا الموجز بالطبع ليتشوق القراء الكرام الى الأصل مصدر النبع فها نحن الآن نقوم بطبعه ليعم ـ بمشيئة الله تعالى ـ بكليهما النفع سائلين المولى الكريم أن ينفع بهما كما نفع بما سبقهما من مؤلفات ساداتنا الأئمة الرفاعية الأعلام ـ رضي الله عنهم وعنا بهم ـ فإن غايتهم الشريفة من سائر مؤلفاتهم هي إفراغ الأخلاق المحمدية في الأُمّة المحمدية ابتغاء مرضات الله تعالى لا يريدون بذلك من أحد جزاء ولا شكورا ، وأملنا بالله الكريم الوهاب كما حقق لهم ما قصدوه أن يوفقنا لنجلو جدوهم وما ذلك على الله بعزيز ، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته بالقرب من جوار جدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وليكن هذا النظم الآتي طابع الختام ، نستجديه من ساداتنا ونتمثل به كأنه من كلماتنا شأن الوالي والخدام يأخذون

الطابع من دوائرهم ويضعونه على رسائلهم فليس عند مثلنا تجاه قدرهم الرفيع ما يصلح للمقام :

آل بيت النبي أنتم لعمري رحمة الله والهدى للأنام
قد نظمتم سلك المفاخر بزهو بنيٌّ ووارثٍ وإمام
فعلى روح جدكم وعليكم صلوات المولى وأزكى السلام

* * *

ناشر تُراث سادات واسط
العبد للحكيم الباسط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وعلى سيدهم حبيبه المصطفى ، وآله وأصحابه الحنفا ، والتابعين أهل الوفا .

أما بعدُ فيقول العبد الفقير الى الله محمد أبو الهدى بن السيد أبي البركات حسن وادي آل خزام الصيادي الرفاعي ثم الخالدي أحسن الله اليه بمدده السرمدي آمين :

هذه مجموعةٌ لطيفة ، وخزانةُ أدبٍ شريفة ، تشتمل على شيء من مفردات كلماتي المنظومة التي انتخبتها لشؤونٍ مخصوصة ، وأسباب منصوصة ، وفيها كلماتُ جماعةٍ من فضلاء البلغاء ، وبلغاء الفضلاء ، طُرِّزَتْ كلها بتخميس أو تشطير أو تذييل ، مع بعض منشآت سبكتها سبك الإبريز الجميل ، وسميت هذه المجموعة الأنيقة ﴿ أزهار الحديقة ﴾ يَنْفَحُ روضُها العطير ، بأنواع العبير ، تطيبُ بها ألبابُ أهل الأذواق المرضية ، وترتاحُ لها نفوسُ أولي الهمم العلية ، والأفكار الرائقة الزكية ، والله المعين ، وهو يتولّى الصالحين .

قلت وعلى الله توكلت :

ثِـقْ بمـولاك راجيـاً أبـداً ... منـه فيا تروميـه فضـلا
ليس إلاّ هُـو فـارتقب مـددا ... من إفـاضـات سَيْبِـه الأحلى
واهبُ الرزقِ جـلّ خـالقنـا ... هـو فـاخضع لـوجهـه الأعلى

☆ ☆ ☆

وقلت من هذا الأسلوب ، والطريق المرغوب :

خَمرٌ قُدسٍ بحانه يُجلى فيه معنى الطريقة المُثلى
زقّ فيّاضٌ كأيه فتلا كلُّ شيء هالك إلاّ

☆ ☆ ☆

وقلت في الحقيقة الطاهرة المحمدية :

روحُ الوجود نظامُ مجمل كونه معناهُ والمقصودُ منه محمدٌ ﷺ
نورُ الإفاضة للحوادث كلّها فيه تعيّنَ لونها والمشهدُ
برزت على طبقاتها عن سطعه فوقَ مئتي وثمانٍ يجُحدُ
والكلُّ في قِمَمِ النهاية شاخصٌ لجماله ولسه يُقرُّ ويشهدُ
فالكونُ طمسٌ في العمى وضياؤهُ شمسُ الرسالة نورُ عينيَ أحمدُ ﷺ

☆ ☆ ☆

وقلت لسبب نظري ، لا يخفى على اللوذعي :

خَلِّ الأنام وكنْ بربك واثقا إن رمتَ نهجاً للفلاح حقيقا
وخذِ النبيَّ الهاشميَّ وسيلةً لله واسلكْ من هُداه طريقا
واغضُضْ عن الأكوانِ عيناً لا ترم خِلاً ولا تطلب أخيَّ صديقا
فالناسُ خُلانُ الزمانِ ولم تجدْ آناً على رغم الزمان رفيقا
أمِمْ تَؤُمُّكَ للزمان وربما جعلوا رحيقَكَ للزمان حريقا
فارفقْ بنفسك لا تَصِرْ لك خادعا وتخوضْ بحراً بالعناد عميقا
لولا المآربُ فالكثيرُ تراه لم يذكر مُنيباً (حاجراً) و (عقيقا)
طمحتْ لتلفيق الخطام عزائمٌ منهم تَشُقُّ قصدها تنسيقا
قنعوا مع الأغراض يطلب زَعْمَهُمْ منها مكاناً لو ذرَوْهُ سحيقا

ومضَوْا بلُجّتها فأضحى جُلُّهم فيها على ظمأ الفؤادِ غريقا
قلّما أولي التقوى فصاحبُهم لقدْ يُرْجَى يُرَى تقليذُه تحقيقا
واخبر لكل الناس خبراً وانتبه لا تتخذ غير الكرام فريقا
واطرح خديعات الوجوه فأنت من نار الحَباحِب كم رأيت بريقا

☆ ☆ ☆

قال الفاضل أبو محمد عبد الله بن هاني الاشبيلي يصف رجلا فطنا (بيتا مفردا) وهو :

لولا طلوعُ ثُواري نار فِطنته لأحرقتْ وجناتِ الشمس بالشرر

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

وتلك همّة لولا تحجُّبها بعزمه لا ارتقتْ عن موقع القمر
خيراً قيل هذا الشخص حين بدا من الملائك ما هذا من البشر

☆ ☆ ☆

وله في محبوب أكثر من الإساءة وهو يزعم أنه في منزلته التي يعدها من الحب :

يا من يُريدُ على الإساءة وُدّنا طرقُ السوادِ عن السوء غضيضُ
ليس السوادُ عن الإساءة ظاهراً كالماء ليس عن الضرام يفيضُ
أنت الحبيبُ لنا بكونك محسناً فاذا أسأتَ لنا فأنتَ بغيضُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

مهما الحليمُ غفا وسامحَ قلبُه من قدح نيران السوء مريضُ

تـؤذيـه غُصتـه ولـو ستر الأذى كرمٌ من الشهم الحليم عريضُ
جَمْعُ النقيضين المحـالُ وعـادةٌ فلكل شيء في الـوجـود نقيضُ

☆ ☆ ☆

وقال القاضي أبو المجد الشافعي المعري[1] :

ولقـد لقيتُ الحـادثـاتِ فـما جرى دمعي كما أجراهُ يـومُ فراقِ
وعرفتُ أيـام السرور فلم أجِـدْ كرجـوع مشتـاقٍ الى مشتـاقِ

☆ ☆ ☆

وقد أخذت قوله بقولي :

تتبـادلُ اللهفـاتُ بينهما على زمنٍ مضى مشفـوعـةً بعنـاقِ
هـذا يحنُّ وذا يـأنُّ وللهـوى طـورٌ يترجم سيرة العُشـاقِ
تمضي الشـؤونُ وكلُّ نشرٍ ينطـوي واللهُ بعـد الفـانيـات البـاقي

☆ ☆ ☆

وقال اللوذعي الشيخ أبو طالب عبد الله بن غازي الحلبي :

وقـالـل لي إذ لفَّقْتُ مـدحهمُ زوراً ومينـاً وقـد أودى بـه الخرصُ
مُبيضُ مـدحـك في مُسْـوَدٍّ فعلهمُ كأنمـا هـو في أعراضهم برصُ

☆ ☆ ☆

فأخذت قوله بقولي :

رامـوا الكمـال بنقصٍ في شمائلهم فراح كاملُهم يـامي يُنتقصُ

---

(1) أبو المجد المعري : هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو المجد المعري قاضي المعرة كان أبو المجد عدلا فاضلا أريباً مفتيا على مذهب الشافعي قاضيا بالمعرة الى أن توفي سنة ٥٢٢ هـ له ديوان شعر ورسائل

وليس ينفع قولٌ رقّ مجملُه اذا تباينتِ الأفعالُ والقصصُ

☆ ☆ ☆

وقال الشيخ الإمام أبو زكريا يحيى التبريزي[1] طاب مرقده :

إن السعيد اذا حياةُ ربُّه وانى البرية في رضاهُ فسادا
وأخو الشقاوة لا يفوزُ بثروةٍ إلاّ عصى المولى وزاد فسادا

☆ ☆ ☆

وألحقت قوله بقولي :

وتراهُ عن جهلٍ بغايةِ أمره لم تنقضِ الأيامُ إلاّ زادا
وعلى الحقيقةِ لم يفُزْ إلاّ الذي تخِذَ التقى في كل طورٍ زادا

☆ ☆ ☆

ومن كلامي ، وسانحات إلهامي :

تدبّرْ صنيعَ الله في الأمر إن دجا وخلّكَ بين الخوف يا صاح والرجا
ولا تنسَ ما قد نصّ في سورةِ الضحى
وفي الليلِ طيّ الحادثاتِ اذا سجى
فكم مغربٍ غلفالُه قام أسودا بكربٍ فجاء الصبحُ باللطف مُشرجا
وكم ربّ طيشٍ صار بالأمن هالكاً ومنكرٍ من بأس تهلكةٍ نجا
يراقب سرّ الله في الأرض دائباً وألطافُ جبارِ السماوات تُرتجى

☆ ☆ ☆

---

[1] الشيخ الإمام أبو زكريا يحيى التبريزي

يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي ، أبو زكريا : من أئمة اللغة والأدب ، أصله من تبريز ونشأ ببغداد ورحل الى مصر ثم عاد الى بغداد وتوفي فيها سنة ٥٠١ هـ له تصانيف جليلة منها ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، ط ، و ، شرح المعلقات السبع ، ط ، و ، اعراب القرآن ، وغير ذلك . من الأعلام للزركلي .

وقال القاضي أبو المعالي هبة الله بن علي الشيرازي[٣] رحمه الله :

وأحْزَني دهري وقـــــدْمَ مَعْشَراً ... بـــــأنهمْ لا يعلمـــــون وأعلمْ
وعـزمي أن أنْسَى علـومي كلَّهـــا ... لعـلَّ زمـــاني عنـــد ذلـــك يرحمْ
وأن أدّعي الجهـلَ الـذي هـو سُلّمٌ ... الى بلُم هـذا الـدهر قـالسّلْم أسلمْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

خلَلْتُ رُمـوزاً من علـوم شريفـــةٍ ... نـــأتْ رُتبـــةً والسرُّ منهـــا مُطلسَمْ
وأوضحت أسرار المعـــاني التي خَفَتْ ... بعصري ويَرْضَى ذاك لـــــو يتكلمْ
بفلسفـــةٍ لم يُخْطِئِ الشرعُ حكْمَهـــا ... عليهـــا بعـــالي حُكمـــه يتحكّمْ
وآيـــاتِ عرفـــانٍ يُرَتّـــلُ نصّهـــا ... لـــانَ لـــه النحريرُ في البحث يُفْحَمْ
يبز عقـــوداً من جـــواهر حكمـــةٍ ... عن الفضـــل والعلم الـوسيـــع تترجمْ
وقـائلـةٍ : مـا بـالُ حظـك نـائمٌ ... فقلت : حظـوظُ الـسادةِ الغُرّ نَـوْمُ
فقـالت : الم يُـدْفَعْ بعلـمك نـومُـه ... فقلت لهـــا للشـــكّ : اللهُ أعلمْ

☆ ☆ ☆

وقال القاضي الإمام ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد الأرّجاني[١] طاب ثراه :

---

(٣) هبة الله الشيرازي

أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن أحمد الشيرازي ، عدث حافظ جوّال مؤرخ سمع بفارس والعراق والحرمين واليمن ومصر والشام والجزيرة وفارس وخوزستان والجبال وصدّث ورحل اليه الطلبة من بغداد وغيرها وتوفي بمرو سنة ٥٨٦ هـ وقيل ٥٨٥ هـ .

(١) القاضي الإمام ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد الأرّجاني

أحمد بن محمد بن الحسين أبو بكر ناصح الدين الأرّجاني ، شاعر في شعره رقة وحكمة ، ولي القضاء بـ « تستر » وكان في صباه بالمدرسة النظامية بـ « أصبهان » جمع ابنه بعض شعره في ديوان مطبوع ، توفي بتستر عام ٥١١ هـ ونقل ابن خلكان أنه عربي الجد متحدر من الأنصار ؛ من الأعلام للزركلي .

لا تحسبنْ خلـــوةَ المرء ممتنعـــــاً مَن ناط غرفاً بعرفانٍ فقد خلَـدا
وليس إلاّ على ذا الوجـه إن نظروا يصح معنىً لقول الناس عِش أبـدا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

فـالنـار مُحْرِقـــةٌ لكن لمعرفـــة قـد رام منهـا كليم الله نورَ هـدى
فراعِ حِكمـــةَ أسرار الشـؤون وكن ذا فطنةٍ لم يدع حُكمُ الشؤون سُدى
واعمـل بعَرفٍ وعرفـان وصبرٌ رجـلاً على الهجـة إن مـا قـام أو قعـدا

☆ ☆ ☆

وقال الإمام كمال الإسلام بن صدر الدين ملك العلماء أبي بكر بن ثابت الأصفهاني[1] رحمه الله :

أصحت من الهـــوى أليف البِلْـــــه والهجرُ كـــــا عـــزةَ نفسيَ ذِلّـــه
فكُرْتُ ولا مخلصَ لي من يـــــــده يـــــــالهفةَ على نفسيَ إنّـــــا لله

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

الشـــــــوقُ يطيرُ بي لمن هيَمني والشوق لقـد محـا وجـودي كلّـه
هجرٌ وبعـــادٌ ولـوعـــةٌ محرقـــةٌ لا حـــول ولا قـــوّةَ إلاّ بـــــالله

☆ ☆ ☆

وقال الإمام كمال الإسلام أيضا :

قـــد أسْبَـــخَ في هـــواك دمعيَ ذيلي مُذْ صـــار كأصـــداغِـكَ يـومي ليلي

---

(1) ـــــ

رؤعْتَ فـؤادي بنـوىً تزْمُقُـــه لـو تفعـلُ مـا تقـول ويلي ويلي

☆ ☆ ☆

فأحقت قوله بقولي :

إرحم دنفـاً سيَـالـةً دمعتُـه بـــالله رأيتَ دمعـــةً كالسيـل
قـد كنتَ بخيلي أخبَ كلَّ عجـاج يـاظـالمُ قـد أوهنتَ مني حَيْلي

☆ ☆ ☆

وقال لفراق حبيب له اسمه عبد الصمد :

الطرفُ وحْـوشيتَ حليفُ الرمـد والقلبُ وعـوفيتَ أليفُ الكَمَـد
دالٌ على الجملـة لي قـد جُمعـا تفصيلُها فراقُ عبـد الصمـد

☆ ☆ ☆

فأحقت قوله بقولي :

أبكي ودمـوعي مُرقْرقٌ وابلُهـا والوجدُ لعمري لهفاةُ أضنى جلدي
دمعي لِوَلوعي يشب ناري أسفـا لم يَـدْرِ بنـاري ولـوعتي من أحـد

☆ ☆ ☆

وقال الرئيس ابن الرئيس عبد الرحيم بن أحمد بن القائد الحَوْزي[٦] رحمه الله :

فـلا غروَ أن كان الزمان معانـدي لأني كريمٌ والـزمـانُ لئيمُ

☆ ☆ ☆

---

(٦)

فألحقت قوله بقولي :

طرحتُ زماني ما احتفلتُ برأيه ... على أنه صعب المزاج سقيمُ
أأرقبُ عطفاً منه لاذرَّ ذرُّهُ ... وكيف يرى عطفَ اللئيم كريمُ

☆ ☆ ☆

وقال اللوذعي الأديب أبو الفضل جعفر بن الحسن المشتهي الدمشقي رحمه الله :

دع حاسديَّ وما شاؤوا فقولُهمُ ... ما ينبتُ لي في البدْوِ والحضرِ
فليس يُرمى من الأغصان ذو ورقٍ ... وليس يُرجم إلاّ حاملُ الثمرِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

ما قد رأينا جباناً يوم معركةٍ ... شقَّ الصفوفَ وأضحى عُرضةَ الخطرِ
والنجمُ يلمع لم يُكلَفْ على صِغَرٍ ... وقد يُرى الكلَفُ المغبرُّ في القمرِ
والفضلُ ما زال محموداً بصاحبه ... في كل صقبٍ وهذا ديْدنُ البشرِ
وإن تقدَّمْ منك الشوطَ سافلةٌ ... لاتبتأس فنَموُّ العين بالأثرِ
تقول كيف نرَوْا والمجدُ في ثقلٍ ... أمَعِنْ فكم دارت الدولابُ بالبقرِ

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي ، ورموز إشاراتي :

أقول لذي عزمٍ على السوء منطوٍ ... يُريد نكالاً للرجال الأكارم
كذبتَ وأيمُ الله عزمك خائبٌ ... وقد عُرف الباري بنقض العزائم

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي أيضا وفيها إبداع :

أصاحبيّ هذا الليلُ للصبح ساهراً ... وأذكرُ أيّاماً تقضّت مع الحبّ
فترسلُ عيني الدمعَ والفكرُ ذاهلٌ ... وجمرُ الغضا مازال يلهب في قلبي
وأرقبُ قلبَ البُعْدِ قُرباً ووصْلَةً ... وما ذاك إلاّ من فعالك يا ربي

☆ ☆ ☆

ومن منظوماتي ، ورقائق إشاراتي :

نرى ركبَ من أهوى وقد غلغل الدجى
وأقمرُ مُبْيَضُّ الفلائل بالسّاري

فزحتُ أسحُّ الدمعَ وجداً ولوعة ... وأبعثُ من عَيْنيَّ هائجَ أمطار
وغرّدتِ الورقاءُ تحكي تَوجعي ... ونوحي وإسراري ومزعج إجهاري
وقمتُ على إثر الوداعِ مُرَدداً ... من الشّعر ما يُزري بحيكة أزهار
كأن معانيه ازدهتْ فحديقةٌ ... ويُنْفِحُ منها الوردُ جونة عطّار
يُزَنْجِها لُطفُ الصّبا وهو رائقٌ ... فيُهدي عبيق المسك للحي والجار
تَفَتّق منها روضُها عن بدائع ... جلتْ في فجاج القاع أوجه أقمار
كأن نسيج الزّهر كالزُّهر شاكلتْ ... أساليبَ أفكاري وآيات أشعاري
وأعجب من هذا وهذا صبابتي ... وناري وفوق النار مدمعيَ الجاري
فلا كان ياسعدُ النّوى إنما النّوى ... على ذي الهوى شيءٌ أحرُّ من النار
يُذيب فؤادَ الصبّ لا درّ درُّهُ ... فيغدو فقيدَ القلب معلوبَ أطوار
أحيّاةَ بالود القديم الذي على ... حقيقته الخلصاء زُرْتُ أزراري
ترفّق بحالي إنني فيك للجفا ... ذهِلْتُ فلم أشعرْ بقومي وسُمّاري
بعُدتُ عن العذال في كل مذهب ... فلا حيُّهم حيي ولا دارُهم داري
فراع حقوقي إنني كدتُ أرتقي ... وأحنو إلى هام الأثير بأثاري

ولا تنقض الميثاق والعهد واتئدْ وشرِّفْ بوصل الحبل طيِّبَ أخباري
وخذ لك من منظوم شعري قلادةً من الدُّرِ تروي عنك ما أبدع الباري

☆ ☆ ☆

وقال القاضي أبو بكر الأرْجاني[٧] رحمه الله :

شاورْ سواك اذا نابتك نائبةٌ يوماً وإن كنتَ من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا ماتأى ودنا ولا ترى نفسها إلاّ بمرآة

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

وشرِّفِ النفسَ لاتعبأ بذي سفهٍ فمُغالطُ نيِّءِ الأخلاقِ نهّاتُ
فالكلب لم ينسح الطُرّاق عن سببٍ بل تلك في الطبع عن قيدٍ وإفلات
وكن على الله في التدبير مُتكلاً فالأمر لله في الماضي وفي الآتي

☆ ☆ ☆

وللقاضي الأرْجاني أيضا :

ولما بلوتُ الناسَ أطلب منهمُ أخا ثقةٍ عند اعتراض الشدائد
تطلّعتُ في يُمْنيَّ رخاءٍ وشدةٍ
وناديتُ في الأحياء هل من مساعد ؟
فلم أرَ فيما ساءني غير شامتٍ ولم أرَ فيما سرّني غير حاسد

☆ ☆ ☆

---

(٧) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٦ .

وقد ألحقت قوله بقولي :

وكم لاح لي بين الصفوف أقاربٌ ... فكانوا بما أمّلته كالأباعدِ
طووا لُحمةً في سدوة لو نشرتها ... رأيتَ بها المعقودَ بعض المقاصدِ
نصحتك إنْ أمّلتَ يوماً مساعداً ... تسوكاً على زندٍ حملتَ وساعدِ
ولا تنحرف عن سُنّة البر مُعرضاً ... عن الناس لا بل كن كريم العوائدِ
وعلّك في الأعمال لله مخلصاً ... فكم من مُرائٍ في زوايا المساجدِ

☆ ☆ ☆

ومن أقوالي ، وشوارق أحوالي :

في خفايا العيوب لله سرّ ... يجذب الخير من خفايا العيوبِ
يُصلح الشأن يفتحُ الباب يأتي ... من زوايا الإضار بالمطلوبِ
ووجوهُ الرجال فيها معانٍ ... تتدلّى من جَوّ أفقِ القلوبِ

☆ ☆ ☆

وقال الشهم الجليل شهاب الدين أحمد الجويري العباسي رحمه الله :

فضلي الذي يجني عليّ وربما ... ضَحِكَ الفتى أفضى إلى إبكائه
ولربّ ذي قدرٍ يُفاقُ بجاهلٍ ... كالبحر يُعلى ماؤه بغثائه
أنا للعُلى كالزّند إن مارسته ... بذلتُ اليك النارَ من أحشائه
دلّ الجهولَ على أذاي تحمُّلي ... كالماء دلّ على القذى بصفائه
والحلمُ ينفعُ ربّه لكنّه ... إن زاد حداً زاد في إيذائه
كالنور يهدي الطرْفَ مقتصد السّنا ... ومتى يزدْ ينهض الى إعشائه
ولقد عرفتُ بكم كما عُرف الهُدى ... ببنات نعشٍ في نقاب خفائه

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

كم ضاع حقٌّ مُفضَّلٍ في قومه ... وبدا له الإنصافُ من أعدائه
والحق يظهرُ للفتى مهما خفي ... ما بين جاحده وربِّ ولائه
والفضلُ مهما راح يُكتم ينجلي ... كالبرق يلمعُ في سجوف سمائه
ولربَّ ذي حسد لبدرٍ طالع ... والنفع قد يأتيه من أضوائه
غدراً فبان المرء أكثرُ ما يرى ... فجحد المزايا البيض من نظرائه
وإذا اعتدى طيشاً عليه جَهولٌ ... فجزاؤه الإعراض عن غوغائه
كم عالم يكفيه غسلُ إنائه ... بالتُّرب إن ولغ الكلاب بمائه
فاغسل إناء القلب من كلب عدا ... بولوغه واحفظ نقيَّ إنائه
واجهدْ بصون طباع قومك إن علوا ... إرثُ الكريم المجدُ عن آبائه
جهلاً يُناطرني الغنيُّ بماله ... فالمال جامعُ دائه ودوائه
وأنا لعمري الكوكبُ اللّماع في الظلماء، والأضواءُ حشوُ ردائه
خلفتُ بي الأيامُ ترصد مظهراً ... مني لبدرٍ جلَّ طولُ سنائه
فالعلم من إعلامه والصدقُ من ... إلهامه والخيرُ من أمنائه
بحكي رقيق السيف يفتك بالعدا ... إن فرَّ في إمضائه ومضائه
أو أنه حالُ الإفاضة وابلٌ ... تنهلُّ سُحب الفضل من أنوائه
هجر الزمان فلا يميل لمثله ... أبداً ولا يلوي الى أمنائه
يبدعُ العدوّ على بساط زعومه ... ذا حيرة حتى يموتَ بدائه
هو جهدٌ في العصر إن هي فرّقتْ ... جُهلاؤهُ بالعدل عن علمائه
ويسودُ أن لو كان ليس بناطقٍ ... كي لا يُفيضَ القولَ عن علمائه
يمشي على طور الزمان وعيْنه ... وعلى عصيب النهج من أهوائه
فعساه يأنس رأفةً من دهره ... فخُطوُهُ أبداً على بُلهائه

كم ربّ داءٍ شفَّ سُقماً مـزعجـــاً ... بـالـداء كان صميمُ أمرِ شفـائـه
هـذا لعمر المجـد رأي أخي سنـا ... عنـه العمى قـد غمَّ في رُقبـالـه

☆ ☆ ☆

وقال الأديب الفاضل أبو الحسين أحمد بن منير الطرابلسي الشيعي[8] وأبدع :

أنـــا لا أصبرُ عمّن وجهُـــه ... قلـــــقٌ مُتـمٌ في غسقين
قمر العقرب خـــــوّفتُ فمن ... مُنقـــــذي من قمرٍ في عقربين

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

لاح والليـــل ذجـــوني فـــا ... قلت إلاّ لاح ثـــــاني القمرين
جُرحتْ مُقلتـــه قلبي فيـــا ... ويـــحَ قلبي حـــالَ رمشِ المقلتين
ريمُ روضٍ جعـــل الهجرَ لـــه ... مشربـــاً والـــود أهنى المشربين
كم أُناجيـه بـدمعي قـائـلا : ... مـا جرى يكفيـك يـاقرة عيني
وهـــو كبراً يتعـــابى والهـــوى ... ضاربٌ مـا بينـه الـدهشَ وبيني
راعني بـــاليـــأس لكن لـــذّ لي ... فعلُـه واليـأسُ احـدى الراحتين

☆ ☆ ☆

---

(8) أحمد بن منير الطرابلسي :
أبو الحسين أحمد بن منير بن أحمد ، مهذب الدين : شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام ، وُلد بها وسكن دمشق ومدح السلطان العادل ، محمود بن زنكي ، بأبلغ قصائده ، رحل الى حلب وتوفي بها عام ٥٥٥ هـ وله ديوان شعر مطبوع (من الأعلام للزركلي) .

وقال الأديب الأريب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني[٩] رحمه الله :

خـــدقٌ صحتُّهـــا علّتُهـــا ... ربمـــا كان من الـــداء الـــدواءْ
يـــانـــديمي مرضي من وجْنـــةٍ ... مَرّضتْهـــا بـــاللحـــاظ الرقبـــاءْ
لاتظن الـــوردَ مـــا يسقي الحيـــا ... إنما الـــوردُ الـــذي يَسْقي الحيـــاءْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

لمـــع الـــبـــدرْ خفيـــاً والجلى ... بَحيـــاً فـــوْ والبـــدرْ ســـواءْ
فعجبنـــا لخفي ظـــاهرٍ ... ومـــع النـــور ظهـــورٌ وخفـــاءْ
غيهبٌ الشعرِ طـوى بـــارقـــةً ... وَجْنـــةُ الحب فجـلاهـــا سناءْ
فـــاذا مـــا حـوّلتـــه نـمـــةً ... عن سنـاهـا لاح للعين الضيـــاءْ
ظلمـــةٌ تطْغى وبـــدرٌ ينجلي ... بنـيـــج رقّـــةٌ وردٌ ومـــاءْ
أوقف الحـــدسَ شـــؤونٌ جُمعتْ ... في قرانٍ حـــار فيـــه العُرفـــاءْ
مـتحيـــلٌ ذلـــك الجمـــعَ نَعَمْ : ... يفعـل الله تعـــالى مـــا يشـــاءْ

☆ ☆ ☆

وقال أبو الربيع سليمان بن قياض الاسكندراني[١٠]:

ولَيْنِ اخْضر ثـــاني العطف تيـــاهْ ... المستعـــانُ على وجـــدي بـــه اللهْ

---

(٩) القيسراني

محمد بن نصر بن صغير بن دانر الغزومي الخالدي ، المعروف بابن القيسراني : شاعر مجيد ، أصله من ، حلب ، ومولده بـ ، مكة ، ووفاته في ، دمشق ، عام ٥١٥ هـ والقيسراني نسبة الى ، قيسارية ، في ساحل سورية ، وله ديوان شعر ، من الأعلام للزركلي .

(١٠) أبو الربيع سليمان بن قياض الاسكندراني : شاعر مصري من أهل الاسكندرية له شعر ونثر كان شاعراً رحل الى العراق والين وخراسان ودخل الهند فمات بها وقيل غرق في البحر سنة ٥١٦ هـ .

عـلامَ يُسْخِنُ عيني وهـو قُرْبَهـا ... ويُسْكِنُ الحـزنَ قلبي وهـو مـأواهُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

إني وعينيـه لم أنظر الى أثرٍ ... في الكـون إلاّ ويبـدو لي مُحَيّـاهُ
ما غبتُ في حضرتي والوجدُ يصرعني ... عني ويـذْهَـلُ مني الفكرُ لـولاهُ
حيّـاه مـولاهُ والأقـدار تحرسـه ... ودام والقلب مشغـوفـاً بمعنـاهُ
وليس يعذب لي حتّ العذاب بـه ... من طـور حـالي حـالٌ لا وعليـاهُ
أمرُ ليلي وعيني فيـه سـاهرةٌ ... لم يُطْـوَ آهٌ ولم يُنْشَر لـه آهُ
يشْفُهـا رمـدُ الهجران بـاكيـةً ... والنـارُ تلفـح قلبي حـبي اللهُ

☆ ☆ ☆

وقال الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن ابراهيم المعري يمدح عمار فخر الملك الحمداني :

لو بان شخصُ المجد لم يك في الورى ... إلاّكَ منـه عليـه عَقْـدُ الخنصرِ
ولقـد سمعتُ ومـا سمعتُ بجـائـدٍ ... في عُشْرِه يُعطي عطـاءَ المـوسرِ

☆ ☆ ☆

وقد رأيت سيدي الوالد[11] الماجد ـ قدس الله روحه ـ أعطى وهو في عُسرة عطاء موسر عظيم ولم يكن في جيبه ولا في صندوقه ولا مائة درهم

---

(11) السيد حسن وادي : أبو البركات حسن وادي بن علي بن غزام الصيادي الرفاعي والد المؤلف ـ رحمها الله تعالى وُلد سنة ١٢٤٥ هـ ولما شب أحمد الخرقة من الشيخ رجب الصيادي وأقامه خليفة عنه واشتهر أمره في عمان يشخون اللحفة بمعرة النعمان والتفع به جماعة كثيرة من الموحدين وله مناقب مأثورة ، وحكايات مشهورة توفي رحمه الله في حلب سنة ١٣١٢ هـ : من خزانة الامداد للمؤلف .

فتمثلت أمامه ـ طاب ثراه ـ بهذين البيتين وألحقتها بمدحه بهذه الأبيات الآتيات فقلت :

بـــذلٌ بـلا منٍّ وبِشْرٌ طـــائـــلٌ ... يطـوي اعتـــذار المُقْلِـلِ المتحيّرِ
وبهـــاءُ وجـــهٍ يُبهـج الراجي فلم ... يَـــدْفشْ ودِرْعٌ من حيـــاءٍ مُنْهرِ
وشجـاعـةٌ تَـدَعُ الهِـزبْرَ بغـابـه ... في دهشـــةٍ ومهـــابـــةٍ لم تُنكرِ
وعريضُ جـود عن جـلالـةِ فطرةٍ ... فـــلأبيضٍ لم تَـثْنِـــــدْ أو أصفرِ
شِيَمُ النبـــوةِ في صميم قروعهـــا ... ذُمجتْ مُـوَرِّثَـــةً لهـــذا الأزهرِ
أعني أبـا البركات فيـاضَ النَّـدى ... وادي المكارم ذا الكمـــــال الأوفرِ
حسنَ الخـــلال بقيـــة الآل الأُولى ... الأطهرَ ابنَ الأطهرِ ابن الأطهرِ
أبتـاهُ خـذهـا نُظِمَتْ بجـواهرٍ ... ويقـلّ في عليـــاك نظم الجـوهرِ
واسلم إمـامـاً للطريقـة وارثـاً ... للـيـــد الغـوثِ الأجـل الأكبرِ

☆ ☆ ☆

قلت : ولإبن ابراهيم المعري المتقدم ذكره :

الى الله أشكـو حُبَّ أهيف فـــاتنٍ ... وقعتْ قـالي من يـديـــه خَـلاصُ
جرحتْ بلحظي خَدَّهُ وهو جـارحٌ ... بعينيـــه قلبي والجروحُ قصـــاصُ

☆ ☆ ☆

وأنا ألحقت قوله بقولي :

أغـوصُ بطرف العين لُجـةَ خـــدِهِ ... وللـــدُّرِ في البحر الخطير يُبـاصُ
فـــأغرقُ كلي في الهـوى بـــالبتي ... غريـقٌ وللحب النفـوسُ رخـاصُ

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي المخصوصة ، وإشاراتي المنصوصة :

وقفتُ على كُنْـــهِ الـزمـــانِ وسرهِ ... وغالطتُ نفسي كالذي ليس يعرفُ
وأحسنت ظني بالأولى مـا عهـدتهم ... لحَيْفٍ ولا سيفٍ ورُحتُ أُنـــوّفُ
فما ازددت علماً بـالأنـام ولم يكن ... من النـاس إلاّ كلّ مـا كنت أعرفُ
وفي الآدميين اتســـاقـــاً مُجْـزءٌ ... على كل عصر منْ الى البرْ يُصرفُ
من السـابقين الأمجـدين عصـائبٌ ... بزُهر الخصال الغُرّ والفضل توصفُ
ولكنهم مُـذْ قـلّ دهراً عِـدادُهم ... تنكّر منهم في الـزمـــان المُعرّفُ
تَمنّهُم نـــارُ الشـــؤونِ وطيبُهم ... يفوح لـذا والعودُ بـالحرقِ يلْطُف
ولـولا هجـوم للـزمـان مُصـارعٌ ... لشـدُّوا على الكتمان طـوقاً وأسرفوا
دواعٍ من الأيـــام لاذرّ ذرُّهـــا ... لهـا مُقـلُ الآســادِ كالأنف تَرْعفُ
تطَـوّحُ تـأتي بـالعجـائب لم يـزَلْ ... يُخرّفهـا من ذي الليـالي مُخرّفُ
لهـا الـدينُ يبكي والعـزائم ترتـدي ... حِداداً وعينُ المجد بـالحزي تُطرّفُ
فقف صاح في سوح الثبات مُصابراً ... زمـانَـكَ واتركْ حـائراً يتـأففُ
ورُدّ جميـــع الأمر لله راضيـــاً ... فبـا للطفِ فيما لم تُحِـطْ يتصرفُ

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي أيضا هذان البيتان ، وفيهما لطيف بيان :

تكلّم صـاح إن سكت الـزمـانُ ... ولا تنطـــق اذا نطـــق الأوانُ
فقـد يُطوى بيـانُـكَ في سكـوتٍ ... ويُضمرُ في السكـوتِ لـك البيـانُ

☆ ☆ ☆

قال الإمام الهمام شيخ الإسلام مولانا السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي[١٢] ـ رضي الله عنه ـ في النسخة الكبرى ما نصه :

(١٢) السيد سراج الدين المخزومي : شيخ الاسلام أبو المعالي محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي ولد سنة

نقل الشيخ علي الشطنوفي من كلام بعضهم ثلاثة أبيات يزعم أنه مدح بها القطب العارف الكبير الشيخ عبد القادر الجيلي ـ رضي الله عنه ـ وهنّ في نعم الممدوح لولا مؤاخذة الشرع ونصهنّ :

بـــكَ الشهـــوزُ ثُنّى والمـــواقيتْ يا من بـألفـاظـه تغلو اليواقيتْ
البـازُ أنتَ فـــإن تفخر فـلا عجبٌ وســائر النـــاس في عيني فـواخيتْ
أنتُ من قـدميـك الصـدقَ مجتهـداً لأنهـا قـــدمٌ شـــاعتْ لهـــا الصيتْ

☆ ☆ ☆

وقد أساء الأدب بقوله : (وسائر الناس في عيني فواخيتْ) وأخطأ طريق الشرع الشريف ، وغلط في الطباق بقوله : (أنتُ من قـدميـك) وقوله : (لأنها قدم) وبالجملة فالشطنوفي ـ عفى الله عنه ـ لم يتحقق بالعلوم الشرعية ، ولا بالأذواق العالية التصوفية ، وعجيب أن أبا المظفر الواسطي الشافعي[١٣] ـ قدس الله روحه ونفع به ـ عارض هذه الأبيات الثلاثة بثلاثة أبيات في مدح الإمام الأكبر مولانا السيد أحمد الرفاعي ـ رضي الله عنه وعنا به ـ فقال وأبدع ونص قوله :

حارتْ بنا سوتِك الأعلى النواسيتْ وَزِدْتَ ذِكرك الأحلى المـــواقيتْ
وضمن عـــزك لـــــا قتَ منكسراً بـازاتُهـــا لـــك دانتْ والفـواخيتْ

= ٧٦٢ هـ بواسط العراق وتخرج بصحبته جماعة من الأعيان ، وكان شيخ الاسلام في وقته علما وعملا وتحقيقا وتكيسا ورياسة ، خدمه العلماء وأخذ عنه الصلحاء وأجرى الله تعالى على يديه خوارق العادات ، وله مؤلفات نفيسة توفي رحمه الله سنة ٨٥٥ هـ وله من العمر ٩٢ سنة : من خزانة الامداد للمؤلف .

(١٣) أبو المظفر الواسطي الشافعي :

منصور بن البارك بن باسويه أبو المظفر الواسطي الشافعي الكبير القدر توفي سنة ٥٨١ هـ وله شعر رقيق ، وأسلوب رشيق ، ليس خرقة الصوفية من شيخ الطائفة السيد أحمد الرفاعي وكان فانيا في محبته ناهلا من حبه رضي الله عنهما : من العقود الجوهرية للفاروقي .

تبـــارك اللهُ لم تَنْطِـقْ وكم رجفتْ برحب حضرتـك البيضُ المصـاليت

☆ ☆ ☆

قال السيد سراج الدين ـ رضي الله عنه ـ وقد ذيّلتُ قول أبي المظفر ـ طاب ثراه ـ بقولي :

يا أحـد الآل يـا من نورُ سيرتـه ذابتْ بنـــار تجلّيـــه الطـواغيتُ
للقـوم صيتٌ ولم يُسمع لـه أبـداً بغير نهـــج النبي المصطفى صيتُ
يُخلي المعاني كلامٌ طائش معتدياً والحق يُبـدي المعـاني وهـو سِكّيتُ

☆ ☆ ☆

قلت : وقد ذيلت أبيات الإمام شيخ الاسلام السراج ـ رضي الله عنه ـ بقولي :

للحق في حضرة التقـديس تثبيتُ وللخُـداة بـذكر الحـق تصـويتُ
وأنتَ يا أحمدَ الأقطاب شيخ هدىً تنظّمتْ بمعـــانيـــه اليـواقيتُ
تبدو معانيك والأبصار شاخصةٌ دهشاً اذا نـال قولُ البعض تبكيتُ
يسري كلامـك في سري ولا عجبٌ كأني فيـــه قَبْـل القَبْـل نـوجيتُ
ولا أحُـطُّ عـزيـزاً عن مكانتـــه إخوانك القومُ ســاداتٌ مصـاليتُ

☆ ☆ ☆

وبعد لمعة نور الفتح بهذه الأبيات الأبيات : هدر وابل عناية من سحك فيوض الولاية فدحت سيدنا الإمام الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ بقصيدة من هذا الوزن والروي والقافية جاءت خمساً وأربعين بيتاً مطلعها :

خجْتُ لنعرج الحيّ المصـــــاليت تؤمُّ واسـطَ حيثُ الفضلُ والصيتُ
وحيثُ مَرْقـدُ غـوثٍ ضـاءَ فرقـدُهُ وخطُّه في صحافِ القدس مثبوتُ

هو الرفاعي سلطان الرجال ومن بـه يُثبّتُ عنـد الخطْبِ مبهـوتُ

ومنها

ينقضُّ أشْهَبَ جَوٍّ حـال معمعـةٍ بهـا الصقـور سـواءٌ والفـواختُ
ويُرعِدُ الأفقَ رعباً صوتُ صولتـه في الطارقاتِ وصوتُ القوم مخفوتُ

ومنها

لكل قطبٍ قضى وقتٌ ينـوب بـه وتحت نـوبـة عليـاهُ المـواقيتُ
قد عـاهـد الله لا يبغي بـه بـدلاً يـانعمْ ذاكَ وحبـلُ الغير مبتـوتُ
مُطهّرُ النفسِ من حُبِ السوى وعلى طورِ الملائك منه قـام نـاسـوتُ

ومنها

غوث بـه الله أحْيـا الـدين فهـو بحيي الـدينِ في القـوم معروفٌ ومنعـوتُ
وإنَّ مَـدَّ يـدِ الطُّهْرِ الكريمِ لـه ضجَّتْ به المدْنُ علماً والأمـاريت

ومنها

مـاذا يقولُ لسـان الجيْل في وهْبي بـه فحروفُ حُبِّ الآلِ مـفـوتُ
وإن حُب أبي العبـاس معتقـدي عليه صافيتٌ في الدنيا وصوفيتُ
والظن تُنعِشُني روحي بنعشيَ لـو على اسمـه الطيّبِ المزور نـوديتُ
سقى ثراه من الـوسميّ أعْطَرَهُ وعمّه مـسكٌ روح القـدس مفتوتُ

☆ ☆ ☆

وقد ذكرت هذه القصيدة برمتها في ديواني (براهين الحكم) ومختصره والله المعين .

قال شيخنا القطب الكبير الفرد الشهير السيد بهاء الدين محمد مهدي آل

خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس[١٤] ـ رضي الله عنه ـ في وثيقته الوسطى رأيت في كتاب مناقب الإمام الرفاعي للعلامة الكبير محمد العاقولي الشافعي[١٥] ـ قدس سره ـ بيتين يمدح بهما السيد الكبير الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ هما في غاية الحسن :

مولاي يا سلطان (أمّ عبيدةٍ) يا مَنْ بهمته يُخلُّ ويُعْقَدُ
كلٌّ له قدمٌ من الأشياخ في نَهْج الهُدى وسواك ليس له يدُ

☆ ☆ ☆

ثم قال شيخنا ـ رضي الله عنه ـ فطربت لهذا المعنى وقلت مفتخراً ومبتهجاً :

كثُرت جموعُ العارفين وأنتَ في التعداد واحدُها الأجلُّ الأوحدُ
ألفُ الإحاطةِ في بدايةِ صفهم وأعزهم حالَ البروز وأحدُ
تُجلى بنقطةِ بدءهِ لصدورهم أنوار سرٍّ نجمُها لا يُرصَدُ

---

(١٤) السيد محمد مهدي الرواس :

أبو البراهين ، بهاء الدين السيد محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس ـ علامة الوجود ، ناصر السنة وخاذل البدعة ، مجدد الشريعة والطريقة ، وُلد في ، سوق الشيوخ ، بلدة من أعمال ، البصرة ، وبها شب جاور بمكة المكرمة وبالمدينة المنورة يشتغل بطلب العلم هناك ثم ذهب الى ، مصر ، ونزل الجامع الأزهر وبقي فيه ثلاث عشرة سنة حتى برع في كل فن ، وأكرمه الله بالولاية العظمى والمناقب الكريمة وله تصانيف جليلة ، منها : ، بوارق الحقائق ـ ط ، و ، مراحل السالكين ـ ط ، و ، رفرف العناية ـ ط ، و ، نور الفتوح ـ ط ، و ، معراج القلوب ـ ط ، و ، مشكاة اليقين ـ ط ، و ، فذلكة الحقيقة ـ ط ، و ، والحِكَم الهدوية ، ط ، و ، برقة الليل ـ ط ، و ، طي السجل ـ ط ، و ، وفصل الخطاب ـ ط ، ونظمها وله شعر عذب رائق في الشريعة والحقيقة يزيد عن مائة ألف بيت في سبعة دواوين أكثرها المطبوع تداولها الأيدي توفي ـ رضي الله عنه ـ ببغداد سنة ١٢٨٧ هـ : من غرائة الامداد للمؤلف ، ومن الواقع الحالي .

(١٥) العاقولي

محمد بن محمد بن عبد الله الواسطي الأصل البغدادي ، غياث الدين المعروف بالعاقولي : عالم بغداد ومدرسها في عصره ، كان هو وأبوه وجده كبراء بغداد انتهت اليهم الرياسة في العلم والتدريس ، من مؤلفاته ، شرح سماح البيضاوي ، و ، شرح مصابيح البغوي ، توفي رحمه الله سنة ٧٩٧ هـ : من الأعلام للزركلي .

يـــا أيهـــا العلم الطـويـــلُ وصـــاحبَ العلمين والبـــدر المنيرَ الأسعـــدْ
هـو أنتَ في مرآة نشـــأك أحمـــدٌ وأبـوك في كل الفجـــاج محمـــدْ

☆ ☆ ☆

فتبركت وتشرفت بإلحاق قوله بقولي :

لـك طيُّ جَلْجَلَـةِ الـولايـة رونقٌ يسمـو السماءَ فخـــارُه لا يُجحـــدْ
ويـــدٌ لهـــا ذَلَّ الأُســود بـبـذلهـــا فيضُ الغيـوب لهـــا يَلينُ الجامـــدْ
أوليتَ للقـوم النَّـوالَ أخـو يَـــدٍ مـا كلُّ مَن يولي النـوالَ لـه يـدْ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف ما ينقل عن الباز الأشهب ، والطراز المذهب العارف الرباني حضرة القطب الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني[١٦] ـ رضي الله عنه ـ أنه وقف عليه مجلسه فأنشد :

لاتسقني وحـــدي فـــإني أستحي أني أشُـــحُّ بهـــا على خِـــلاّني
أنتَ الكريم ومـا أظنـــك راضيـــاً أن يعبر النُّـــدمـــاءَ دورَ الكاس

☆ ☆ ☆

فراج المجلس وصار فيه حال وبركة عظيمة وفتح كبير .

وقد ألحقت قوله بقولي :

فـالكاسُ تُترعـــه القلـوبُ مطمطماً ويُفـــاض فضـلاً في كرام النـــاسِ

---

(١٦) عبد القادر الجيلاني :

هو الشيخ الجليل والعارف الكبير شيخ الشيوخ أبو محمد محي الدين عبد القادر بن عبد الله بن موسى بن جنكي الحسني ، مؤسس الطريقة القادرية ومن كبار الزهاد ولد في « جيلان » وراء « طبرستان » وانتقل الى بغداد شاباً فاتصل بشيوخ العلم وبرع في أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب والشعر ، وكان يأكل من عمل يده وتصدر للتدريس والفتوى ببغداد . وصنف كتباً في الفروع والأصول . توفي رحمه الله ببغداد سنة ٥٦١ هـ (من الأعلام للزركلي . وطي السجل للسيد محمد مهدي بهاء الدين الرواس قدس سره .

تروي النـدامى عنـه أسرار الهـوى ... مطـويـةً بلطـائف الأنفـاسِ
لم يُحْرِمِ البركاتِ من فَيَـاضِهـا ... إلاّ خـؤونٌ ربُّ قلبٍ قـاسي
الحمـد لله اجتليتُ مُنـوّراً ... كأسَ الهنـا من سـادةٍ أكيـاسِ
ملـؤوةً من خمر النبـوة طـافحـاً ... بحقيقـة طهّرتُ من الأدنـاسِ
رقّتْ وراقتْ حين رَقْرَق جمعهـا ... بـالفرقِ سيـدنـا أبـو العبـاسِ
وأفـاضهـا بيـد القبـولِ فـأشرقت ... كالشمسِ تلمـعُ في رقيـق الكاسِ
حتى تـدلّتْ في تـلـلِ دورهـا ... لأبي المعـالي السيـدِ الرواسِ
فشربتُهـا من كفـه مشمـولـةً ... بعـوارف التـأييـد والإينـاسِ
وفهمتُ من سُكْرِ القبـولِ بصحـوتي ... سـر الحضـور ففتُّ عن إحسـاسي
هي أحمـديـةُ نشـأةٍ كم مرةٍ ... هـزّتْ بحـالِ حـالَ طـودِ راسي
رفـع الرفـاعيُّ الكبيرُ نقـابهـا ... فجـلا الحجـابُ لـوامـعَ النبراس

وروت شـؤون البـاز عن يـد سيطـه الرواس فـانتثرتْ عصـائم مـاسِ

الكل قـومي إذ أُسَلْسِـلُ نظْمَهُم ... وعقـود آبـائي الكرام ونـاسي
هم كـوةُ المجـد الصميم وبينهم ... جـدّي أبـو العلمين تـاجُ الراس

☆ ☆ ☆

ومن نسق هذه الأبيات يعلم الدّربُ الفاضل أن شيخنا القطب الرواس ـ رضي الله عنه ـ له من جهة الأُمومة نسبة جليلة تتصل بجده لأُمه الغوث الفرد الجامع الرباني حضرة القطب الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ رضي الله عنه ـ ولنا والحمد لله نسبة أُمومة تتصل بالباز المشار اليه ـ رضوان الله تعالى عليه ـ وقد أشرت اليها بقولي :

الكل قـومي إذ أُسَلْسِـلُ نظْمهم ... وعقـود آبـائي الكرام ونـاسي

☆ ☆ ☆

ولا بدع فله من الفخر الطراز المذهب ، من يُخوِّلُ بآل البار الأشهب حقنا نفحاته ، وعمنا بركاته أمين .

قال القاضي الكاتب الفقيه الأديب أبو عبد الله بن زيد اللخمي[١٧] رحمه الله :

يـاربِّ صفحـاً وغفرانـاً ومعـذرةً ... لمـذنبٍ كثُرتْ منـه المعـاذيرُ
يُبكيـه إجرامُـهُ طـوراً ويضحكـه ... رجـاؤُهُ فهـو محـزونٌ ومسـرورُ

☆ ☆ ☆

وأنا ألحقت قوله بقولي :

يكادُ يقنـط لـولا رحمـةٌ سبقتْ ... لمثلـه منـك فيهـا الـذنبُ مغفورُ
وحُبُّـه لرسـول الله يُصحبـه ... أمنـاً ووجـهُ رسـول الله منصـور
وظُلْمـةُ الـذنب إن طمَّتْ فتـامتُهـا ... فحبُّ عبـدك طـه المصطفى نـورُ
إرحم لأجـل أبي الـزهراء صـادعتي ... فلـؤلـؤُ الـدمـع من عينيَّ منثـورُ
واجبر كسـير فـؤادي إنني وجـلٌ ... عليـك حُسْنُ رجائي الدهر مقصورُ

☆ ☆ ☆

وقال الفاضل الأديب الباهر حماد البزاعي ثم الحلبي رحمه الله :

تـوسَّلي يـانسمات نجـدٍ ... بـالشيـح في ذاك الحمى والرنْـدِ
لعـل ذيَّـاك اذا مـا نفحت ... يعـود حرُّ لـوعتي ببردِ

---

(١٧) أبو عبد الله محمد بن زيد اللخمي

أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي ، من كبار علماء الكلام أصله من واسط وسكن بغداد وتوفي فيها سنة ٣٠٦ هـ من كتبه « إعجاز القرآن » و« الإمامة » وكان على غزارة علمه خفيف الروح ينظم الشعر ويؤدمه النكتة المستملحة (من الأعلام للزركلي) .

أميـو الى ريـح الصَّبـا لـو أنهـا تُهـدي حـديثَ الحي فيا تُهـدي
أسـألها هـل صـافحتْ مـواقفـاً أودُّ لـو صـافحتُهـا بخـدي
أستـودع الله بهـا قلبي فقـد طـال بـه بعـد الفراق عهـدي

☆ ☆ ☆

قلت : وأوّل من نظم على هذا المنوال العلامة الأديب الأفضل ابن المعلم الواسطي[١٩] شاعر الرواق العالي الرفاعي وقد قال من قصيدة شهيرة :

تنبهي يـا عـذبـاتِ الرنـدِ كم ذا الكرى هبَّ نسيم نجـدِ

☆ ☆ ☆

وها أنا قد ألحقت قوليها بقولي :

واهفتـاه لحبيب راعني ببعـده والحتفُ جُـزءُ البُعـدِ
خـالفني ولم أزل مـوافقـاً لـه وجـازاني بخُلْفِ الوعـدِ
أسكنتـه قلبي فقـدَّهُ من الطـ ـرف الكحيـل بحُسـامٍ هنـدي
ومن عجيب مـا أراه إنـه ينقص طـوقي ويـزيـد وجـدي
جعلتـه بـالافتخـار سـيدي وقمت في حضرتـه كالعبـدِ
ورحت في طـور الغرام طـارحـاً ميراث تمكين أبي وجـدّي
أقـدُّ إن مـا عـدَّني عبـداً لـه ذلـك أعلى مـا يكـون عنـدي
ورمـز أسرار الغرام إنني بـه عُرِفْتُ يـا هـديمُ وحـدي
همتُ بـه ولم أهم بغيره بكل قبـلٍ سـابـقٍ وبعـدِ

---

(١٩) ابن المعلم الواسطي :

أبو القاسم محمد بن علي بن فارس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الواسطي الأزدي اللقب بنجم الدين ، المعروف بابن المعلم الشاعر الأديب الأديب الصالح واحد زمانه في الأدب ، رقيق الشعر يكاد شعره يذوب من رقته ، وهو شاعر رواق « أم عبيدة » ، وبها توفي سنة ٦٩٢ هـ : من العقود الجوهرية للفاروقي

وسُنَّـــةُ الأيـــــام تقضي أنني أفنى بـــــه حتى أزورَ لحـــــدي
وإن أمُتْ على طريـــق حُبـــــه يكـون ذاك من صريـح سعـــدي

☆ ☆ ☆

وقال الفاضل أبو عبد الله المغربي نزيل الشام ـ رحمه الله ـ وهو من رجال القرن السادس :

لي صـــاحب خفيتُ عليَّ شـؤونَـــه حركاتُـــه مجهـولـــة وسكـونَـــه
يرتـــاب بـــالأمر الجليِّ تـوهمـــاً فـــاذا تيقن نـــازعتـــه ظنـونَـــه
مـــازلتُ أحفظـــه على ثقتي بـــه كالشَّيْبِ تكرهـــه وأنت تصـونـــه

☆ ☆ ☆

فأخذت قوله بقولي :

ومن العجـــائب أنـــه في ريبـــةٍ مني ويـــأمن مَن يَظُـلُّ يخـونُـــه
يعمى عن الرقبـــاء تـلبيـــاً لهم وعليَّ شـاخصـةُ العيـون عيـونـــة
هـــو ذا الجنـــونُ وإنهـــا لكثيرة فيما تقـول العـــاقلـون فنـونـــة

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي ، ولطائف إشاراتي :

يـــا حبيبـــاً هـزَّ قلبي بـــالنـوى خيفـــةَ الـوصـل وأفنـــاني بيني
صحـــح النيـــةَ وارحم لـــوعتي بينـــك اللهُ على العهـــد وبيني

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول بعضهم :

قلت لمـــا خفـق القلب جـوىً حين شامتْ قرطـكَ الخفـاق عيني
كنت لا تملـــك إلاّ خـــافقـــا فهنيئـــاً لـــك ملـــكُ الخـــافقين

☆ ☆ ☆

وقد خمّستها فقلت :

واعتـــائي من معـــانـــاة الهـوى منـــه كم عضب على القلب هـوى
يـاحبيبـاً قـد كـواني بـالنـوى قلت لمـــا خفـق القلب جـوى
حين شامتْ قرطكَ الخفاق عيني
وانبرى دمعي لـوجـدي دافقـــاً يغلب السُحب طريقي طـــارقـــا
وحكى القلبُ ابن حـال صـادقـا كنت لاتملـــك إلاّ خـــافقـــا
فهنيئاً لك ملكُ الخافقين

☆ ☆ ☆

ويعجبني قول بعضهم وقد شطّرته :

(لقد كنت وحدي ورد خديك احتني) ومن نشره العطري تبـــدو العجـــائبْ
فـــــذا الـــوَرْدُ شَيْ لا أطيبُ بغيره (وريقُكَ وَرْدي ليس لي عنه حاجبْ)
(فعارضني في ذلك الوَرْدِ عارضٌ) يذُبُّ بني الأشواق عنـه الـذوائبْ
وأصـــدرني من ذلـــك الليـل راصـــدٌ (وزاحمني في ذلـــك الـوَرْدِ شـاربْ)

☆ ☆ ☆

ولطيف قول بعض الفضلاء :

ولمـــا رأيت الفضـــل ليس بنـــافـع ولا قـــدرَه يعلـو ولا قـــدْرَهُ يغلي
تجاهلتُ بين الناس لا عن جهالـة ولكن رجـــاءً أن يُقـــدمني جهلي

فشطرتها قائلا :

(ولما رأيتُ الفضلَ ليس بنافع) وأكثر غصّات الكرام من الفضل
فلا رحبه ناءٍ ولا ستحُّهُ ندىً (ولا قدْرُه يعلو ولا قدْرُه يغلي)
(تجاهلت بين الناس لا عن جهالة) وما أبعدَ الجهلَ المغيّبَ عن مثلي
وألبستُ علمي الجهلَ لا حطّةً به (ولكن رجاءً أن يُقدّمني جهلي)

☆ ☆ ☆

ولشيخنا القطب الكبير الرواس أبي البهاء السيد محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي[19] - رضي الله عنه - يمدح جده قطب الأقطاب الغوث الأكبر الإمام مولانا السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنه وعنا به - بهذين البيتين شطرتها كما ترى قال وقلت :

(أبو العلمين ابنُ الفواطم سيدٌ) له الفضلُ والعرفانُ والمجد تِيندُ
تقدم زُهر الأولياء وانه (على كل سادات الرجال له اليدُ)
(تواضع أقطاب البرية كلها) لما قد حباه الهاشمي محمدٌ ﷺ
نعم تَقْفُدُ الأفراد عن رتب العلا (اذا قام في دستِ الولاية أحمدُ)

☆ ☆ ☆

ولطيف قول بعضهم :

العلم في الرجل الحليم فضيلةٌ وتقيضه في الأحمق المطياش
مثلُ النهار يزيد أبصار الورى نوراً ويُعشي أعينَ الخفاش

☆ ☆ ☆

---

(١٩) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٢٢

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

ومن اقتفى علماً ولم يسلك عاملاً ... سلك الطريق وكان أعجز مائي
واذا تجرأ هاتكاً أحكامه ... نقض العهود وعُدَّ في الأوباش

☆ ☆ ☆

وقد ضمّت بيتي الإمام العارف الكبير أبي يزيد البسطامي[٢٠] رحمه الله وها هو كما ترى :

أثبتْ لنفسك رقّها ... لترى بكلّك فرقها
وبجمعها إن تلقها ... أعطِ المعيةَ حقها
والزمْ بها حُسن الأدبْ

واحفظ لشيخك عهده ... واطرح مُرادك عنده
واخضع لربك وحده ... واعلم بأنك عبده
في كلّ حالٍ وهو رَبّ

☆ ☆ ☆

وقد شطرت قول بعضهم بناءً على واقعة حال فكان تشطيراً كشطر كأس جريال :

(قد كنتَ عُدّتي التي أسطو بها) ... يومَ النزال وناصري ومساعدي
وحسامي الفتّاكَ في يوم الوغى ... (ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي)

---

(٢٠) أبو يزيد البسطامي :

طيفور بن عيسى : زاهد ، عارف بالله مشهور وله كلام عال في الشريعة والحقيقة . نسبته الى بسطام بلدة بين خراسان والعراق أصله منها ووفاته فيها سنة ٢٦١ هـ وثمة مقام في ضواحي دمشق بالقرب من قرية حيت نسبة اليه « حوش السلطان » : من الأعلام للزركلي والطبقات الكبرى للشعراني .

(فرميتُ منك بغير ما أملته) وهززت سيفاً مرهفاً للحاسد
قد يطرفُ العينَ الحديدةَ شعرُها (والمرءُ يشرق بالزُلال البارد)

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي ، ورشائق عباراتي :

يا من وهبت بكم والقلب طار لكم وزاد معنى غلاكم في شويداني
أحببتكم فلأنتم مهجتي غصصاً وتارةً يشرق الظمآن بالماء

☆ ☆ ☆

وما ألطف وأجل قول سيدنا الغوث الأكبر الرفاعي[٢١] رضي الله عنه :

يا من تعاظم حتى رقّ معناهُ ولا تردّى رداءَ الكبر إلاّ هو
تاهوا بحبك أقوامٌ وأنت لهم نِعمَ الحبيبُ وإن هاموا وإن تاهوا

---

(٢١) السيد أحمد الرفاعي

أبو العباس ، أحمد بن علي الرفاعي الحسيني ولد في قرية « حسن » من أعمال « واسط » بالعراق ، وإليه انتهت الرياسة في علوم الطريق وتخرج بصحبته جماعة كثيرة وتتلمذ له خلائق لا يحصون ، وله كتاب « عجائب واسط » لابن النجار ، إن عدد خلفاء السيد الرفاعي وخلفائهم بلغ « مائة وثمانين ألفاً » ، صال جيشه وجمع بعض كلامه في رسالة حبيت « رحيق الكوثر - ط » وهو الذي نقل عن الرجل المتكن فقال : هو الذي لو نصب له سنان على أعلى شاهق جبل في الأرض وهبت عليه الرياح الثلاث ما تحرك ، وكان لذا صعد الكرسي لا يقوم قائلا وإنما يتحدث قاعداً ، قلت : وبالجملة : فهو شيخ الإسلام ورحمة الله للخاص والعام ، قطب الأقطاب وهي اللغة والدين ، قال الشيخ مكي الواسطي فيه رضي الله عنه : كنت مع السيد أحمد الرفاعي ليلة في « أم عبيدة » فأحصيت له أربعين خصلة من خصال المصطفى ﷺ وهذا ما أدركته من ظاهر أحواله فكيف بباطنها

فهمت أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

☆ ☆ ☆

ولقد أجاد الفيروزابادي حيث قال فيه رضي الله عنهما :

أيها العاشقون أنت الفرد لكن أنا طالب الوصال فأنت حسبي

☆ ☆ ☆

ولي حبيبٌ عـزيـزٌ لا أبـوح بـــه ... أخشى فضيحـةَ وجهي يـومَ ألقـاهُ
أغـالـطُ النـاس طُرّاً في محبتـه ... وليس يعلم مـــا في القلب إلاّ هـو
قالوا :أتَنْسى الذي تهوى ؟ فقلت لهم : ... من العجـائب ينسى العبـدُ مـولاهُ !
مـا غـاب عني ولكن لستُ أذكرُهُ ... إلاّ وقلت جهـــاراً : قـل هـو اللهُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي بقولي وشتّان بين العال والدون :

يهُـزُني الـوجـدُ أطـواراً لعـزتـــه ... وليس يسْكُنُ هـزُّ الـوجـد لـولاهُ
أحَـطُّ في بـابـه دون الـسوى ثِقَلي ... وأحتلي من صنوف الكـون معنـاهُ
وإنّ آهـــاتِ قلبي في محبتـــه ... مـا انفـك آهٌ ولم يلحـق بـــه آهُ
اذا الهمومُ احـاطت بي لمـا كسبت ... يـدي أقـولُ منيبـاً : حسبي اللهُ

☆ ☆ ☆

ومما رواه عنه الجم الغفير من عظماء أهل العرفان أنه قال ـ رضي الله عنه ـ :

فليتـــكَ تحلـو والحيـــاةُ مريرةٌ ... وليتـــك ترضى والأنـامُ غضـــابُ
وليت الـذي بيني وبينـك عـامرٌ ... وبيني وبين العـــــالمين خرابُ
وليت شرابي من ودادك صـــافيـــاً ... وشربي من نهر الفرات سرابُ
فهـا كبـدي الحرّا عليـك تقطّعتْ ... وليـس قتيـل في هـواك يُعـــابُ
اذا صَحّ منـك الـود فـالكل هيّنٌ ... وكل الـــذي فـــوق التراب ترابُ

☆ ☆ ☆

= وله تآليف عديدة ، وتصانيف جليلة توفي رضي الله عنه بـ « أم عبيدة » بين « واسط » و « البصرة » سنة ٨٧٨ هـ : من ترياق العين لتقي الدين الطوسي ، وربيع العاشقين لعلي بن حمّاد الحماد ، والنفحة المسكية للفاروق الواسطي ، وخلاصة الاكسير لعلي الواسطي ، والعقود الجوهرية للفاروق ، والتاريخ الأوحد للمؤلف .

وقد زاد رُواة هذه الأبيات بيتين لم يذكرهما البعض وهما : وليت شرابي الى آخره والذي بعده .

وقد ألحقت قول سيدنا الإمام الرفاعي ـ رضي الله عنه وعنا به ـ بقولي :

اليك رجوع الطالبين بأسرهم ... ومالهمُ من دون بابك بابُ
اذا مادعا المضطرُّ غيرَك رده ... على عقبٍ صدٌّ وليس يُجابُ
وما للأُولى هزُّوا القلوبَ الى السوى ... اذا خاطبوه في الشؤون جوابُ
ومن أعجب الأشياء والحقُّ ظاهرٌ ... اذا خضعت للميتين رقابُ
ولم تُجْحَدِ الأسبابُ والحكمُ مُقْنِعٌ ... وللمبدعِ الحقِّ الرجوعُ صوابُ

☆ ☆ ☆

ويعجبني ما أنشده الإمام العارف جمال الدين أبو محمد خطيب الحصن الحدادي الشافعي[٢٢] خليفة سيدنا وملاذنا الغوث الأكبر الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ يمدح الإمام عليَّ الرضا بن الإمام موسى الكاظم سلام الله ورضوانه عليهما ونصه :

عليٌّ إمامُ الدينِ والرشدِ والهدى ... محبتُه دينٌ وما الدين كالُّورقْ
سليلُ رجالٍ طهَّر اللهُ بيتَهم ... بموساهمُ لو لاذَ فرعون ماغرقْ

☆ ☆ ☆

---

(٢٢) جمال الدين الحدادي

جمال الدين محمد ويقال له : مقدام ، خطيب « أوبية » ابن علي بن محمد بن جمال الدين الخطيب الكبير الحدادي الواسطي الشافعي الطائي ، صاحب المحامد الكثيرة والعلوم الغزيرة ، أصله من « الحدادية » بلدة من أعمال « واسط » مشهورة ، سكن أبوه « أوبية » وولد صاحب الترجمة بها ونشأ في بيت المجد والعلم والصلاح والتقوى ، وذا ذكره واشتهر أمره ، تخرج بصحبة السيد أحمد الرفاعي وكان آخر أتباعه وأعيان أصحابه توفي سنة ٥٨٥ هـ بـ « أوبية » عن تسعين سنة ! من العقود الجوهرية للفاروقي .

فأخفت قوله المبارك بقولي :

فَعَنْ نـارِ وجـدٍ فيـه قلبي مقيـد ودمعي من الشـوقِ المبرِّح منطلـقْ
يكادُ وجودي من ولوهيَ بـالرضـا بنـار الجـوى لـولا دمـوعيَ يحترقْ

☆ ☆ ☆

ومن دُر كلماتي ، ورقائق إشاراتي ، قولي :

قيـل : بعـد العُـلا ونيـل الأمـاني نِلتَ عيش الكفـافِ لا بـالرخـاء
قلت : هـذا دعـاءُ خَيرِ البرايـا وأبـو الآل مُستجـابُ الـدعـاء

☆ ☆ ☆

ويعجبني قول الفاضل الكبير الشيخ أبي الفتح علي بن محمد البستي[٢٢] رحمه الله :

لا تلمني على اضطرابِ ثراءْ في كتـاب أخطـه أو قريضِ
فـأعـزُّ الأشيـاءِ عنـدي وجـوداً صِخـةُ القـول في الـزمـان المريضِ

فأخفت قوله بقولي :

تبعثُ العينُ للتـأسف دمعـاً إذ ترى في السّماك لـؤْثَ الحضيضِ
وترى الأسفلينَ تسمو مقـامـاً وظغـام الـورى بجـاهٍ عريضِ
فكسيرٌ للـزمـان قـد صـار مُغْرى عن عتـاد محضٍ بحباً البغيضِ
هـذه يـا هـذيمُ أطـوارُ وقتٍ دفعتـه الأغراضُ للتعريضِ

☆ ☆ ☆

---

(٢٢) أبو الفتح علي بن محمد البستي :
علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي أبو الفتح : شاعر عصره وكاتبه ، وُلد في بست وإليها نسبته وكان من كُتّاب الدولة السامانية وفي كتب الأدب كثير من نظمه وله ديوان شعر مخطوط وهو صاحب القصيدة الشهيرة التي مطلعها : زيادة المرء في دنياه نقصان ، مات غريبا في بلدة أوزجند ببخارى سنة ٤٠٠ أو ٤٠١ هـ : من الأعلام للزركلي .

ويعجبني قول الفيلسوف الفاضل أُميّة بن أبي الصلت المصري[٢١] وهو :

حسبي فقد بَعُدَت في الغي أشواطي ... وطال في اللهو إيغالي وإفراطي
أتلفتُ في اللهو عمري غير متعظٍ ... وجُدْتُ فيه بسوفٍ غير محتاطِ
فكيف أخلصُ من بحر الذنوب وقد ... غرقتُ فيه على بُعْدٍ من الشاطي
يا ربِّ مالي ما أرجو رضاكَ به ... إلاّ اعترافي بأني المذنبُ الخاطي

☆ ☆ ☆

وقد أخفت قوله بقولي :

أبكي لما منّي من زلة عظُمتْ ... فحرتُ ما بين تفريطي وإفراطي
ورُحتُ في طيّ حالٍ ضمن غلغلةٍ ... ظلماءَ منسوجةٍ لا نَسْجَ أمراطِ
أشكو الى الله أوزاري ومثقلتي ... وعُسْرَ ذرْبي وتخليطي وأغلاطي
مولاي يُسعفُني والذنبُ يُثقلني ... وحار قومٌ بإعلائي وإسقاطي
والحمد لله إني من بني قمرٍ ... من الفواطم من أعيانِ أسباطِ
أعني الرفاعيَّ مَنْ آياتُ حكمتِهِ ... أزرتْ بحكمة سقراط وبقراطِ
ونظمتُ من عقودِ القدس سلسلةً ... أفلاذها لم تُشاكل فَلْذَ أسفاطِ
أعلو بهمتِه عن وهدةٍ سَفَلَتْ ... بهمتي وبصونُ العونُ أرهاطي
كذاك آلُ رسولِ الله نفحتهم ... تُدني لصدر العُلا مبْعُودَ أشواطِ
يا ربِّ بالمصطفى والآلِ خذْ بيدي ... واخْلُلْ بلطفك أعقادي وأرباطي

☆ ☆ ☆

---

(٢١) أمية بن أبي الصلت المصري

أمية بن عبد العزيز الأندلسي الغافي حكيم أديب ، في شعره رقة وجمال . من أهل « دانية » بالأندلس ولد فيها ورحل الى الشرق فأقام بـ « مصر » ثم انتقل الى « الهدية » من أعمال المغرب وبها توفي سنة ٥٢٩ هـ من تصانيفه « الحديقة » و « الوجيز في علم القيافة » ، من الأعلام للزركلي .

ومن شرائف منظوماتي ، ورقائق كلماتي ، في مدح سر الوجود نبينا الأعظم ﷺ قولي :

فـؤادٌ لفقـد الظـاعنين عليـلُ ... وآهٌ لمـاتيـك الـوجـوه طـويـلُ
ودمعٌ كهطّـال الـسحـائب لم يـزلْ ... على الخـد مني بـالـولـوه يسيـلُ
يُـذكّرني أحـبـاب قلبيَ خـاطري ... فيعظُم من قلبي الجريـح عـويـلُ
أقـول عسى تشفي الخـواطرَ غلتي ... وهـل يشتفي بالخـاطرات غليلُ ؟
كأن جميـع الـخـالجـات لفكرتي ... لهُنّ بجمرِ للفـؤادِ سبيـلُ
أُغالطُ ما يبدي الخيالُ لعلّ أن ... أراهُ بقلبي للسكـون يميـلُ
وأطـوي على وجـدٍ وأنشر لـوعـةً ... تبـرّي وجسْـلَ الاصطـلام تفيـلُ
ألا أيّهـا الركبُ الجـدُّ عشيـةً ... وقـد طـار منـه سـائـقٌ ودليـلُ
ترفّـقْ بقلبٍ حشـوَهُ الهمُّ والعنـا ... وجسمٍ لـه هـذا الهيـامُ مثيـلُ
عليّ كثيرٌ بَعْـدَ قـومـكَ طرفـةٌ ... ومِنّي عليهم ذا الـولـوعُ قليـلُ
وحقّ هـواهم والليـالي التي انقضتْ ... لـديهم وربي شـاهـدٌ وكفيـلُ
يَمُرُّ عليَّ الليـلُ لم أعرفِ الكرى ... وصبري قليـلٌ والغرامُ جـزيـلُ
أُناجي بـأسقـامي النجـومَ كأنمـا ... لنـاري لَظى ذاتِ الوَقُـود عـديلُ
ويَرْبـعُ من دمعي المسلسـل زيعُهم ... وزَيْعي لأجّـاج اللهيب مَحيـلُ
فيبكي لآلامي خليـلٌ مُـلامٌ ... ويرحمني ممـا أكِنُّ عـذولُ
وقـائلـةٍ : أسْرَفْتَ بـالأنْ والبكا ... وفي الحب ذو الإسراف فهـو بخيـلُ
ألا فـذرِني يـا هـذيمُ فللهـوى ... زلازلُ منهـا الراسيـاتُ تـزول
وإن خليـلاً يجهـل الحبَّ مُهْمَـلٌ ... ومـا بـواءٍ عـالمٌ وجهـولُ
الى الله أشكـو مـا ألاقي من النـوى ... فشخصيَ من وهن البعـاد نحيـلُ
لقد حيرتني الحـادثـات بصـدْعهـا ... فصبرٌ على مـا قـد لقيتُ جميـلُ
ومالي سوى جاه النبي ﷺ وسيلة ... يُعَـزُّ بهـا رغم الـزمـان ذليـلُ

نبيٌ حباهُ اللهُ جاهاً ورفعةً ... ووجهاً لهُ فيما يرومُ قبولُ
هدى بهداه الناسَ مولاهُ رحمةً ... فطالعهُ للصالحات دليلُ
ومنهُ تنزى سرُّ الفتوح وإنهُ ... بهِ اللهُ يُعطي المرتجى ويُنيلُ
تباهى بهِ قبلَ البروز مفاخراً ... صفوفَ المعالي آدمٌ وخليلُ
لهُ الشرفُ الباذخُ في قِمَّةِ العُلى ... إذا اسودَّ من وضحِ النهارِ قبيلُ
وعِرْقٌ كريمُ النبعتين مطهَّرٌ ... وعجدٌ بضئضيهِ الخليلُ أثيلُ
لهُ المددُ المحضُ الذي لم يَفُزْ بهِ ... من المرسلين الطاهرين رسولُ
لهُ بدرُ سعدٍ شمسهُ قطُّ لم تغبْ ... وقدرٌ بحزبِ الأنبياءِ جليلُ
محاضرةُ الأرواحِ وهو لصونها ... خُزامَ إلهيُّ الفضاءِ صقيلُ
قويٌّ بعونِ اللهِ في الخطبِ عزمهُ ... وعزمٌ صروفَ الحادثاتِ كليلُ
ولا شكَّ بعدَ اللهِ جلَّ جلالهُ ... اليهِ أمورُ العالمين تؤولُ
بهِ الحجابُ عن وجهِ الحوادثِ ليلُها ... ومنهُ استنارتْ أرضُ وطلولُ
وبالعلمِ والعدلِ الذي قد أفاضهُ ... تفاخرَ جيلٌ في الوجودِ وجيلُ
أتانا بشرعٍ كلهُ الحقُّ والهُدى ... فما عنهُ إلاَّ للضلالِ عُدولُ
فكلُّ تقيٍّ عاملٍ بنصوصهِ ... لهُ لمذاقِ السلسبيلِ سبيلُ
أعارَ وجوهَ الفضلِ من نورِ وجههِ ... ضياءً لهُ وجهُ الصباحِ خجيلُ
وأحيَ القلوبَ الغُلفَ بعدَ مماتها ... وبالدينِ طابتْ أنفسٌ وعقولُ
يُرجّى غداً واليومَ للقصدِ والمنى ... وما خابَ أنّاً في حماهُ نزيلُ
اليكَ أبا الزهراءِ يا علَّةَ الورى ... أطيرُ بقلبي والهمومُ تصولُ
بمذمومِ أفعالي وأنتَ محمدٌ ... عليكَ أرجّي المكرماتِ دخيلُ
تدارَكْ رسولَ اللهِ فقري وفاقتي ... فجاهُكَ مقبولٌ وأنتَ وصولُ
وأوفرْ عطائي منكَ إني عويجزٌ ... عليَّ من الوزرِ الثقيلِ حمولُ
ولاحظْ بعينِ الفضلِ وارحمْ قرابتي ... فإني على عيبي اليكَ أؤولُ

وأنت حبيبُ الله سيـــد خلقـــه ... وأفضلُ من يُرجـو نـداهُ فضيـلُ
تهادتْ لـك الأرواحُ من كل حضرةٍ ... وأمّتْـــكَ من زُهْر القلـوب قفـولُ
بروحي غُبـار مَسَّ نعليـك إنـه ... عن الروح عنـد العـارفين بـديـلُ
فكلـك إحســانٌ وخيرٌ ورحمـةٌ ... وجـــودٌ وبرٌّ وافرٌ وجميـــلُ
وما الفضلُ إلاّ مـا إليـك انتماؤهُ ... وإن لم يكن يُنْمَى اليـك فُضـولُ
فللأنبياء الزُّهر منك استفاضـةٌ ... وعنـــك روايـــاتٌ لهم ونقـولُ
بك الكل قِدماً في الصّعاب توسّلوا ... وأسعف هـاتيـك الحبـالَ وصـولُ
ولـلأوليـاء الفَرْ بـابـك ملجـأ ... بـــه حُـزبهم حتى المعـادِ يقيـلُ
فتَلحـقُ منهم عـــاجـزاً وتُثيبُهُمْ ... نـــوالاً وأعشـــازَ الكرام تُقيـــلُ
نـدبتـك للجُلّى وأنتَ أجـلُّ مَنْ ... يُحـاضِرُهُ في الصـادمـاتِ وَجـولُ
بجـاهـك عنـد الله دارك عـوائقي ... اذا انحـازَ عن درب الخليـل خليـلُ
ولا تُهملنْ من أهـل بيتك مـذنبـاً ... فـــأنت قـؤول صـــادقٌ وفعـولُ
وكم خـامـلٍ لاحظتَـه بعنـايـةٍ ... فراح بـــأمراط الظهـور يجـولُ
وإنـك يـا روحَ البريّـاتِ مَوْئِـلٌ ... اذا طـاشَ قـالٌ في الخطـوب وقيـلُ
أُناجيك محتـاجـاً وغضّتْ عزيمتي ... بـــه من دواعي النـــازلاتِ فُلـولُ
فصلْ حبـلَ امـالي بجـودك واكفني ... بجـاهـكَ همّـاً للشـداد يُـزيـلُ
وصلى عليـــــك اللهُ والآلَ كلهم ... وصحبـكَ مـارشٌ الريـاض سيولُ
ووارثـك الغوث الرفـاعي مَنْ لـه ... مـددتَ يـداً هـامَ السّماك تطـولُ
فـأياتـك الكبرى ودولـةُ قُـدسهـا ... لهـا غُرر طـولَ المـدى وحُجـولُ

☆ ☆ ☆

ومـا أشرف قول سيدنا الإمام السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس - رضي الله عنه وعنا به - متوسلاً :[٢٥]

(٢٥) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٣٢ .

إلهي بطويّ الشؤون التي تُبدي ... رقائقَ طرزِ الكونِ في القربِ والبُعدِ
بجلجلةِ القرآنِ والحِكَمِ التي ... تضمّنها والأنبياءُ أولي المجدِ
بأحمدهم طه وبالآلِ كلهم ... وبالصحبِ أصحابِ الوقوفِ مع العهدِ
بزمْزمةِ الأملاكِ بالصّدقِ والوفا ... وتلوينِ ما يُخفي المولّهُ أو يُبدي
بآثارِ أسرارٍ نشرتَ بها الخفا ... وأترعت فيها أهلَ وذكَ بالوجدِ
بما قامَ في نظمِ الكيانِ وحُكمِه ... من النّسجِ في التركيبِ والجوهرِ الفردِ
بهزّةِ أطوارِ المحبينَ في الهوى ... بلوعةِ أربابِ الثباتِ لدى الحدّ
ببَلّ دُموعِ العاشقينَ وأنّهمْ ... وحَنّ قلوبِ العارفينَ ذوي الزهدِ
بكلِّ عظيمٍ وافقَ الحقَّ خاشعاً ... ولم يلتفتْ يوماً لعمرٍو ولا زيدِ
بكلِّ فتىً يُحيي الظلامَ مولّهاً ... يُسَلسِلُ بالوجدِ الدموعَ على الخدّ
بأهلِ الخضوعِ السائرينَ لربهم ... بصدقٍ غلا عن ما يُلجلجُ في الوعدِ
بسادات ساحاتِ الطريقِ كبارِه ... صدورِ الحمى في كلِّ حلٍّ وفي عقدِ
بسيدِ رُكبانِ الحقيقةِ أحمدٍ ... إمامِ الهدى مَن قالَ في حالةِ البُعدِ
رئيسِ كبارِ الأولياءِ وتاجِهم ... وأوحدِهم في العلمِ والفضلِ والرشدِ
بإخوانِه أهلِ القلوبِ جميعهم ... رجالِ التقى الموفينَ للحقِّ بالوعدِ
تكرّمْ وحُفَّ المسلمينَ برحمةٍ ... إلهيةٍ واشملْ بها عبدكَ المهدي
وصلِّ على المختارِ من آلِ هاشمٍ ... صلاةً بحُكمِ الفضلِ تعلو عن العدّ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول سيدي وملاذي الإمام السيد المهدي ـ رضي الله عنه ـ بقولي هذا :

ذعوتكَ يا ربي بجاهِ محمدٍ ﷺ ... إمامِ النبيينَ الأُولى الوافرِ الحمدِ
بسرِّ كتابٍ قد أتانا بنصّه ... حبيبكَ يهدي للحقيقةِ والرشدِ

بيضعتـــه الـــزهراء والآل مَن لهم ... جليلُ الفخارِ الطائرِ الصيت والمجدِ
بأصحابه الأعيانِ سادات ديننا ... رجالِ الهدى والحقّ والصدقِ والزهدِ
وبـــالتـــابعين الكاملينَ جميعهم ... وأتباعهم والنـــاهجينَ على العهـــدِ
وبـــالأوليـــاء الـــواصلين وغـــوثهم ... هِزَبْرِ الوَغى من قال في حالة البُعدِ
بوارثه الصيادِ ذي الفضل والنّدى ... وذُخري بهاء الدين بَضْعته المهدي
بكل العبـــاد الصـــالحين ومَنْ لهم ... وقوفٌ بـوح الصدق بـالجد والجهدِ
بَنْ طرحـوا الأكـوان عنهم تحققـاً ... بحُبك يـا مَنْ تُفرغُ الرشدَ في العبدِ
بـأهل التقى والعلم والوجدِ والصفا ... بـأهل قيـام الليلِ والجـد والجِـدْ
بمن أخلصـوا النيات فيك وسلسلوا ... دموعاً جرتْ كالسيل منهم على الخدْ
بمن أنت ترضـاهم وشـأنهمْ الرضـا ... ومَن طهّروا الأسرارَ في الحَل والعقدِ
تكرّم على العبـد الضعيف أبي الهدى ... بقربٍ فقد أغْيَتْهُ صـادِعـةُ البُعـدِ
وصلْ على المختار عبـدك مـا ازدهتْ ... برشٌ لطيف الـوبـلِ نـافحـةُ الـوردِ
وآلٍ وصحبٍ والرفـــاعيّ أحـــمـــدٍ ... إمـام صـفـوف الأوليـاء أبي اليـدْ

☆ ☆ ☆

وعذب قول شيخنا وسيدنا الإمام الرواس[٣٦] - رضي الله عنه وعنا به -

بواقعة محمدية :

لـك ســار اليـومَ يـاختـارُ شَمْسُ ... وبهم من بُعْـــدِهم حَـــزَنٌ وبَثُ
فـــأغثهم بحـــقِ ســـبْعِ مَثـــانٍ ... إنمـــا أنت لخلـــق الله غـــوثُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله المبارك بقولي :

---

(٣٦) تقدمت الإشارة الى ترجمته برقم ٣٢ .

يـا رسـولَ اللهِ يـا شمسَ الهـدى ... لـك روحي ثـابـتُ العـزم نحثُ
فتـــداركني بعـــزم غيثُـــه ... لا وأيم الله مـا ضـاهـاه غيثُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلماتي ، ورقائق تغزلاتي ، قولي :

ألا يـا لَيْنِ الأعطـافِ يـا منْ ... تطيَّلسَ رونـقَ اللطفِ البـديـعِ
فرائـدُ حُسنِـكَ الفتـانِ حـاكتْ ... بسـاطَ الـزَّهرِ في زمنِ الربيـعِ
جمـالُـكَ صـانـه معنىً جـلالاً ... لطـورِكَ قـامَ بـالطُّرزِ المنيـعِ
فتعشقـكَ العيـونُ مـعَ انـدهـاشٍ ... لبـاهرِ ذلـكَ الطَّـوْرِ الرفيـعِ
فكم عينٍ بهـا لـك فَرْطُ عشقٍ ... وكَمْ للـدهشِ من قلبٍ وجيـعِ
وهـذا شـاخصٌ لسنـاكَ وجـداً ... وهـذا للهـابـة كالصريـعِ
تفرَّدَ كلُّ ذي حُسْنٍ بـوصفٍ ... عـلا ونراكَ تُجْلَى بـالجميـعِ

☆ ☆ ☆

وحسن قول بعضهم :

اذا سـاء قلبُ المرءِ سـاءتْ ظنونـهُ ... وصـدَّقَ مـا يبـدو لـه من تـوهمِ
وعـاذلي عجبـه بقـولِ عـدوِّهِ ... وأصبـحَ في ليـلٍ من الشـكِ مُبْهَمِ

☆ ☆ ☆

ولبعض الأسباب فإني قد باريت هنا القائل بشيء من حكمياتي فقلت :

أرى الحُبَّ لم تُرْبَـطْ بِبِرِّ حبـالُـه ... ولم يَتَهيَّـأْ فطرةً للتصرمِ
وإن رحتَ بالإحسـان تثلج صدره ... يكافي بـما تـأتي بـه أمُّ مِلْـدَمِ[٢٧]

---

(٢٧) أم ملدم (الحمّى) . منه

وكم خائنٍ لم تعرف الخيرَ نفسُهُ ... يُؤَخِّرُ عن طيشٍ خليقَ التقدمِ
ويمنعُ شخصاً ربُّهُ فضلَ مجدهِ ... كريمِ خلالٍ باللئيمِ المذممِ
وقد تُبرِزُ الأيامُ كلَّ عجيبةٍ ... خَفَتْ بصدورِ الناسِ في طيِّ طِلْسَمِ
ترى الجاهلَ المفتونَ في طورِ عالمٍ ... يعيسُ بمرطٍ بالمباهاتِ مُعْلَمِ
وتُبصرُ من أهلِ الغوايةِ ساقطاً ... سَمَا بدرةَ العزِّ النبيهِ بنَلْمِ
وربَّ قريضٍ لفقدانِ قرشهِ ... بُهانٌ ومأفونٌ يُصانُ لدرهمِ
ويُنْعَتُ عِلْجٌ بالعزيزِ المكرمِ ... ويُشتمُ ممدوحُ الشمائلِ سيدُ
ضحكتُ على الدنيا فإن شؤونها ... ولو هي تبكي غرضةً للتبسُّمِ
تُقيمُ متاعَ الرَّجلِ في الرأسِ طِلَّةً ... وتُودِعُ سهمَ العينِ للجهلِ في الفمِ
دعيني أغلُوَى من عليلِ مزاجها ... فديتُها الوطفاءُ تُمطِرُ بالدمِ
ومن مُضحكاتِ الدهرِ وهي عجائبٌ ... وقوفُ جهولٍ في مقامِ مُعلِّمِ
وما العلمُ إلاّ بالتعلمِ يُقْتَنى ... وما الحلمُ إلاّ حاصلٌ بالتحلُّمِ
وإن أحرزَ الإنسانُ بالطبعِ شيمةً ... فتهذيبها بالعلمِ دون تلعثُمِ
ومن ساءَ في حُكمِ الطبيعةِ حالُه ... فليس له إلاّ زفيرُ جهنمِ
نظمتُ على رغمِ الطبيعةِ سِمْطاً ... ليَحْسُنَ في سلكي فلم يَنتظمِ
وربَّيْتُه في يُتْمِه بعنايةٍ ... فكانت كما ربَّى الأميرُ ابنَ مُلْجمِ
رجعتُ لحكمِ الطبعِ فالطبعُ غالبٌ ... وفقدانُ حكمِ الطبعِ غيرُ مُسلَّمِ
ولكن لشأنِ العلمِ في العقلِ قدرةٌ ... تُقيمُ بربِّ البخلِ طورَ التكرُّمِ
ولن يقلبَ العلمُ التُرابَ بطبعِهِ ... وفطرتُه تبْرأُ بمحضِ التوهُّمِ
فصاحبْ أخيَّ الصالحينَ أولي النُّهى ... وخلِّ صديقَ الوقتِ للوقتِ واسْلَمِ
وسلِّمْ لمولاكَ الأمورَ بحكمةٍ ... فمن هدْيِ ركنِ الشرعِ ليسَ تَسْلَمِ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف أفكاري ، ورقائق أشعاري ، قولي :

قـد رقّ كالمـاء القراح طبـعُ من ... أحببتُـه لُطفـاً وقلبُـه قَسَـا
كفرقـده وشَعْره أطـوارَه ... مُبرزةً وضح الصبـاح في المسـا
يضْحَـكُ إذ أبكي وشـأنيَ الرضـا ... عنـه اذا أحسن يـوماً أو أسـا

☆ ☆ ☆

قال المناوي ـ قدس الله روحه ـ في شرحه على (الجامع الصغير) : قال ابن السمعاني : سمعت إمام الحرمين يقول : كنت بمكة فرأيت شيخاً من أهل المغرب يطوف ويقول :

تمتّـعْ بـالرُّقـادِ على شمالٍ ... فسـوف يطـولُ نـومُـكَ بـاليمينِ
ومَتّـعْ من يُحبـك من تَـلاقٍ ... فـأنتَ من الفراق على يقينِ

☆ ☆ ☆

قلت : فأحببت تشطير هذين البيتين اللطيفين فقلت مُشطرا :

(تمتّـعْ بـالرُّقـادِ على شمالٍ) ... وإن تـك أنتَ من أهـل اليمينِ
ولم مُتفكراً أو مُستفيـداً ... (فسـوف يطـولُ نومُـكَ بـاليمينِ)
(ومَتّـعْ من يُحبـك من تـلاقٍ) ... وخَـلِّ خـلالَـق الحُسْن الضنينِ
وكن بـالقرب سمحـاً عن صفـاءٍ ... (فـأنت من الفراق على يقينِ)

☆ ☆ ☆

وحسن قول بعضهم :

لا تقطعنْ عـادة برٍّ ولا ... تجعلْ عقـابَ المرء في رزقـه
فـإنْ أمر الإفـكِ من مسطـحٍ ... وعـونَ الصّـديـقِ في حقـه

☆ ☆ ☆

فألحقت قول هذا القائل بقولي :

ولا تَرَ الكاذبَ خِـــلاً فقـــــد يُعرف دينُ المرء من صـــدقـــه
وتيهُ الأخـلاقِ جـــانبـــه فـــالإنـــسانُ محمـولٌ على خُلُقـــه
فصحح النيـةَ فـالصـدقُ والإخـ ـــلاصُ للرحمن من حقـــــه
قد أوجب الإخلاصَ باري الورى في عمـــل البرّ على خلقـــه
واعرفْ عروقَ النـاس فـالمرءُ قـد تُطْـوَى بـه الأخـلاق من عرقـه
يُنْشَرُ حَكَمُ العرقِ مهما انطـــوى من قـــدم المرء الى فرقـــه
فيُبْرِزُ الغـــامضَ ممـــا خَفي كأنّـــه يرويـــه من نُطْقِـــه

☆ ☆ ☆

ومن غُرر منظوماتي ، ورقائق كلماتي ، قولي :

غلب الكأسُ على طـوْرِ النـــدامى فتـداعـوْا حين ثُمُـوهَ قيـامـا
زَقْزَقَ الشمُّ لهم نـــافحـــةً منـه أعطتهم غيـاماً واصطلامـا
وَقَـدَ السـاقي بـه الفجرَ وقـد نَبَّهتْ نفحتُـه قـومـاً كرامـا
هـــزْمٌ من غير شُرْبٍ عطرهُ فقضَوْا سُكراً ومـا ذاقـوا المـدامـا
آهِ مـــا أشرفهـــا من ثمـــة بالشذا الفتاح قد تُحيي العظامـا
نُشرت من نَشرِ كأسٍ خمرُه غيرُ معصورٍ ولا خـامر جـامـا
حـــانـــه الحـــان الإلهيُّ الـــذي يُترع الكاســـاتِ برداً وسـلامـا
يـــاخليليّ وقلبي في الهـــوى مُرْغَمٌ أشبعـــه الحبُّ غرامـــا
أسعفـــاني إنني في لـــوعـــةٍ شُغِفَتْ روحي قعـوداً وقيـامـا
واذكراني قُربَ أعتـــابِ الحمى فلكَمْ قلبي لـــديهـــا يترامى
لي بـــذيّـــاك الحمى حبٌّ سما ذيلُـه عن رتبـة البـدر مقـامـا
دونـــه البـــدرُ ســـناءً وسنـــاً وعن الألباب كم يجلـو الظـلامـا

تسجـــد الشمسُ لـــه إذ ينجلي مُشرقاً رُحْ يا عذولي وتعامَى
قمْ بـــالركن من ســـاحتـــه وبمن قـــد بلّغَ البيتَ الحرامـــا
أنـــا لا أُلفتُ عن أعتـــابـــه أبـــدَ الـــدهر ولـــو ذُقتُ الحِمامـــا
ولكم نُحتُ لعـــالي بـــابـــه ببكاءٍ فيـــه أبكيتُ الحمامـــا
بـــدأ الحـــظ بـــه وجـــدي عسى حُبـــه يُجْعَـــلُ للعمر ختـــامـــا

☆ ☆ ☆

ويعجبني جداً قول الفاضل الكبير ، الأديب النحرير أبي إسحاق ابراهيم بن عثمان الكلبي الأشهبي المعروف بالغزي[٢٨] أحد فضلاء الدهر رحمه الله تعالى وهو :

الفضـــلُ فضـــلانِ طبْعيٌّ ومكتســبٌ وقَـلَّ ما اجتمعا في المرء واصطحبـا
من لم يكن أدبُ الأخلاق يصحبـه فـلا تعـدُّنَّـه من جملـة الأدبـا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

وتـــارةً يُصلـــح الطَّبْعيُّ مكتســبٌ والطبعُ يغلب ما قد كان مُكتسبا
فصـاحبِ القومَ أهلَ الفضلِ وارضَ بهم فـالمرءُ لاشـكَ في أعـدادِ من صحبـا

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول الغزي المتقدم ذكره :

أفـــدي الـــذي ضمني والبينُ يخفرهُ ولم يزعْـــهُ اختـــاءُ الظهر والشَّظفُ

---

(٢٨) ابراهيم بن عثمان الأشهبي

أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي الغزي أحد فضلاء الدهر شاعر مجيد من غزة بفلسطين مدح آل بوبه وغيرهم ورحل الى العراق وتولى خراسان سنة ٥٢٦ هـ . وله ديوان شعر مخطوط . من الأعلام للزركلي .

اذا تعـانـق مبْـتـاد ومعتـدلٌ كانا كالاضْلاع فيهـا اللامُ والألفُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي

وزيرٌ حبٌّ لئيم الطبـع ملتحبٌ ثوب التعالي ولم يَنْتَخْ بـه الشرفُ
لكنّهـا هـمّـة في النفس عن غرضٍ لا للصيـانـة والأخـلاقُ تختلفُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قوله في بعض الوزراء من رجال عصره :

من آلة الدسْت لم يُعطَ الوزير سوى تحريـك لحيتـه في حـال إيمـاءِ
إن الـوزير بـلا أزْر يُشـد بـه مثـل الغروض لـه بحرٌ بـلا مـاءِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

هي الـوزارةُ وزْرٌ أو مُـوازرةٌ والفرق يبدو كوضْح الشمس للرائي
إن شـدّدتْ بصنيع الخير نـافعـةٌ للنـاس سـالـمـةٌ من كل شنعـاءِ
ولم تُـدنّسْ بنهب المـال صيّنـةٌ بـالـدين والعقـل عن مقبـول آراءِ
فتلـك كالأزر للسلطـان تحرُسُـه يـومَ الملـمّـة من أغراض أعـداءِ
وإن تكن آلـةً للبلـع ملْعَنـةٌ للخصم فخـأ لإفـسـادٍ وإيـذاءِ
فتلك وزْرٌ وأدنى الناس حائزُها لـو للسماء سما فـالإست في المـاءِ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول الإمام الهمام جمال الدين الحدادي الشافعي خطيب الحصن[٢٦] يمدح الإمام الغوث الأكبر سيدنا السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي

(٢٦) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٢ .

الله عنها والمادح خليفة الممدوح عطر الله مرقده العالي :

إليك ابْنَ بنتِ المصطفى من قريحتي ... تُزفُّ بدورٌ بالمعاني كواملُ
جلتها سماء الفكر في مدحك الذي ... تُعطر منه في الوجود المحافلُ
فإنك شمسٌ ما لجلالكَ حاجبٌ ... وإنك بحرٌ ما لهراك ساحلُ
فلا طير إذ تُدعى ولا أنت ضيغمٌ ... بلى أنت إنسانٌ من الآل كاملُ
تراكَ نظامُ العصر بل روح أهله ... وتسقطُ بالفرض الصريح النوافلُ
أبو العلمين الغوثُ أحمدُ أنت في ... بني المرتضى نالٍ حكته الأوائلُ
لإن رام أقوام تَنَوُّك فاتئِدْ ... عن البدر فمرأ يقصُرُ المتناولُ
تَنَلْنَلُكَ الأفرادُ من كل جانبٍ ... اذا ذُكِرتْ للطيبين اللآلئُ
وإخوانك الأقطاب لكن بَنَوْهم ... قوابلُهم طلٌّ وطلُّكَ وابلُ
وأنت الرفاعي الرفيع قبيلُه ... بآلِ عليٍّ إذ تُعَدُّ القبائلُ
فيا علم الله الذي ثوبُ مجده ... لأطوار كُبّارِ الأئمة شاملُ
خلفْتَ عليّاً والحسينَ وصنوَه ... فبارثك عنهم وافرُ الحظِّ طائلُ
نرى الدهر عبداً أنتَ والله نصلُه ... وما قيمة الأغماد لولا المناصلُ

☆ ☆ ☆

فتشرفت وألحقت قوله بقولي مادحاً الحضرة الأحمدية العلية ، أيّد مجدها بالعز الصمداني رب البرية ، آمين :

تمسكتَ بالمولى وخليتَ غيره ... (ألا كلُّ شيء ماخلا الله باطلُ)
وقد قمتَ يا شيخ العواجز قادراً ... بربّكَ والمولى لذي الصدقِ كافلُ
وأيّدتَ شرعَ المصطفى بطريقة ... تمسّكَ فيها للنجاح الأفاضلُ
وأصبحتَ عن شمس الرسالة نائباً ... فحبلك موصولٌ وقلبك واصلُ
اذا صح لي من كأسك العذب شربةً ... فأهونُ شيء ما تقول العواذلُ

فخـــارك في بيت النبـــوة أبلـــجُ وعـــزمُـــكَ فعّـــالٌ وكفّـــك بـــاذلُ
وأنتَ لنـــا يـــا ابنَ النبي وسيلـــةٌ اذا أخطـأتْ نهج الصواب الـوسـائلُ
ترفّعتَ عن مثـــلٍ بعصرك يُرتجى أجَلُّ عـزٌ في نظم العصـور المماثلُ
وفي حـالـة البُعد الجلتْ لـك دولـةٌ من القُرب لم يقربْ لـديها مُطـاولُ
لئنْ عينـــاً تشتهي الرسـلُ لثهـــا وقد شوهدت جهراً ومـائم حـائلُ
لعمر المعـــالي إنهـــا لفضيلـــةٌ بها اندمجتْ حتى المعـاد الفضـائلُ

☆ ☆ ☆

ومن أعذب ماقيل في تمني اللقاء بعد الفراق قول أبي إسحاق ابراهيم بن خفاجة الأندلسي[٣٠]:

وعسى الليـــالي أن تَمُنَّ بنظمنـــا عقـــداً كما كنـــا عليـــه وأفضـلا
فلربمـــا نُثِرَ الجُمانُ تعمـــــداً ليُعـاد أحسنَ في النظـــام وأجـلا

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

لله سرٌّ في الشـــــــؤون مُطلسمٌ يـأتي بجمع الشمـل من قلب القلى
فـالشمس تجري ثم في سريـانهـا بـــاللطف تـــأتي المستقرَّ الأوّلا

☆ ☆ ☆

ولطيف قول ابن خفاجة في غلام نَحّاس :

تغشّى نـــوْرَ وجْنتـــه القتـــامُ وغطّى نُـــورَ صفحتـــه الـــسوادُ

(٣٠) ابراهيم بن خفاجة : ابن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي شاعر من أهل شرق الأندلس لم يتعرض لاستاحة ملوك الطوائف مع تهافتهم على الأدب وأهله . له ديوان شعر مطبوع . توفي سنة ٥٣٣ هـ . الأعلام للزركلي .

فـــا يهفـــو الى مرآه طَرْفٌ ولا يصبـــو لـــذكراه فـــؤادُ
يـــوتُ المرءُ ثم يعـــود حيـــاً وموتُ الحُسنِ ليس لـــه معـــادُ

☆ ☆ ☆

فأخذت قوله بقولي :

وأخشَنُ من دبيب الشَّعْرِ يـومـــا بلـوحِ الخـــدِّ أن يُمحى الـــوداذ
وأقبـــح مـــا تراه العينُ حبٌّ تخلـل طـور نيتـــه الفـــؤاذ
وفي المعنى يشـــاكلـــه محب على نقض العهـود لـــه اعتيـــاد
وربَّ مغـــالـــطٍ يُبـــدي انقيـــاداً وفي مطـــويِّ عمتـــه العنـــاذ
يُبـــدِّلُ أحسن الإحســـانِ ســـوءً وينكر مـــا تُقر بـــه العيـــاذ
ويطـوي المكر عن غـــدرٍ ودهراً بغير الـــوه ليس لـــه اجتهـــاذ
تُشب بـه الخـديعـةُ نـــارَ محقٍ كـذاك النار يطـويهـا الرمـاذ
وحفـــظُ الـود في الأشراف طبـعٌ يُصـــانُ كما يُصـــانُ الاعتقـــاذ
وودُّ الحبِّ يُقرنُ بـــالأمـــاني فيحفـــظُ إذ يـوافقـــه المراذ
مضى زمنٌ بـــه قـــد كان قـــومٌ يُقرُّ لصـــدق ودِّهم الجـــاذ
وصرنـــــا الآن في زمنٍ لئيم فتـــا ولقـــد تغيَّرت البـــلاذ

☆ ☆ ☆

ويعذب عندي قول الأمير مؤيد الدولة أسامة بن مرشد المنقذي ملك شيزر[٣١] :

---

(٣١) أسامة بن مرشد المنقذي .

أسامة بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري الأمير الملقب بمؤيد الدولة ، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر قرب « حماة الشام » ومن العلماء الشجعان ، له تصانيف في الأدب منها « لباب الآداب في البديع » ج ، ولد في شيزر وسكن دمشق وبها توفي وكتب ابن منقذ سيرته في جزء سماه « الاعتبار » ط ، وقد تُرجم الى الفرنسية والألمانية . الأعلام للزركلي .

إن كان دهراً لكم تعْـــــــدي الحُبُّ فقـــــــــد أعتقني الرّيبْ
أحببتكم فوق مـــا تـــوهمـــه النـــاسُ وخُنْتُمْ أضعـــاف مـــا حبـــوا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

والـــوعـــــة القلب في محبتكم تصيبُـــــه من هـــواكُمُ التعبْ
يعقـــوبُ قلبي فـــان بيـــوسفكم وفيْ أقـــوالكم دمٌ كـــــذبْ

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلماتي ، ودقائق إشاراتي :

مـــــاذا أُترجم عني إنني دنفٌ عجب طـــه ولكنّي أخـــو عـــوج
لقـد توالت كروبي والخطوبُ على ضعفي تـــداركْ رسـول الله بـالفرج
فـــإنْ جـــاهـــك مقبـــولٌ وفي مرضٌ وهـل عليـه مريضُ الـوزر من حرج "

☆ ☆ ☆

ولطيف قول الشيخ عبد الغني النابلسي[٣٢] طاب ثراه :

يـــاقمراً يُـــزري بشمس الفلـــكْ مـــا أنت في حســـنك إلاّ ملـــكْ
ملكتَ قلبي فترفـــقْ بـــــه كلُّ بهـــاءٍ وجمـــالٍ ملـــكْ
الله الله بنـــا يـــا رشـــا فـــإنّ قلبي في الهـوى قـد سلـكْ
أرسلتَ لي طيفـك تحت الـدُّجى يـــا طيفُ حيُّ اللهُ من أرسلـــكْ
مـولايَ مـا ذنبي اليـك ؟ اتّئـدْ في قتلتي مقـــدار أن أســـألـــكْ

---

(٣٢) الشيخ عبد الغني النابلسي .

عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي . شاعر . عالم بالدين والأدب . مكثر من التصنيف . متصوف . ولد في دمشق ورحل الى بغداد وعاد الى سورية فتنقل في فلسطين ولبنان وسافر الى مصر والحجاز واستقر في دمشق الى أن توفي سنة ١١٤٣ هـ وله نحو مائة مصنف : الأعلام للزركلي .

آأنتَ لي أضمرت عـــــدرا بـــــلا ذنبٍ ؟ وحـقّ الله مـا حَـلّ لـكْ
إعطفْ علينـــا وترفـقْ بنـــا وافعـل جميلاً بـالـذي جَمّلـكْ
ذُبتَ أيـــا قلبي عليـــه جـوىً ؟ ويْحكَ يـا قلبي أمـا قلتَ لـكْ !
وأنتَ يـــا نـــاظر عيني اتئـــدْ إيّـــاك أن تهلـــكَ فيمن هلـــكْ

☆ ☆ ☆

فأحقت قوله يقولي :

يـــا ملـــكَ الحسن امرؤٌ أمْلَـــكْ بـــالله لاتقطـــعْ فقيٌ أمّ لـــكْ
برزت كالصبـــح جمـــالاً على منصـــة اللطف فـــا أكملـــكْ
يـــا يـوسف البهجـــة في رونـقٍ دارَ بطرز الحُسن دَوْر الفلـــكْ
أخرستَ بـالوجـه زُلبحـا الهـوى فلم تقـل من دهشهـا هَيْتَ لـكْ
يـا كـوكبـاً لاح بسمـك العُـلا صـانـكَ بـالألطـافِ من جُمْلـكْ
أعرضتَ عني مُفرطـــاً بـــالقِلى يـــا نـــور عين الصبِّ من أغفلـكْ
يقصُرُ صبري وللّيْـــلِ النـــوى أقـولُ : لا كنتَ فـــا أطـولـكْ
يحـق عينيـك أعِنّ بـــالرضـــا مُضنىً برَحب القلب قـــد أنـزلـكْ
صـانـك في لُبِّ شـويـدائـه وبرداء الروح قـــد حَلّلـــكْ
وأنتَ سلطـــان جمـــالٍ قـــد استـــولى على لُبِّ فـــؤادٍ مَلـــكْ
في حضرة الحسن ودت البهـــا هـلْ مَلـكٌ أنتَ وإلاّ مَلـــكْ ؟
بـــالله يـــا يـوسفَ نـوع الجمـــال ارحم عـزيـزاً بـــالهـوى ذلّ لـــكْ

☆ ☆ ☆

وقلت والمعنى لطيف جداً :

أشكو اليـك أبـا الـزهراء نـائبـةً أنتَ بضيـقي فرْدُ الكرب بـــالفرج
إني مريضٌ بـأوزاري الغيـاث ومـا على المريض بحُكم النعْ من حرج

☆ ☆ ☆

وقلت والمعاني ، كطوالع حصول الأماني :

أهـلاً بريمٍ جـــاء في بغتـــة والليـلُ حبّـا مُسْـــدلاً ذيلَـــة
كأنـــه النُّعمان في (بـــابـــلِ) يمشي وقـــد خَفْتُ بـــه خيلَـــة
شـــارفني المخمـــورُ من طرفـــه فتـــحٌ من طرقي إذاً سيلَـــة

☆ ☆ ☆

وقلت أيضاً :

وافـــا حبيب القلب في غفلـــةٍ والليـلُ قـــد جرّ بنـــا ذيلَـــة
ضحكتُ مُـــذ وافـــا ولـــا مضى يـــاطفـــة القلب ويـــا ويلَـــة
وبكـير الجفن مُـــــذْ راشني أرســل جفني دهشـــة سيلَـــة
صـــولـــةُ ذاكَ الجفْنِ في كـره صـولـــةُ كسرى مرســلاً خيلَـــة
والبـــدرُ إذ يجلسو لنـــا وجهـــه والغُصنُ إذ يُبْـــدي لنـــا مَيْلَـــة
يهمـل وادي النيـل (بيرْسَ) لـو يُـــدركُ في سلطـــانـــه نَيْلَـــة

☆ ☆ ☆

وقلت أمـدح شيخي الإمـام الجـامـع الأوحـد القطب الأعظم السـيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس[٢٣] رضي الله عنه وعنا به :

أهـدتِ الشمسُ نورهـا في الكيـانِ لقبـول المـرجين للـزبرقـــان
وجـلا العصرُ عقـدَ فضـلٍ نضيـدٍ مـالـــه في خـزائن العصر ثـــانِ
وتبـــــدّا في مطلـــع الفجر كالفجر ســـــادون طَـــوْلـــــه النّيْرانِ

---

(٢٣) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٢٢

كشفة الغامضات مجلاة لما غيّن الضوءُ طامسَ الألوانِ
هبةٌ من أبي البتول بفضل الله أغلته ذروة الإمكانِ
كوكبٌ في حظائر القدس قد قام انحداراً بهيكل الإنسانِ
من صميم النور البتولي في طيّ بروج الهدى المجلّى للعيانِ
بخفاء طوى الظهور وحيناً لمعانٍ قد يُمزج الضدانِ
يا رفاقي والعهدُ دينٌ وللحب حقوق وللحقوق معاني
هل عرفتم لمن أشرتُ وإن كان مقامٌ لم يقترنْ بالثنانِ
هو بدرُ البهاء شيخي بهاءُ الدين مهديُّ نَوْبة العرفانِ
علم الأولياء قطبُ رحاهم تاج كُتّارهم وغوثُ الزمانِ
سيدُ العارفين شرقاً وغرباً نبويُّ المعنى لسانُ البيانِ
نكتةُ المجد في ذراري عليٍّ وارث النضْعتين عذبُ اللسانِ
مظهر الطُّور عن أبيه الرفاعي علم الشرق عارف الدوران
كنز حالٍ حوى صنوف كمالٍ مُجْنَ من بحر جدّه الجيلاني
سبق السابقين والفضلُ لله بعلمٍ جمّ ورفعةِ شانِ
وطوى في ثيابه كلّ فضلٍ وفخارٍ حاكى عقود الجُمانِ
هو رأسُ الأقطاب سيدُنا الرواسُ غيث الندى وحصن الأمانِ
جدّه الشرع والطريق بصدقٍ وعلومٍ ثقيلةِ الميزانِ
وأتى بالخوارق الفرحتى البلج الضوءُ منه للعميانِ
فإذا ما مال الحودُ عن الحق عناداً فدعه في الحرانِ
تنجلي الشمس وهو يشهد منها النور مُقلٌ بقلة الحيرانِ
يا لمجدٍ أعلاهُ مهديُّ آلٍ هم صدورُ الصدور في الركبانِ
من يساويه من أكابر أهل الله في العصر والسابقُ عاني
هو للخارقات كنز وللعلم عصامٌ وللطريقة باني

يتباهى الصياد فيه اذا ما عدّ القوم سادة الأعيان
سيدٌ فضله بكل زمان ينجلي ثابتاً وكلّ مكان
حِكَمٌ تقمع الجحود وزهدٌ وكلامٌ مثلُ الدراري الثمان
وخلالٌ تحكي النجومَ صفاءً لم تكن للزمان بالحِسْبان
باهراتُ الأطوارِ مستكملاتٌ بالإفاضات سيرة العدناني ﷺ
والكراماتُ من معارفه الزُّهرِ استفاضتْ كالعارض الهتّان
قد أعاد الجدّ الرفاعيّ من بعد خفاءٍ فلاح في الأكوان
جدّد النوبة الحسينية الطُّرز بشأنٍ لم يُبْقِ طَوْقاً لثاني
وانجلى في بغداد مرقده الأزهر كالصبح لامع الشريان
يا إمامَ الأقطابِ يا ابن خزام ضاق مني الخِناقُ خُذ بعناني
أنت حامي الحمى وغوثي وذخري وملاذي وملجأي وأماني
لك في الأولياء قدرٌ رفيعٌ وأيادٍ تَنُحُّ بالإحسان
ومعالٍ تَشُوْنُ طالعةَ الشمس وسرٌّ مؤيدٌ البرهان
لاتدعني ياعين أهل المعاني بعنائي عبْأ الزمان أعاني
قُم بحملي فالهمُّ أثقل عزمي وزماني بغوشه أضناني
وتدارك يا نائب المصطفى الطهر فأنت المؤيّدُ الأركان
أنا مالي سواكَ بابُ قبولٍ عند طه أرجوه في الحدثان
أوهنتْ عزميَ الذنوبُ وحسبي حُبُّكُمْ يا كتائب الرحمان
يا بني المرتضى بحق اتصالي وانتمائي لكم وصدق جناني
لاتقدُّوا حبلَ اتصالي لذنبي ولما صدّني من العصيان
وعلى ما طويتُ من كل عيبٍ عاملوني يا سادتي بالحنان
وعليكم من ربكم صلواتٌ زاهياتُ البُرود بالرضوان
ما بدا بارزٌ وغُمّ خفيٌّ ومضى واحدٌ وأقبل ثان

وتعـــالى عـــالٍ وخَـــطٌ وضيـــعٌ وتـــــــــــدلّى أنّ على إثرِ أنِ
وســـــلامٌ منـــــــا اليكم نقيٌّ مُتحـلٌ بـــالـــدُرِ والمرجـــانِ

☆ ☆ ☆

وغراماً بذكر سيدي ومولاي القطب الغوث الجليل ، ذي الباع الطويل ، السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس - رضي الله عنه - تشرفت بمدحه أيضا بهذه الأبيات المعمورات فقلت :

يـــا نجـوم السماء بـــالاغـلاس هل علمتِ الوفـان ماذا يقاسي ؟
أخـذتـه الأشـواق شرقـاً وغربـاً فـاغتـدى غـائبـاً عن الإحـاسِ
طـــاب لُبـــاً وهـــام قلبـــاً بحب الغـوثِ تـــاج الأكابر الرواسِ
الإمـــام المهـــدي أعني بهـــاء الـــدين شيخ الأعـــاظم الأكيـــاسِ
سُلّم العـــارفين قطب رحـــاهم شـامـخ الهمـة المتين الأســاسِ
قـــام في دولـــة الـولايـــة فرداً وأفـاض الهـــدى لـزُمر النـــاسِ
نـــاب آبـــاءه الأئمـــة مَنْ قـــدْ طُهّروا فطرةً من الأرجـــــاسِ
وجـلا رونـق الإمـام الرفـاعي بعـــانٍ تعلـو عن الالتبـــاسِ
وأتى بـــالمعـــارف المستنيرات شمـــوســـاً لاجـــذوة القبـــاسِ
أوضـح السير للقـوافـل في منهـــاج طـــه على صحيـح القيـــاسِ
يعلـوم بـــالـلـــك تَنْظمْ دُرّاً وعقـوداً من جيّـــد الألمـــاسِ
وفهـوم فيهـــا من المـــدد الأعلى رمـوزٌ بـــالنـور ذاتُ انبجـــاسِ
زقّ منهـــا المضـونُ لكن بمعنى الحكم حـــاكتْ ثُمّ الجبـــال الرواسي
رضي الله عنـــه من كنز فضـــلٍ وإمـــام مُقـــدّس الأنفـــاسِ
كم شهـدنـا لـذاتـه من شـؤونٍ بـاهرات الجـلال والإينـــاسِ

فطرارٌ مُطلسمٌ بخفـــــــــاءٍ وظهـــورٍ ولمعـــةٍ بـــالطماسِ
ومقـــامٌ لـــه من الغيب حـــالٌ كم بحـــالٍ ألان قـــوة قـــاسي
هـــو شيـــخُ العرفـــانِ والعلم والحلم وللأوليـــاء تـــاجُ الراسِ
هـــو بحر الحقيقـــةِ المتحلي بنعـــوتٍ تسمـــو عن الانـــدراسِ
من نعـوت النبي فيهـــا سطـــورٌ كلُّ حرفٍ منهـــا ستـــا نبراسِ
سيـــدي يـــا أبـــا البراهين يـــامَن بـــك صـوفي من لمـــة الـوسـواسِ
أنت روحي وطـورُ نشـــأةِ حـــالي خـــاليـــاً كنتُ أو مـع الجـلاسِ
فتـــــداركْ وهي بعـــزمٍ قـــويٌّ لأراني بكم شـــديـــد البـــاسِ

☆ ☆ ☆

وقلت أيضا بمدح شيخي الإمام المهدي المشار اليه ، رضوان الله تعالى عليه :

أحادي المطايا لاصْدِدتَ بعـائقٍ وزِحْت وغير الحـظُّ مستكمـل الجـدّ
اذا جئت للـــزوراء من أين الحمى بشرقيها فانزلْ وأقْلع عن الوخـدِ
وقف هـائماً مولـوه قلب متيـماً بباب رحاب السيّد الأيّد المهدي
وقبّل بصدق الوجد أعتاب بابه وعفّرْ فافرشْ فيه ديباجة الخدّ
وقلْ يا عزيز الآل يا كوكبَ الأولى أكابر هـذا الشـأن في شـدد الجـد
وياغـائب الهـادي ووجْـه وصيّـه عليٌّ أبي السبطين في بيتـــه الفرد
ويـاغوث هـذا العصر يـا شيخ أهلـه ويـا صاحب التصريف في الحلّ والعقد
تـدارك بـإذن الله فهفـةَ عـاجـزٍ دعـاك ووقْـتُ الهمّ زاد عن الحـدّ
وخذ بيدي يـا طـاهرَ الروح إنني الى بابك العـالي انتميتُ من الهُـدِ
لي الفخرُ أني عبـدُك الفردُ والـذي نَثَرْتَ لـك الأعلام خافقةً وحدي
فـأوصلْ بـر الله حبلي وإنْ طمتْ ذنـوبي وظنّ الضـدُّ أني في صـدّ

فإنك حلاَّلُ العقال وفـائض النـ ـــوال وذُخر الآل والصادق الوعد
ورُحْ بظلال المصطفى مع حيـدر وجَدِّك من قد قال : في حالة البُعد

☆ ☆ ☆

ومن كلام شيخنا الغوث الجليل السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي رضي الله عنه :

خفقتْ بُنـوة في أساجيف الحشـا رايـاتُهـا فيهـا هفيفُ طهـور
فعجبْتُ من نفخٍ يَهُزُّ قـوالبـاً فجعلْتُ فيُفزعهـا كنفخ الصـور
ويُثيرُهـا لطريقتي ويُطيرهـا لحقيقتي فترى لـوامـع نـوري
فتروح ثـاويـة القلـوب بـاحتي مرتـاضـةً في بيتي المعمـور

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت كلامه العالي بقولي فيه رضي الله عنه :

يـا أيهـا المهـديُّ والغـوث الـذي نـاب النبيُّ بطـوره المـأثـور
يـا لمعـةً من جـذوة النـار التي لمعتْ لموسى من حـواشي الطـور
أنت الإمـامُ الأوحـدُ المنـدوبُ إنْ صـالَ الـزمـان بعضـه المشهـور
ولأنتَ في أهـل الـوحى سلطـانهم وأنـا بظـل لـوائـك المنصـور

☆ ☆ ☆

وقد قلت بمدح شيخي الإمام الرواس رضي الله عنه :

يـا أيهـا المهـديُّ يـامن حُبُّـه في القلب للسرّ الخفيّ أنيسُ
أقـوى على إبليس فيـه فيقتـدي رهنَ الفرار لنـاره أبليسُ
لم يَلْـوِ قلبي عن هـواك منـذ المدا آنـاً زليخـاءً ولا بلقيسُ
يحـدو بـذكرك منْشـدي وكأنمـا بحروفـه للقلب مغنـاطيسُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول سيدي ومولاي الإمام الرواس رضي الله عنه :

فَرَشْتُ لكم عيني فعيني قريرةٌ بأقدامكم والعين موضعها القلبُ
فإن قلتُ عيني قيل بل عين بُغيتي وإن قلتُ قلبي قيل خير لك القلبُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت بإلحاق قولي هذا بقوله الشريف :

فعينيَ لاعينٌ لأفرشَ عينَها وعينيَ أعماها على رغمها الذنبُ
أُذكّرُ عيني كي تفزَ بذكركم وقد تنفع الذكرى محباً له قلبُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت وتنورت بمدح النور الأعظم ﷺ مادحاً مستنجداً :

يا إمام الوجود طيًا ونشراً وعميد الرسالة القدسيّة
يا أعزَّ الأعيان من رسل الله ومولى الكتائب الغيبية
يا حبيب الرحمن يا بهجة الأكوان يا نور ربنا ونبيّة
صلّ بفضل يا رحمة الله حبلي فلقد أفرطتْ بقطعي الخطية
وأغثني بنجدة وحنان واجْبُر الكسرَ يا رسول البرية ﷺ

☆ ☆ ☆

وقد تشرّف شيخنا الإمام السيد محمد مهدي آل عزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس - رضي الله عنه - بمدح الجناب الأعظم - ﷺ - مُفتتحاً بالإشارة لـ (بوارق الحقائق) فقال :

نَسجْتُ في (بوارق الحقائق) دقائقاً من تُحف الرقائق
مشحونةً بدُرر وغُرر منظومةً بفلْذ الطرائق
تؤول لله على وتيرة كان عليها سيد الخلائق

محمدٌ شمسُ الهدى سرُّ الورى ﷺ ... من جاء للناس بوعدٍ صادقِ
خزانةُ العلم الإلهي الذي ... جلجلَ بالخمر القديم الرائقِ
وقد أُفيضَ لأئمة الهدى ... فتكرَ الناظرَ قبل الذائقِ
طابوا بروحٍ نشر روح القدس قد ... زنحه بأشرف الحقائقِ
من همّة الهادي العظيم المصطفى ﷺ ... روح الوجودات حبيب الخالقِ
مُفيضُ علم الله قدسَ انثه ... لكل سابقٍ وكلّ لاحقِ
اللاحقُ الختمُ الكريمُ المتقى ﷺ ... بطرزِ فضل سرمدي سابقِ
والرحمةُ العظمى التي آياتها ... متلوّةٌ بنطقِ كل ناطقِ
ذو المدد الوضاح والعزم الذي ... قام بيأسٍ فائقٍ وراتقِ
صلّى عليه الله ما لاح على ... سجالفِ الظلام ضوءٌ بارقِ
وابلجتْ منيرةً شمسُ الضحى ... وجاء طارقٌ بأثر طارقِ
وآله وصحبه وكل من ... هام به بجملٍ وجدٍ عاشقِ
ومنْ عُبيده سلامٌ لم يزلْ ... مُعطّراً بالمسكِ أنف الناشقِ
أزفّه له بوجدي إنني ... من غيره مُقطّعُ العلائقِ

☆ ☆ ☆

فأخذت مُفتخرا ومُبتهجاً قوله العالي بقولي والله المعين :

نزلتْ بنا الركبان تبغي المنحنا ... بُوركتْ يا سائقها من سائقِ
فبانْ وصلتَ الحيَّ قفْ غربيّه ... بين بُنفْسج وورد شائقِ
واقرأ بتجويدٍ سلام مُغرمٍ ... مولّهٍ فانٍ ولوعٍ عاشقِ
واذكرْ لأهل الحي لوعة امرءٍ ... لم يلتفت يوماً لخوض ناعقِ
ذاب غراماً لكرام في الحمى ... ذوي عنايات أُولي سوابقِ
كشيخنا الإمام مهدي الرجال العلويّ صاحب (البوارق)

مـــا تلـــك من بـــوارقٍ خيلُهـــا وهمٌ فـــذي (بـــوارق الحقـــائـــق)
أبرز فيهـــا للهـــدى طرائقـــاً أنعمْ بهـــــا لله من طرائـــــق
قـــد أوضحت سُرسلـــوكَ المصطفى ﷺ خير البرايـــا طـــاهر الخـــلائـــق
ســـيـــد كلّ لاحـــقٍ وســـابـــق إمـــام كل عـــارف وصـــادق
برهـــان علم الله نـــور خلقـــه شمس المعـــالي فلـــكُ الرقـــائـــق
متى ألتجـــأنـــا لتراب بـــابـــه لـــذنـــا مـــع الأمن بطـــود شـــاهـــق
يـا مصطفى الرحمن من هـذا الورى أغثْ فـــإني مـوثـقٌ العـــوائـــق
أدعـوك والهمـومُ والـــذنـــوبُ والأتعـــاب حفّتْ بي بخطب طـــارق
وليس لي ســواك يـــا مَن فضلـــه الـوّاجُ قـــد يسبق كلّ ســـابـــق
غـوثـاه دارك يـا رسـولَ الله يـا أمْن خـوفٍ بـانـدهـاش صـاعـق
فـــأنت لله تعـــالى اليـوم بـــلْ وفي غـــدٍ وسيلـــةُ الخـــلائـــق
صلّى عليـــك الله مـــا حنّ امرءٌ اليـك عن وجـــدٍ بـــدمـعٍ دافـق
ومـــا سرى ركبٌ وأنّ عـــاشـقٌ واختبـــط الضـــوءُ بليْ بـــارق
والآل والأصحـــــاب والأفراد منْ أبنـائـــك النيجـــان للمفـــارق

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله تعالى عنه وعنا به :

أيـــــــا مفيضَ العين للعين لا غبتَ يـــا مـــولاي عن عيني
بنقطـــــة تنقش في عينهـــا يُفرّقُ بين العين والعين
فنـــوّر العين أيـــا عينهـــا لا تَرْم نـــور العين بـــالعين

☆ ☆ ☆

وتشرفت بإلحاق قوله العالي فقلت :

متى يـــــزالُ العينُ عن عيني والـــوزرُ طمّ العين بـــالعين

تُغـــــانُ عيني آهِ من عينهـــــا وآهٍ من غيني ومن عيني
لـــو مَحَـــقَ العينَ حبيبي بـــــه ولا أقـــــول العينُ بـــــالعينِ

☆ ☆ ☆

وما أشرف وألطف قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه :

جمعْتُ يَـدي عني فقمتُ بـلايـدٍ ومن أين مثلي أنْ يقـال لـه يـدُ
وألقيتُ كلي في وصيـد محمـدٍ ﷺ ومـا خـاب من يحمي حماه محمـدُ
وإني على الأمرين صعبٍ وهيّنٍ
محمـد حصني وابنـــه الغـوث أحمـــدُ

☆ ☆ ☆

فأتبعت قوله رضي الله عنه بقولي :

نعم كنزُ فقري سيـدُ الرسـل أحمـدُ ووارثـــه صـــدرُ الأكابر أحمـــدُ
وشيخ الحمى المهديُّ قطب الرحى الـذي
مـزايـــاه في كل المحـــافـل تُحمـــدُ
فـــإني على حَلْـو الـزمـــان ومُرّه لإحـــانهم تمتـد من روحيَ اليـدُ
وإني لهم عبـدٌ وإن طمني الخطـــا وكلهم لي كيفما كنت سيـــــــدُ

☆ ☆ ☆

وما أبهج وأرق وأدق قول سيدنا وشيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه :

اذا ما طرقتُ البـاب بـالـذُل أتحفوا بفتـح وقـد تـأتي العنـايـةُ بـالفتـح
يُسـاجـلُ دمعي عمني فرحـاً بهم فـأُغفـل تعـديلي وأذهـل عن جُرحي
ويعلـو سليمـانُ ارتقـائي بطـوره مع العزّ عن بلقيس قصدي والصّرْح

وتشرفت مفتخراً بإلحاق قوله الكريم بقولي :

تعلّقتُ عن صدقٍ بأذيال سيدي ... هزبرِ الحمى الهديّ واسطة النُّجحِ
وأعرضتُ عن بلقيس قصدي بحبه ... وعن صرحها إعراضَ مُستطرِ المنحِ
وعند سياقِ الخيلِ يومَ رهانها ... يُفرق بين الجد يامنيٌّ والمزحِ

☆ ☆ ☆

أقول ومما خامر الفكر ، وهبط الى السر ، انعطاف بالذُّل الى عالم السر والجهر :

دنوبي لعمري ليس يحصر عدّها ... لبيبٌ أخو فكر من الناس حاسبُ
جفاءٌ ووزرٌ وانقطاعٌ عن الحمى ... وهجعةٌ عزمٍ إذ تسيرُ الركائبُ
وغفلةُ قلبٍ بالهوى اسْودّ كلُّه ... وعمرٌ تقضّى مزْقته المآربُ
إلهي بأسرار الكتابِ وفضله ... وآياته الطوىٰ فيها العجائبُ
وبالمصطفى روح النبيين عينهم ﷺ ... محمدهم من فيه هام الأطائبُ
بإخوانه والآلِ والصحب كلهم ... أسودِ الوغى إذْ تُستنفرُ الكتائبُ
وبالأولياء الواصلين ومن على ... طرائقهم وَفّى وإن طاش عائبُ
بركبانهم إذ تُجهد السيْر في الدجى ... نشاةً وقد مالَ المسيرَ الجنائبُ
فهذا بأطوار الحقيقة حاضرٌ ... وهذا بأسرار المحبة غائبُ
وهذا له قلبٌ من الوجد طائرٌ ... وهذا له دمعٌ على الخد ساكبُ
بشيخي بهاء الدين والشهم صنوه ... أبي البركات ارحم فكلي ذائبُ
بذخري عليٌّ فهو ثالث سادةٍ ... عليٌّ لهم عهدٌ له الحفظُ واجب
أغثني بجمع الشمل إني مُشتّتٌ ... ومالي سوى الوزرِ المشتّتِ صاحبُ
بلطفك أدركني بفضلك داوني ... فإني عليلُ الذنب والوهنُ غالبُ
تخليت عن علمي وعن عملي وعن ... عصائبِ قومي إذْ تُعد العصائبُ

وجئتك أطوي الانكسار وذلتي ... ردائي ونجم الظن بالصدق ثاقب
فأوصل بمحض الفضل حبلي فإنني ... لوامع أنوار القبول أراقب
وصلّ على من بالهدى قد بعثته ... فعزّ به راضٍ وذلّ المجانب
نبيّك روح الكون قرة عينه ... حبيبك من تأوي حماه الحبائب
وأبنائه الزُّهر الشآبيب من علوا ... مقاماً قد انحطت لديه الكواكب
وأصحابه والتابعين جميعهم ... فهم أنجم فيهم تُناط الغياهب

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلمات شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه :

ألا اشتق العيون بماء الضياء ... فأنت لكل العيون الضياء
فعين الخواطر ترْعى السماء ... بظلّك يامن حماك السماء
بذكرك نشربُ رقراق ماء ... أجلّ والحياة كما نصّ ماء

☆ ☆ ☆

فتشرفت بإلحاق كلماته الشريفة قائلا :

طبعْنا لكم في القلوب الوفاء ... وما الدينُ ياقومُ إلاّ الوفاء
وجئنا نجُر ذيول الحياء ... ويُصْلح حالَ القلوب الحياء
فنوا علينا ببذل الرضاء ... فما قصدنا قطُّ إلاّ الرضاء

☆ ☆ ☆

ومن لطائف شرائف كلمات شيخنا رضي الله عنه قوله :

اذا احتبكَ الظلامُ فكنْ أميناً ... بأن العمّ يَعْقُبه الضياء
وإن لمع الصباح فدونَ ريب ... بحُكم الدهْر يعقبه المساء
فلا تعبأ بشيءٍ ذي زوال ... فما للزائل الفاني بقاء

ورّحْ مستسلمـــاً للحكم واقـــرعْ لربـك فهـو يفعـل مـا يشـاءْ

☆ ☆ ☆

وقد افتخرت وتشرفت بإلحاق قوله العالي بقولي :

شؤون الكـون إن قصّرتْ وطـالتْ بحكم الحـالتين لهـا انقضـاءْ
وهـذي الحـادثـات أجـلْ تفلي بـلا شـكْ ولله البقـاءْ
ظـلالٌ قـد يـواتكـه زوالٌ وأحـلامٌ يخـامرهـا الفنـاءْ
فحـلّ الكلّ عنـك فغيرُ ربي وَلُـوهـكَ فيـه لا لِلّـه داءْ
ومَن لم يَرْضَـهُ الرحمنُ حيـاً فَحَضْرَتُـه وغيبَتُـه سـواءْ

☆ ☆ ☆

ومن أعذب ماقيل قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه :

حرّم النـوم على العين وعينيـك يعـاذكْ
عجبـاً هـل قتلـة الصب بعينيـك مراذكْ
آهِ يـا قلبيَ قـد ذُبتَ وهـذا الـوَقْـدُ زادكْ
وعلى مـا فيـك يـاجفنيَ قـد طـال سهـاذكْ
والـذي تهـواه مـا أرضـاه في الحب ودادكْ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت قوله العالي بقولي :

أيهـا العـاذل لا كنتَ فقـد زاد انتقـاذكْ
ولقـد جفّ على لـوح الحِفـا منـك مِـدادكْ
قـال لي حبي على رغـمك مشكـورٌ جهـاذكْ
وسنجـزيـك بمـا ترضى فيهنيـك مرادكْ

وبنـــــا طب لم لايلْـــوى الى الغير استنـــــادكْ
واعتقـد عنـك رضـانـا يُصلـح الحـالَ اعتقـادكْ

☆ ☆ ☆

وعذب قول القاضي أحمد بن خلكان[٣١] رحمه الله :

أيـا مُعرضـاً عني بغير جنـايـةٍ أما تستحي من فرط تيهك والغجب
سلوتك فاصنع ما تشاء فبانـه محـاكثرةُ التقبيـح حبـك من قلبي

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

تعـزّزتَ طيشـاً بـالجمـال ولم تكن وفيًا وقـد أفرطتَ بـالصـد للصبْ
وتخْلـقْ عيبـــاً للمحب ولم يـــزلْ
أخو السوء زُوراً يمزج الصدق بالكذب

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه :

قصـــدي خَشيفُ زوضٍ من نسمـة الصبـح ألْطفْ
نكُرتْ قصـدي فقـالـوا نكُرتَ شيئـــاً مُعرّفْ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت بإلحاق قوله العالي بقولي :

نـاديتُ قـومي أغيثـوا قلبـ ولـــــوهٍ تلهّفْ
فعلـــةُ الضمّ فينـــا جنبـــــةٌ إذ تُعرّفْ
وفي التعـــــارف معنىً معنـــــاهُ ليس يُكيّفْ

☆ ☆ ☆

---

(٣١) ـــــ

ولشيخنا ـ رضي الله عنه ـ يُشير لحذف (هو) التي تُفيد التعريف من قوله : نسمة الصبح :

قـــالـوا : أفِـــدْ سرَّ هـــذا المعنى وفيـــه تلطفْ
فقلت : في ذاك معنى خـــافٍ كليْـــة أهيفْ
هـــويـــة هي لكنْ لكتم حـــالي تُحـــذفْ

☆ ☆ ☆

فأخفت قوله العالي بقولي :

مـــــاذا أُنكّرُ من بكل وصفٍ يُعرّفْ
بَعْـــدُه يـــالقـومي لامَ العِـــذار تـــألّفْ
هـــو المراد بنـــا في نفسي ومعنـــاه ألطفْ
إن المعـــــاني لعمري لَـــــدى الغنيّ تُحرّفْ
وعنـــــد ربِّ فهـــومٍ منهـــا الخفيـــاتُ تُكشفْ
وللفطـــاحـــل منهم لهم مـــع اللطف تُتحفْ
وكل هـــذي المعـــاني من بحر أحـــد تَغرفْ

☆ ☆ ☆

روى الكثير من الأكابر أن إمام الطريق مولانا وأستاذنا الجنيد بن محمد القواريري البغدادي[٣٤] ـ رضي الله عنه ـ كان يتكلم في مجلس درسه على الناس فأنشد متواجداً :

---

(٣٤) الجنيد البغدادي

أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، من أكابر علماء الشريعة والحقيقة ، قال الكعبي العنزلي لبعض الصوفية : رأيت لكم شيخاً ببغداد ما رأت عيناي مثله الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والفلاسفة لدقة كلامه ، والشعراء لفصاحته ، والمتكلمون لمعانيه ، وكلامه ناء عن فهمهم .

قال ابن الأثير في وصفه : إمام الدنيا في زمانه . وعده العلماء شيخ مشايخ الصوفية لضبط مذهبه بقواعد

الحب لا يصبر عن حبـــه أكثر من يـــوم ويـــومين
وقـــد صبرنـــا عنكم برهـــةً مـــا هكـــذا حـــال المحبين

☆ ☆ ☆

فقام غلام من أطراف المجلس وقال للإمام الجنيد ـ رضي الله عنه ـ : ما أحقاك يا شيخ أنا أقول :

الحب لا يصبر عن حبـــه أكثر من طرفـــــة العين
وقـد صبرنـا عنكم ســاعـةً مـا هكـذا حـال المحبين

☆ ☆ ☆

فبكى الجنيد وطاب لقول الغلام وصار في المجلس حال عظيم .

قلت : وقد ألحقت قول ذلك الغلام بكلمات لي خدمة لمولانا الجنيد وإنصافه فإنه استحسن مقاله ، وصدّق حاله فأقول :

قـــد يغلب الصب هـواه وقـــد يغـــدي شهـــود العيْن بـــــالعين
يَرْضَى بفقـــــد العين من عينـــه ولا يكـــــــونُ البينُ في البين
حتى اذا شـــاهـــد محبـونـــه ولـــــو بـــــلا كيفٍ ولا أين
أحيـــــاه ذاك الحينُ في طيـــــه ونشره من صرعـــــــــة الحيْن
مـوتٌ بـــه رَوْحُ الحيـــاة انطـوى بجمـــــع ضـــــدين عجيبين
قـــد اشترى الله وبـــاع الأُولى فـــافطن لمعنى العين بـــــالعين

☆ ☆ ☆

= الكتاب والسنة سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع .
من كلامه : طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به .
ولد ببغداد ونشأ فيها وتوفي سنة ٢٩٧ هـ من « طبقات الحنابلة » للسيد محمد مهدي الرواس . و « منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين » .

ومن لطائف كلام سيدنا ومولانا الإمام السيد بهاء الدين مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس رضي الله عنه وعنا به :[٣٦]

روحُ تروح بكم فتُحْيي رِبْهـــــا فيروح حيًّـــــا إذْ تروحُ الروحُ
يـــا جملـــةً نظمَ الغرامُ بنصِّهـــا منْشـــأ لـــه صحفُ القلـــوبِ شروحُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت قوله المبارك العالي بقولي :

طـــاب الأُولى لـــما فـــدوا أرواحهم لحبيبهم وأنـــا الفطيـــع أنـــوحُ
لم تُشفِ المشتـــاق نفحـــةُ روح مَنْ يهـــــــواه إلاّ أنْ تروحَ الروحُ

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلمات سيدنا وملجأنا الغوث الأكبر الإمام السيد أحمد الرفاعي[٣٧] رضي الله عنه وعنا به قوله :

والله لـــو تـــوجي سيـــــدي بتـــــاج كِسرى ملـــــك الشرق
وكلُّ نيجـــــان الأُولى من مَضَى منهم الى الله ومن قـــــــد بقي
وقـــال : أن لا نلتقي ســـاعـــةً لقلتُ : يـــا مـــولاي أن نلتقي

☆ ☆ ☆

وقد تنورتُ وافتخرتُ وتشرفتُ بإلحاق قوله النيِّر المقدس بقولي وأين ضوء الشمس من ضوء الزجاجة وهذا ما قلته والعون بالله :

أضرُبي بعـــد الحبيب الـــذي فـــاق محيّـــا الصبـــح بـــالرونـــق
لـــو ضفتْ للبـــرق جمالُ النورى جمـــالُـــه الـــوضّـــاحَ لم يُشْـــرِق

---

(٣٦) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٢٢

(٣٧) تقدمت الاشارة الى ترجمته رضي الله عنه برقم ١١

تسيرُ في معنـــــــاة روحي على وجْـــــــهٍ من الغرب للمشرق
أغرقني مـــــوّاج بحر الهـــــوى من قـــــدمي فيـــــه الى المفرق
ولـــذنـــوبي فـــوق حـــدّي بـــأن أطلبَ بُعْـــــد البُعْـــــد أنْ نلتقي

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلمات حكيم العصر ، وغوث الدهر شيخنا الإمام السيد محمد مهدي الرواس الرفاعي رضي الله عنه قوله :

اذا حـــــــذفتَ ضميراً راح مستتراً عن نصّ قولي غـــزا قلبي وقـــد فتكا
وإنْ زدتَ ضميرَ القـــول أرجعـــــه لأصلـــــه راح قلبي يطرق الحُنكا
تلـــك الإشـــارةُ لم تكشف لمُغفلهـــا ولا يقـــاربهـــا لـــو يَنْطَحُ الفلكا

☆ ☆ ☆

وتشرفت بالحاق كلماته السعيدة بقولي :

لله جَفْنٌ لهجر الحبّ في أرقٍ مُضنىً متى ذكر الحِبُّ البسيطَ بكى
يُمزّقُ الليلَ سهراناً وإن هجع الـــ ـخليُّ رفرف عن دمـــع ضَمّى وشكا
فـــلا ضميرَ لـــه خـــالٍ ليرجعـــه لأصلـــــه والهـــوى صعبٌ اذا سُلكا
يـــاقرةَ العينِ بـــالله استمع كرمـــاً شكـــواي فهي ودينِ الحُب منك لكا

☆ ☆ ☆

ومن رقائق شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

لَمْـــا سُلِخْتُ عن التعريف عرْفني حِبّي ألاّ اعْجَبْ لتعريفٍ بتنكير
أصْغرتُ نفسي لـــه ذُلاً فـــأكبرني والحصمُ حـــارَ بتصغيري وتكبيري

☆ ☆ ☆

وقد تبخترت بحُلّة الافتخار ، بانتسابي لهذا القطب الجليل الفخار ، فألحقت قوله بقولي :

عُرفتَ من غير ما تنكير مرتبةٍ ... ياسيداً فيه تعريفي وتنكيري
اذا ذكرتُكَ أفنى في محاضرتي ... وقد أقول لروحي نحوه طيري
أحكي وأحكت والمُنيبُ أنت مع الحالين يا روح إضماري وتقريري

☆ ☆ ☆

ومن لطائف شرائف المنظومات الرواسية قول شيخنا رضي الله عنه :

وجُبّة عليٍّ إذ يُعَدُّ الناسُ ... في كل عصر دونه الأكياسُ
يثوب طه بأفانين الهدى ... أخلُ عليه يُنْسَقُ القياسُ
القومُ أهلُ الله جمّ طيبٌ ... والوجهُ من آل الوصيّ الراسُ

☆ ☆ ☆

وقد ابتهجت وتشرفت بإلحاقي قولي الآتي بقوله العالي :

اذا طغى الزمانُ أو باغٍ بغى ... وغيّر الودّ القديمَ الناسُ
قوّةُ ظهري وعصامُ مظهري ... ولنجاحي الركنُ والأساسُ
وجبّةُ عليٍّ في بنيه شيخهمْ ... ليُتهمُ البشيمُ العبّاسُ
على أبيه المصطفى الصلاةُ منْ ... مولاهُ ما تراذفَ الأنفاسُ

☆ ☆ ☆

ومن غُرر كلمات سيدنا الإمام الرواس رضي الله عنه قوله :

طِرْ بقلبٍ للبابِ إن ثبتَ طيراً ... بجناحيه للمآمِلِ طارا
وتقرّبْ من السعيدِ بصدقٍ ... فعسى تبتني لأُخراك دارا
وانظر الفطرةَ التي فطر الناسَ عليها وتعرفِ الأسرارا

كتب السرُّ في الجبـــــاه ولكن هـات من يجعـل الخفـاء جهـارا

☆ ☆ ☆

وقد تنورت فألحقت قوله المبارك بقولي :

قـــد أراد الإخفـــاء ربي للسرّ لـــذا صيّر الأنـــام حيـــارى
هم سكارى بخمر طمثٍ ومـــا هم من كـــؤوس كرْمِيّـــةٍ بسكارى
أذهـل اللبّ بـالجـلال وحكـــماً شغـــــل السرّ حيّر الأفكارا
وهـــدى العـــارفين لكن ســواهم قـــد نراهم لم يعرفـــوا الأسرارا

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول بعضهم في بابه :

هي الشمسُ مسكنهـــا في السماء فعـزّ الفـؤاد عـــزاءً جميـــلا
فلن تستطيـع اليهـــا الصعـــود ولن تستطيـــع اليـــك النزولا

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول القائل بقولي :

ومن رَسْـلِ الشمسِ هـذا الشُّعـاعُ ومُنْقطِـــعٌ حين تُلقي الأفـــولا
فخـلّ الحـوادث فـالحـادثـاتُ أحـا اللبّ من حكمهـا أن تـزولا

☆ ☆ ☆

وقد روى الإمام أبو يعقوب يوسف الخويّي[٢٨] في كتابه (فرائد الخرائد) بيتاً ونصه :

متى أرتِ الدنيـا نبـاهـةَ خـامـلٍ فـلا ترتقبْ إلاّ خمـولَ نبيـــه

(٢٨) يوسف الخويّي (أبو يعقوب) بن طاهر بن يوسف بن الحسن من أهل (خوى) من أعمال (أذربيجان) أديب خوي سكن توقان وولي نيابة القضاء بها من آثاره (فرائد الخرائد) في الأمثال والحكم فرغ منها سنة ٥٢٢ هـ قيل أنه قتل في وقعة المرب بطوس سنة ٥٤٩ هـ أو قبلها بيسير .

وقد ألحقت هذا البيت ببيت آخر فقلت :

هو الدهر يبدي الخارقات فداؤهُ وإن عزَّ يسامي السدواءُ ففيه

☆ ☆ ☆

ومن لطائف ابن المعتز العباسي[٣٩] طاب مرقده وهو معنى في غاية الحسن ونصه :

رأيتُ حياة المرء تُرخص قدرهُ فإن مات أغلتْه المنايا الطوالحُ
كما يُخلقُ الثوب الجديد ابتذالُه كذا يُخلقُ المرء العيونُ اللوامحُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله النفيس المزري بأجنحة الطواويس بقولي والله المعين

تراك العيونُ اللاحماتُ ولم تكنْ ترى منك فضلا والمشاكلُ قادحُ
متى غربتْ بالموت شمسُك أشرقتْ معاليك والسُّقامُ إذ ذاك مادحُ

☆ ☆ ☆

قال كثير ابن المطلب بن وداعة حين رأى فُجّار الأمويين أكثروا من سب السبطين والإمام أبي الحسنين ـ عليهم رضوان الله وتحيته وسلامه ـ وذلك في مُلك هشام الأموي :

لعنَ اللهُ من يَسُبُّ حسينـــــــا وأحـــاد من ســوقـــة وإمـــام
ورمى اللهُ من يَسُبُّ عليّـــــــا بصُـــــدام وأوْلـــق وجَـــــدام

---

(٣٩) ابن المعتز أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي الشاعر المشهور أحد من أجاد وتغلب وأبدع في (بصناعة) وأولع بالأدب ومع كماله وغزارة فضله لم يزل شخصا في مدة حياته ويرجو له بالخلافة ويظن أن الخلفة قد تسمه له فلم يتم له الأمر إلا يوما وليلة . توفي سنة ٢٩٦ هـ . مسالك الطلبين شرح أدب الدنيا والدين .

يـأمنُ الطيرُ والظبـاءُ ولا يـأ من رهـطُ النبي عنـد القـام

☆ ☆ ☆

فحبس والي المدينة كثيرا وكتب بشأنه الى هشام فأمره باطلاقه وأحسن اليه بعطية جزيلة .

قلت : الصُدام بضم الصاد المشدّدة داء يُصيب الحيوانات في رؤوسها والأولق كفوْعل هو الجنون .

وقد ألحقت قول كثير بقولي والى الله المصير :

آل بيت النبي أنتم لعمري رحمـةُ الله والهُـدى لـلأنـام
قـد نظمتم سلـك المفـاخر يزهـو بنبيٍّ ووارثٍ وإمـام
فعلى روح جـدكم وعليكم صلـواتُ المـولى وأزكى السـلام

☆ ☆ ☆

وفي (مضاحكة الأدباء) لشمس الإسلام ـ رحمه الله ـ أن عاملاً في زمن المأمون ـ طاب ثراه ـ طال مكثه في بلدة وثقُل حالُه على الناس فكتب بعض الأدباء رقعة فيها بيتان فاتصلت بالمأمون فعزله في الحال والبيتان :

وقـالـوا : العـزلُ للعمّـال حيضٌ لحـاةُ الله من حيْض بغيض
فـإن يـك هكـذا فـأبـو عليٍّ من الـلائي يئسن من المحيض

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي والحُكم لله وحسبنا الله :

اذا بلـغ الحصى بُرجَ الـدراري وقـد سقـط النجـومُ الى الحضيض
فـدعْ فكر الكيـان ونم سليمـاً ولا تسـأل عن الـزمن المريض

لقد خلط الحقائق بالمعالي ... وما عرف الحنيُّ من البغيض

☆ ☆ ☆

وفي مدح كلام شاعر قد ذكر الإمام أبو يعقوب الخويّي في الفرائد لبعضهم بيتاً مفرداً ونصه :

أرق من دمعة شيعية ... تبكي عليّ بن أبي طالب

☆ ☆ ☆

فأخذت قول القائل بقولي :

يبكي عليّاً كلُّ ذي حكمة ... فرّق بين اللغو والواجب
فحبّه دينٌ وآياتُه ... معجزة للكاتب الحاسب
حُب عليّ إرث أهل الهدى ... يدور في القادم والذاهب

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فأخذت قوله العالي بقولي :

قد عجبنا لمضمرات شؤون ... لطواها قد يعجبُ العاقلونا
نحن إنا لله بل واليه ... كيف ما دار دَوْرُنا راجعونا
قد فُتِنّا وما فُتِنّا بغير ... وحقيقاً لم يظلم الحاكمونا
ويكون الذي مع العلم قد كا ... ن ومن حق حكمه أن يكونا

☆ ☆ ☆

وما أبدع وأشرف وأسنى قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به ونصه :

وجعلنا[1] حكمٌ مضى فعجيبٌ ... بعد أن بُتَّ حكمُهم أنذرونا

(١) الإشارة هنا الى قوله تعالى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) .

فبمعنى (أتصبرون) وجـــدنـــا قـد يُوَفّى أجـورهـا الصـابرونـا
بين حُكمٍ وبين إيقـــاظ لُطْفٍ فتنـةٌ حَيّرتْ بهـا العـارفـونـا
نسـخ الحكمُ رَمْـزَهُ حينمـا خَـطّ بلـوح التقـدير كافـاً ونـونـا
ضـورع الفعـلُ مـذانيتَ أخِـلاّءُ كما كان قـافهم المضـونـا
عرّفـونـا وأنـذرونـا ولطفـاً أيقظـونـا ودهشـةً حيّرونـا
فـاذاً ضـارع المعـاني أحبّـاء انقيـاداً ولْيَصْبِرِ العـاشقـونـا
كلُّ نـاءٍ اذا صبرتَ فجّـاراً قـد تراهُ وأرْضَـه حيّرونـا

☆ ☆ ☆

ولطيف قول بعضهم في القهوة :

رُبَّ سـوداءَ وهي بيضـاءُ معنىً حُبُّهـا للنفـوس أضحى يُصـاحِبْ
لُبُّهـا قِشْرُه لقـد زال عنـه فلـذا غـوّضَتْ ضميرا غـائبْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي هذا ، وفيه معنى قدس شريف :

نَكِّرِ الـذنْبَ بـالنـاري وجـودي ودهـاني وزري بهجر الحبـائبْ
غـاب من نسبة الـوجـود ضميري فـأنـا حـاضر وقلبي غـائبْ
بنهـار الغرام ليلي مضى (إن في الليـل والنهـار عجـائبْ)

☆ ☆ ☆

ومن لطائف الإشارات الرائقة الرشيقة قول شيخنا وسيدنا الإمام السيد محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس رضي الله عنه وعنا به :

رأى البـارق النجـديُّ طرفي فخالـه رقيـق قـوام الحبّ والتبس الأمرُ

وأشرق فجرُ الصبح يـزهـو فظنـنـه مُحيّـا الـذي يَهْوى فهل كـذب الفجرُ ؟
تحدثتُ أطرُقي بـالـذي أنتَ موقنٌ ومنـك وأيم الله قـد يُقبـل العـذرُ
وذغ عنـك لـوم الـلائمين فـإنهم بـأعينهم رَمْيُ الحصى الأنجمُ الـزُّهرُ
وحبـك حُبَّ الحبِّ في كل حضرةٍ ومبتـدءٍ يُعْلي بـه الخبرَ الخُبْرُ

☆ ☆ ☆

وقد أحقت قوله العالي الغالي بقولي وفيه لسان حالي :

أرى طرقي المنكفَّ لم يزر بـارقـاً يقيس بـه حبي ليلتبس الأمرُ
ولم يزر فجرَ الصبح حتى أظنـه مُحيّا الذي أهوى ويكذبني الفجرُ
فإن قلتَ : يا طرفي تحدث في الذي لديه وقد غشّاه واويله الوزرُ
وإن عبث اللـوّامُ بي فتهجمَ بحقٍّ ومالي إذ أُساجلهم عـذرُ
ومبتـدئي مـا فيه من خير اذا أترجمه بـه يُعلي الخبرَ الخُبْرُ
وكلّي نقصانٌ وعيبٌ ومحلي ذنوبٌ مَحتْ طوقي وليس لها حصرُ
ومالي سوى حب النبي وآله ﷺ اذا ضمني من بعـد أن أُصْرَفَ القبرُ
وإني بـأعتـاب الـوصي وسـادتي بنيـه الأُولى مَنْ دون فيضهم البحرُ
وصدق انتمائي للرفـاعيّ أحمـد ولليـد المهـديّ والعهـدُ يَنْجَرُّ
تسلسله تلـك الأكفّ الى الـذي بكُبْـار زَهْرِ المرسلين لـه الصـدرُ
عليه صلاة الله مـا تتعلق الـدجى بصبح وفي سمك العُلا ابلج البدرُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

أحـاذر من عين الحبيب وقـد أرى المحبين من عين الرقيب تُحـاذرُ
شؤون بـأفهـام الرجـال تبايـنتْ لها باطنٌ يتلوه في النـق ظـاهرُ
فهـذا على دين المحبـة وارد وهـذا عن الحُكم المطلّسم صـادرُ

سرائر تغشاها الحياةُ ولم تكن لتُبلى لعمري يومَ تبلى السرائرُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت بإلحاق قوله العالي بقولي :

دعاني لدين الحب وجدٌ مُظلمٌ بسرٍّ وللحب الصميم سرائرُ
وهيبتي حتى فنيتُ بلوعتي وباطنُ حالي للأحبة ظاهرُ
ومالي سوى صدق المحبة شاهدٌ ومالي سوى الدمع المرقرق ناصرُ
أبوحُ بما في القلب من زفرة الهوى وبي غائبٌ من طور قلبي وحاضرُ
وما أنا في الركب اليماني واردٌ ولا أنا في الركب التهاميّ صادرُ
مقولاتُ أقوالي عليّ شواهدٌ وأسماءُ أفعالي لديّ مصادرُ
رقائقُ أسرارٍ يُطلسم نسجها من الحب معنىً في الحقيقة قاعرُ
وإن مليكَ الحبّ في لب أهله وإن نُوّع الأطوار نساه وأمّرُ

☆ ☆ ☆

ومن جواهر المعاني ماقاله شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

تدثّرْ بزِّ ربِّ البيت لما لأبرهةَ الطيورُ رمتْ حجاره
وأورد شيبةُ الحمد المعاني فأُفرغت البشارةُ في الإشاره
ترى المعنى فتبرزه الخفايا بجلاها وتبلج الشراره
فربَّ إمارةٍ طُويتْ بأمر تألّق عنه في المجلى أماره
معانٍ حارت الألباب فيها وكم تطوي الإشارة من بشاره
وكم لجناب وارثه الرفاعي بهذا الكون من مددٍ وغاره
وللصيّاد ذي الشرف المعلّى فكم في ظلمة سطعت إناره
وللمهديّ شيخ ذوي المعالي حلال تحت طيّات الستاره

ولمـــــــولى أبي البركات كم مِنْ براهينٍ حَرَسْنَ الـــــــدهرَ داره
وكم أعلى ابنُ خير الله يـــومـــاً بـرُّ الله للعـــــاني جـــــداره
وكم بـــــالعـزم من رَجَبٍ أُفيضَتْ بحـــالِ اليـــأسِ للراجي بشـــاره
رجـــالٌ مـــاج بحرُ الحـــالِ فيهم ونَسْـق فيهم الهـــادي شعـــاره

☆ ☆ ☆

وهنا تشرفت فألحقت قوله المبارك الطاهر بقولي والله المعين :

صرفنـــا القلب عن زيـــد وعمرو وعن خَضْر الحـــدائـــق والعمارهْ
وعن عمـلٍ وعن علمٍ لـــدينـــا ســـوى علمٍ تصححـــه آثـــارهْ
وقـد لُـذنـا بـــاب الله دهراً وبـــالتسليم قـــد تنـو التجـــارهْ
وتـوّجنـا الرؤوس بـذيـل طـه الـذي بيـــديـــه سبّحت الحجـــارهْ
فتلـــك بشـــارةٌ من غير ريبٍ على محـق العـــدو بهـــا إشـــارهْ
سيبـــدي اللهُ للمختـــار شـــأنـــاً ويـأخـذ من عـدو بنيـه ثـاره
فكم للمصطفى من معجـــــزاتٍ بطـوْلِ أخمـــدتْ للخصم نـــاره
وينتصر الإلـــــه لهم بغـــوثٍ متى في حـــادثٍ راموا انتصـــاره
مَشـــاهـــدُهُمْ منصّـــاتُ التجلي تطـوف بهـــا الأكابر للـزيـــاره
وهُمْ ببني البتـــولِ الطُهر حـــزبٌ اذا عَرَفتَهم بَرَّ التَّراره

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول مولانا وسيدنا القطب الغوث الإمام الجليل السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي رضي الله عنه وعنا به :

نفحـــة الـورد مُـــذ مزرْتَ على الخـــاطر عمّتْ أطرافنـــا والنـــواحي
آه مـــــا أطيب المرقرق من عطريّ زاكي شـــــذاكمْ النفـــــاح
يـا شمـوس الـلاح عطفـاً فـإنـا هـدّنـا الصـدُّ يـاشمـوس الـلاح

أسعفونا بلمحة فلكم عا ... ش مُحبٌّ بطرفه اللَّماح
وأعيدوا عاداتكم بحنان ... وامْحقُوا بالتقريب زعمَ اللاحي
فالهوى مُقلقٌ وطور التجني ... مُحْرِقٌ والحب ليس بصاح
سُنَّة الحُب في الحقيقة سُكرٌ ... فأديروا بالقرب كاس الراح

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت بالحاق قولي لقوله العالي الغالي نفعنا الله بعلومه ومدده آمين :

ذكركم ياكرامُ إن دارَ فينا ... كان كالراح دار بالأقداح
يالَه من رقيق لُطفٍ خفيٌّ ... هو لاشك راحةُ الأرواح
يستميل القلوبَ منا بوجْدٍ ... مُرْقِصٍ في مسائنا والصباح
فتطيرُ الأسرارُ شوقاً اليكم ... عن ذُلوهٍ منا بغير جَناح
إن جُنَّا بحبكم وولهنا ... ما علينا وحقكم من جُناح
قد أطاشَ استغراقُنا اللبَّ منا ... فصُبِغْنا طبعاً عن النُّصاح
يفرحُ الناسُ تارةً وبكم ما ... زال نُمضي الأوقاتِ بالأفراح

☆ ☆ ☆

ويعجبني قول الشاعر النبيه المفلق ابن الرومي الشهير[٤١] وذلك :

وحبَّبَ أوطانَ الرجالِ اليهمْ ... مآربُ قضَّاها الشبابُ هنالكا

---

(٤١) ابن الرومي

أبو الحسن علي بن العباس كان من أطبع الشعراء الاسلاميين له القدرة على الاتيان بالمعاني الغريبة . قال الخالديان : مارأينا امرءاً أعجب من أمر ابن الرومي فإنه يخترع المعنى فيجيده ولا يترك فيه زيادة لمستزيد ثم تناول معنى من غيره قصر فيه ولم يأت به كالذي أخذه منه .

قال الصفدي : والعلة في هذا انه شاعر جيد دقيق النظر صحيح الذوق فحسن التخيل فإذا طرق المعنى بكراً أتى به في غاية الحسن فالذي يأتي بعده لم يجد فيه فضلة . ولد في بغداد وتوفي سنة ٢٨٣ هـ (من منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين .

اذا ذكروا أوطـــــانهم ذكّرتُهمُ عهـود الصّبى فيهـا فحنـوا لـذلكا

☆ ☆ ☆

فأحقت قوله بقولي :

وكم حسراتٍ للغريبِ مُلحـــــةٍ تُضَيّقُ عن حُزنٍ عليـه المـــالكا
فـإن هـان في أمٍ وإن عـزَّ قـولُـه ألا ليتَ قـومي يعلمـون بـــذلكا

☆ ☆ ☆

ونقل الخويي في الفرائد عن بعضهم أنه أنشد . قلت : وقد أجاد :

كم والـــــــدٍ يحرم أولاده وخيرُه يحظى بـــه الأبعـــدُ
كالعين لاتبصر مـــاحـــوفهـــا ولَحْظُهـا يُـدرك مـا يبْعُـدُ

☆ ☆ ☆

وقد أحقت قول القائل بقولي :

أعجب ممن عيْنـــــه لم تـــزل ترى عُيـوبَ النـــاس إذْ تنْقـدُ
حتى اذا جـــاء الى عيبـــه إنْ لم يكنْ أعمى فقـل أرمـــدُ

☆ ☆ ☆

ويعذب قول القائل :

لكل هم من الهمـــوم سَعَـــةُ والصبـح والمسيُ لا بقـــاء معـــهُ
قـــد يجمع المـــال غيرُ آكلـــه ويـــأكل المـــالَ غيرُ من جمعـــهُ

☆ ☆ ☆

وقد أحقت قول القائل بقولي :

كم ربّ وصـلٍ زمـــانُـــه قطعـــه وفرّق الـــدهرُ كلَّ مـــا جمعـــهُ
فصـــادعـــاتُ الأيـــام ضيقـــةٌ وبـــاغمـــاتُ الحيـــال متسعـــهُ

☆ ☆ ☆

وحسن قول بعضهم :

ليس الذي يعطيك تالد ماله ... مثلَ الذي يعطيك مال الناس
وتفاضلُ الأخلاق إن ميّزتها ... في الناس مثلُ تفاضل الاجناس

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

ومن العجائب ربُّ جهل يدّعي ... علماً ويكذبُ كذْبة الخنّاس
يرضى ويغضب للهوى عن خسّةٍ ... مُزِجتْ له الأحلامُ بالوسواس
يقْفي اللئام بطانةً وحميمه الـ ... ـحقدُ الدميمُ على كرام الناس

☆ ☆ ☆

وما أعذب قول الشريف الرضي الموسوي الحسيني[١٢] ـ قدس الله روحه ـ يُخاطب نفسه تجاه المسترشد رحمه الله تعالى :

هذا أمير المؤمنين محمدٌ ... قد طاب مولدُه وطاب المحتدُ
أو ما كفاكِ بأن أمكِ فاطمٌ ... وأباكِ حيدرةٌ وجدّكِ أحمد ﷺ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله قدس سره بقولي :

كلُّ المفاخر إن علت غاياتُها ... عن فخر أهل البيت قدراً تقْفدُ
وبزهر أهل البيت أشرفُ غايةٍ ... فيها البتولُ وحيدرٌ ومحمد ﷺ

☆ ☆ ☆

---

(١٢) الشريف الرضي

محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن الرضي العلوي الحسيني الموسوي أشعر الطالبيين على كثرة المجيدين منهم وشعره من الطبقة الأولى رضعاً وبياناً وإيداعاً انتهت اليه نقابة الاشراف في حياة والده مولده ووفاته ببغداد سنة ٤٠٦ هـ (منهاج اليقين شراح أدب الدنيا والدين

ويعذب أيضاً قول الشريف ابن أبي السعادات الحسيني[٤٢] قدس سره :

لإن أنـــا أقللتُ فيا أقـــول ... فـــإني سبقتُ الشريفَ الرضي
تركت الحُطـــام لطُـــلاّبهـــا ... على أنّ عيشَ الـــدُّنـــا ينقضي
وحققت نفسي بمحض الرضـــا ... ويَغْلبُ أيْـــامَـــهُ من رضي

☆ ☆ ☆

وقد تبركت بإلحاق قوله بقولي :

تَمَخْضْتُ بـــالصبر في الحـــادثـــاتِ وأعرضتُ طـــوْراً عن المعرضِ
وخليتُ كلّ ذميم الخِـــلالِ ... وكلّ أخي زفرةٍ مُغرضِ
وعـــاهـــدتُ ربي على الصـــالحـــات وعهـــدُ أولي الصـــدق لم يُنْقضِ
وشتـــان بين شريف العروق ... ونـــذلٍ بتيـــه بطرزٍ وضي
يروع الـــدنيُّ فيعلـــو بـــلا ... نظـــامٍ ويجهـــلُ مـــا يقتضي
وإن النجيبَ كأبـــائـــه ... ترابَ التـــواضـــع لم ينْفضِ
أجَـــلْ للتراب مـــآلُ التراب ومـــا كان في البين قـــد ينْقضي
ويُقْضى عليـــك كما قـــد علمتَ فراقُ محبـــك والبغضِ

☆ ☆ ☆

وذكر الخوَيّي في الفرائد لبعضهم بيتين يعذب ذكرهما ، ونصهما :

وطـول مُقام المرء في الحي مُخْلِقٌ ... لـديباجتيـه فـاغترب تتجـدد
فـإني رأيتُ الشمسَ زيـدتْ محبـةً ... الى النـاس أنْ ليستْ عليهم بسرمـد

☆ ☆ ☆

---

(٤٢) هبة بن علي بن محمد الحسيني أبو السعادات الشريف المعروف بابن الشجري من أئمة العلم في اللغة والأدب وأحوال العرب كان حسن البيان ، حلو الألفاظ من كتبه : « شرح اللمع » لابن جني و« الحماسة » ط « ضاهى به حماسة أبي تمام وغيرها توفي ببغداد سنة ٥٤٢ هـ .

فألحقت قول القائل بقولي :

ومن أين يحلو للأريب مُقامُه بدارٍ بحُكم الفقْد ذاتِ تَبَدُّدِ
ألا إنها الدنيا وكلُّ شؤونها تروح على متن الفراق وتغتدي

☆ ☆ ☆

وما أحسن قول القائل :

غِنَى النفس لمن يعقل خيرٌ من غِنَى المال
وفضل الناس في الأنفس ليس الفضل في الحال

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

وكل الناس خلانٌ لأهل المظهر العالي
وعزُّ المجد بالأخلاق لا بالعم والحال

☆ ☆ ☆

ومن شرائف الحِكم قول بعضهم :

غلط الطبيبُ عليَّ غلطةَ مورد عجَزتْ مواردُه عن الإصدار
والناس يَنْحون الطبيبَ وإنما غلطُ الطبيبِ إصابةُ الأقدار

☆ ☆ ☆

وألحقت قول هذا القائل بقولي والأمر لله :

قامت مع الأزال كلُّ حقيقةٍ في علم خالقها الحكيم الباري
ما يصنع الإيراد والإصدارُ منْ بشرٍ بحكم الواحد القهار

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول قائلهم :

وأُغْضي على أشياءَ لو شئتُ قلتُها ... ولو قُلتُها لم أُبقِ للصلح موضعا
فإن يكُ عودي من نُضارٍ فإنني ... لأكْرَهُ يوماً أنْ أُخطَّمَ خِرْوَعا

☆ ☆ ☆

وقد أحقت قول القائل بقولي :

ترفّع طبعي أن يُلامَ خائناً ... ولو جعل البرج السماويّ موقعا
وحاشاي من عزو العيوب لصاحبٍ ... فلم تَرْتَضِ الأصحابُ إلاّ لتنفعا

☆ ☆ ☆

وما أعذب قول العارف الشمس محمد البكري[11] ـ قدس الله سره ـ متوسلا بالحبيب الأعظم ، ومادحاً جنابه المكرم ﷺ ونصه :

ما أرسل الرحمن أو يُرسل ... من رحمة تصعد أو تنزلْ
في ملكوت الله أو مُلكه ... من كل ما يختص أو يشملْ
إلاّ وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسلْ
واسطة فيها وأصل لها ... يعرف هذا كل من يعقل
فلذ به في كل ما ترتجي ... فهو شفيع دائماً يقبل
وعُذ به من كل ما تخشي ... فإنه المأمنُ والمعقل
وخطُّ آمال الرجا عنده ... فإنه المرجع والموئل
وباده إن أزمة أنشبت ... أظفارها واستحكم المعضل

---

(11) محمد البكري

محمد بن محمد أبي الحسن بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي من أكابر علماء الشريعة والحقيقة ، له شعر جيد من كتبه « شرح مختصر أبي شجاع » و « نعمة السالك لأشرف السالك » و « أخبار الأخيار » مولده ووفاته بمصر سنة ٩٩٢ هـ . الأعلام للزركلي

يـــا أكرم الخلـق على ربـــه ... وخير من فيهم بـــه يُـــسأل
قـــد مسّني الكرب وكم مرة ... فرّجت كربا بعضه يُـذهل
ولن ترى أعجـــزَ مني قـــا ... لشـــدة أقـــوى ولا أحـــل
فبـالـــذي خصّـــك بين الـورى ... برتبـــة عنهـــا العُـلا يزل
عجّـلْ بـاذهـاب الـــذي اشتكي ... فـــإن تـــوقفت فمن أســـأل
فحيلتي ضـــاقت وصبري انقضى ... ولستُ ادري مـــا الـــذي أفعـل
وأنت يـــا بـــاب الله أيّ امرئ ... أتـــاه من غيرك لا يـــدخـل
صلّى عليـك الله مـا صـافحت ... زهر الروابي نسمـــة شمأل
مُسلّماً مـــا فـــاح عطر الحمى ... وطـاب منـه النـد والمنـدل
والآل والأصحـــاب مـــا غرّدتْ ... ســاجعـــة أطلودهـــا مُخضلْ

☆ ☆ ☆

وقد تنورت وتبركت وتشرفت بمدح سر الوجود ، ومعدن الكرم والجود ﷺ ملحقاً قول العارف البكري ـ قدس الله روحه ونوّر ضريحه ـ بقولي وحسبي الله وحده :

لـــك اللـواءُ الأشرفُ الأطـولُ ... يـا سيداً راجيـه لا يُخـذلُ
في موكب الرسـل شموس الهدى ... أنتَ الإمـــــامُ الآخر الأوّلُ
زُرْ على العلم وكلّ التقى ... منـك الرداءُ الأسعـدُ الأفضلُ
فشرفـكَ العـدلُ وآيـاتـه ... عن نهجهـا المـأمون لا يعـدلُ
وأنتَ سر الله في خلقـــه ... من حـاد عن هـديـك لا يُقبلُ
يـا قبضـة النـور التي نطفُهـا ... لـوضحـه شمسُ الضحى تخجـلُ
بكفرهـــا المبهم في سرّهـــا ... هـذا الكتـاب الأقـدسُ المُنزلُ
يـا لـوحَ علم الله يـا منْ بـه ... فُضّـل في تسيقـه المُجمـلُ
علـــك معراجُ الترقي لمن ... لله إيقـانـاً بـه يعمـلُ

لـولاك فـالتـوحيـدُ في الكـون لم ... يُعْرَفْ ومعنى طَـوْلِـهِ مُهمـلْ
عن بحرك المـجـور كلُّ الـورى ... صـوفُـه علم الهـدى تَنْقـلْ
يـا روحَ ذرّات الـوجـود التي ... بعرشهـا ارواحَنـا تحفَـلْ
أنت حيـاة الكل من كـونـنـا ... وذخرُنـا حينَ غـداً تُـسْـأَلْ
بـوجهـك الأزهر يـا قبلـةً ... يقصـدهـا الـذاهبُ والمقبـلْ
دارك فـبـان الـذنبَ واحـرقي ... قـد هَـدَّ حيلي حِمْلُـه الأثقـلْ
وفَرِّجِ الكربَ الـذي عِبـؤُهُ ... وقلبـك الأرحم لا يُحْمَـلْ
أدعـوك يـاخَـيْـرَ مَـن على ... قطعي بـوصـلٍ قـط لايُفْصَـلْ
ومن صـلاة الله في قـدسـه ... يُهـدى اليـك الأعطرُ الأجـزل
وآلـك الـزُّهرِ أُسـود الـوحى ... والصحبِ مـا الغيثُ انبرى يهطـلْ
ولألأ البرق ولَيْـلٌ دَجَـا ... وضـجَّ ركبٌ وَجْـدُه مُـذهِـلْ
ورَنَّـحَ الروضَ نسيمُ الصَّبـا ... وفـوق غصنٍ بَرْقَمَ البُلْبُـلْ

☆ ☆ ☆

وما أرشق قول ابراهيم بن العباس[١٥] ـ رحمه الله ـ في صديق خان ، ونقض العهد ومان ونصه :

وكنتُ أدم اليـك الـزمـان ... فـأصبحتُ فيـك أذمّ الـزمـانـا
وكنتُ أعـدُّك للنـائبـات ... فها أنـا أطلب منـك الأمـانـا

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقول ، ورب مقال ، فيه حكاية حال :

تمـاديتَ حينَ كفرتَ الجميـلَ ... ومن يكفرِ البرَّ لاشـكَّ خـانـا
وطيشـاً أمنتَ التصـاف الحكيم ... وبـالخـوف تعرف هـذا الأمـانـا

---

(١٥)

سَيُثْرِزُ من عـــدلـــه اللهُ مـــا استحـــالَ لـــديـــكَ فتُلْفيـــه كانـــا

☆ ☆ ☆

ويعجبني ما أورده الحُويْني مفرداً في الفرائد وهو :

وكلُّ غنيٍّ يتيـــــــهُ بـــــــه غنيٌّ فرتجـــــعُ بمـــــوتٍ أو زوالِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقته بقولي :

يمُرُّ الشـــــــأنُ من عسرٍ ويُسرٍ ولن تبقى الشؤونُ مع الليـــالي
فـــألـــك والهيـــاكلُ والمرايـــا خيـــالٌ في خيـــالٍ في خيـــال

☆ ☆ ☆

وهذه أبيات أبْيَاتٌ من كلام سيدنا خالد بن الوليد[١٦] ـ رضي الله عنه ـ وقد قال هذه الأبيات يوم طرق العراق من اليمامة بطريق المفازة وخَوْفه رافع الطائي ـ رضي الله عنه ـ من العطش فحمل الماء الكثير ، وسقى مائة شارف الماء وكمم أفواهها وسار فلما توسط المفازة وعطش الناس والخيل نحر الإبل واستخرج مافي بطونها من الماء وسقى الخيل ، وشرب الناس من الماء المحمول ومرى حتى رآوا السُّدُر فقال رافع : هل ترون سِدراً ؟ فإن رأيتموه وإلاّ فالهلاك .

فقالوا : ننظر السُّدر فكثر وكثر الناس ، ثم هجموا على الماء وكان من النحر على يد سيدنا خالد ما كان وهنالك أنشد خالد ـ رضي الله عنه ـ هذه

---

(١٦) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ، سيف الله ، الفاتح الكبير الصحابي ، كان من أشراف قريش في الجاهلية يلي أعنة الخيل أيام قبل فتح مكة وجهه أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، لقتال مسيلمة ثم سيّره الى العراق ففتح الحيرة وحوّله الى الشام وجعله أمير من فيها ، كان مظفراً خطيباً فصيحاً قال أبو بكر ، رضي الله عنه ، يعجز النساء أن يلدن مثل خالد ، توفي في حمص سنة ٢١ هـ . الأعلام للزركلي .

الأبيات ونصها :

لله دُرُّ رافـــع أنّ اهتـــــدى فـــــوْزَ منْ قُراقِرِ الى سُـــــوَى
خمســاً اذا سـار بـه الجيش بكى مـا سـارهـا من قبلـه إنسٌ يُرَى
عند الصباح يَحْمدُ القومُ السُّرَى وتنجلي عنهم غيـابـاتُ الكَرَى

☆ ☆ ☆

فألحقت قول الأمير الخطير سيدنا خالد رضي الله عنه بقولي :

اذا الفتى جـاهـد في نهج الهـدى وثـــار لله بـــأمره اهتـــدى
وليس للكـــلان من شـــأن يُرَى وليس لـلإنســـان إلاّ مـــا سعى
والعبـد مقـدورٌ وإن ظن القـوى وذو الهوى وإن علا عبـد الهـوى

☆ ☆ ☆

ويعذب قول بعض شعراء العرب في رجل آذى أهلـه وقبيلـه ، وكفر بحكم الرحم والأسرة والفصيلة ، ونص قوله :

لم تكنْ من جنـــايـــة لحقتني لا يَســـــاري ولا يميني جنتْني
بـل جنـــاهـــا أجّ عليّ كريمٌ وعلى أهلهـــــــا براقشُ تجني

☆ ☆ ☆

قلت : وبراقش كلبة لقوم من العرب أُغير عليهم فهربوا ومعهم براقش فاتّبع القوم آثارهم بنباحها فهجموا عليهم واصطلموهم .

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

كلُّ مَنْي وهـــذ مـــا كَلْمَنْي ولطيشي بـــدائهـــا قـــد رمتني
قطعتْ حبـلَ وَصْلتي لا لـــذنب وعن البرّ بـــالأذى قـــابلتني
هي في طـــوْرهـــا براقشُ كادتْ تُلْحـقُ القـــومَ بي وتُقْتبـــلُ منّي

لكن اللهُ جـلَّ عـــدلٌ كفـــاني شرّهـــا والأقـــدارُ قـــد حرستني

☆ ☆ ☆

ولي في هذا المعنى أبيات طريفة وها هي :

خـامري مـا استفـاضَ يـا أم عمرو رُبَّ أنٍ بـالقـول يغـدُ المنـاقشْ
أنتِ فيها أبرزتِ من دنس الـــزو رِ كخيـلٍ في لُجـة المـاء نـاقشْ
قُمتِ طـوراً كلبـوةٍ ذاتِ بـــأس وَدْعينـــا مـــا أنتِ إلاّ براقشْ

وأورد الخويتي لبعضهم ما نصه :

دهرٌ عـلا قـدرُ الـوضيـع بـــه وهـوَى الشريفُ بِحَطِّـه شَرَفُـهْ
كالبحر يَرْسُبُ فيـــه لـــؤلـــؤةٌ سَفلاً ويطفـو فـوْقـه جيَفُـه

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

يـــارُبَّ بين الأنـــام من سَلَف عـلا وقـد حُـطَّ بعـده خَلَفُـهْ
وأشرقَ النـــــاس سيرةً خَلَفتْ يرضـــاه في حُكم طـوره سَلَفُـهْ
يخلـو الكريمُ الأصـولِ عن قـــدرٍ من درهمٍ يُقْتنى بنـــه شَرَفُـــهْ
لكن اذا الخُلـقُ صـــان مظهرَهُ بفقره يَـزْدهي بـــه شرفُـــهْ
وكلُّ أصـــلٍ مهما عـــلا وسما يعلـو بتقليـد حـالـه طرَفُـهْ

☆ ☆ ☆

وما أحسن قول دعبل الخزاعي ونصه :

تلك الـساعي اذا مـا أخْزَتْ رجلاً أخبُ للناس عيباً كالـذي عـابـهْ
كذاك من كان هدمُ المجد عـادتَـه فبانـه لِبْنـاةِ المجـدِ غيْـابـهْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

وربّ ذي حسبٍ عالٍ أضرّ بها ... قديمُه شادَ لمّا قدّ أطنابهْ
فإن مَنْ رامَ مجدَ السالفين سعى ... له ووطّدَ بالأخلاق أبنابهْ
وصاحبُ الزُّهْرِ لم يحفلْ بذي عوجٍ ... وتعرف المرءَ إنْ ماشمتَ أصحابهْ

☆ ☆ ☆

وما أبدع قول أبي هفان ونصه :

تعجّبتُ (ذرٌ) من شيبي فقلت لها ... لا تعجبي فطلوعُ البدر في السُّدف
وزادها عجباً أن رُحتُ في شُغلٍ ... وما ذرتْ (ذرٌ) أنّ الدُّرّ في الصَّدف

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قولي بقوله وهاهو :

ديباجةُ الذات تُعلي الذات إن حسُنتْ ... وما بديباج بُرد المرء من شرف
بالعقل والفضل تعلو الذاتُ أين مضتْ ... والبُرْدُ إن عزّ مطروح على الكتف
والفضلُ يزدادُ إن أنفقت منه وإن ... المال ينقصُ والبرهان غير خفي

☆ ☆ ☆

وحسن قول العباس بن مرداس[٤٧]:

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريه ... وفي أثوابه أسدٌ مزيرْ

---

(٤٧) العباس بن مرداس :

العباس بن مرداس بن عامر السلمي من مضر ، شاعر فارس من أهل طبق البصرة ، كان سيداً مطاعاً في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل فتح مكة وكان يقرو مع النبي ﷺ وكان بن دم الخزرجي في الجاهلية توفي سنة ١٨ هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (الأعلام للزركلي).

ويعجبـــك الطريرُ فتبتليـــه فيخلفُ ظنَّـــك الرجـلُ الطريرُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي وحسبي الله :

تلطَّفْ بـــــــالفقير فربَّ أنٍ يقـــومُ بحملـــك الرجـــل الفقيرْ
ويُخلفُـــكَ المنيُّ الظنَّ وهنـــاً ففي العـزمـــاتِ تختلفُ الأمـــورْ
وفي الأمرين كن لله عبـــــداً كما يرضى فللـــــــــه المصيرْ

☆ ☆ ☆

وما أشرف ما ينسب لسيدنا الإمام الشافعي[١٨] رضي الله عنه وعنا به ونصه :

رضيتُ بـــالعلـوم تكـون فينـا مخلَّـــدةً وللجهـــال مـــالْ
لأن المـــــال يفنى عن قريبٍ وإن العلم ليس لـــــــه زوالْ

☆ ☆ ☆

فألحقت كلامه العالي بقولي :

رجـــالُ المـــال إن برزت شـؤونٌ من الأيـــام في صفِّ النعـــال
وأهـــل العلم عن شرفٍ وعـــزٍّ لـدى الحـدثـان في شـدد المعـالي

---

(١٨) الإمام الشافعي :

محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع إمام الأنام ، ونظام الاسلام ، أحد الأئمة الأربعة الأعلام الشامعة في الدين الأجواد ، علم القضاء نخطبة من علمه ، وخط الخلفاء جدوة من حلمه . أحلّه الله محل القدس ، وأدنى اليه سحاب الأنس ، قال المبرد : كان الشافعي - رضي الله عنه - أشعر الناس وأدب الناس وأعرفهم بالفقه والقراءات .

قال الإمام أحمد بن حنبل : ما أحد من يده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منّة .

أفتى وهو ابن عشرين سنة وكان ذكياً مفرطاً أشهر كتبه « الأم » ومنها « المسند » و « فضائل قريش » و « أحكام القرآن » وغيرها . ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ وتوفي في القاهرة سنة ٢٠٤ هـ الأعلام للزركلي ، منهاج اليقين في شرح أدب الدنيا والدين .

وكم ذلّ المليُّ بغير علم وكم عـزّ العليمُ بغير مـال

☆ ☆ ☆

وما أحسن قول قائلهم :

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ولكنهـا دار انتقـال لمن عقـلْ
اذا أضحكتْ أبكت وإن هي أقبلت تـولّتْ وإن أعطتْ فأيـامُهـا ذولْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

وقـد تصرعُ الأيـامُ صرعـة غـادر غفولاً بأميال التعالي قد اكتحلْ
تُقيمُ شـؤونـاً لم تُخيّـلْ لعـاقـل ويقصر رغم المرء في طولـه الأمـلْ
وفي الحكمة التدبيرُ زينٌ وفي الرضا فحيلـةُ ربّ الحكمـة التركُ للجميـلْ

☆ ☆ ☆

ومن كلام الشريف علي الحماني الحسيني[19] قدس الله روحه قوله :

هي الأيـــــــــام والعسرُ وأمرُ الله منتظرُ
اتيـــأس أن ترى فرجـــا فـــأين الله والقـــدرْ

☆ ☆ ☆

---

(١٩) علي الحماني الحسيني : علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين . يعرف بالأفوه من أجل أولاد الحسن وهو مشهور شعراء الطالبيين وله ديوان مشهور قال الناصر : لو جاز قراءة شعر في الصلاة لكان شعر الحماني . وسئل الامام الهادي : من أشعر الناس ؟ فقال : الحماني . توفي سنة ٢٧٠ هـ بعد خروجه من اليمن وفي اللوامع لابن حبيب المؤرخ أنه توفي سنة ٢٠٠ هـ وهو الصحيح .

من لطيف شعره قوله قدس الله سره :

لـــا من قـــائم هضـــبات عـــز مطـــــــــــة ســـــــــــراح الـــ
تطيف ســـا الـــلالـــك كل يـــوم وتكفـــــل في حجـــــور الأيـــــــ
ويخر القـــام لـــا راكـــعـــا وتلقـــــانـــا صفـــاء ســـــالصفـــــ

وقد ألحقت قوله المبارك بقولي :

يجيءُ اللطف مُندمجاً بحبال طرزه الخطرْ
وتبدو أزمةٌ للعين يروي خبرها الخبرْ
وربَّ دُجىً رمى قُلَلَ الـ ـظلام فكفّها القمرْ
وكم قوم سقاهم بعْـ ـدَ يأسٍ في الفلا المطرْ
خفيُّ اللطف قد يأتي عالم يفقهه البشرْ

☆ ☆ ☆

وما أحسن قول القائل :

إن الكرام اذا ما استُعْطفوا عطفوا والحُرُّ يعفو لمن بالذنب يعْترفُ
والصفح عن مكرم قد تاب مكْرُمةٌ وفي الوفاء لأخلاق الفتى شرفُ
فالعفو بعد اقتدار فعلة كرمٌ والهجرُ بعد اعتذار فعله سرفُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

الحُرُّ يصْحَبُ لا تُخشَى بوائقُه واجْبُبْ كُلَّ فعال السوء يقترف
إن أنتَ أحسنتَ للخِب الدني أساء الفعلَ والعرقُ طورَ المرء يختطفُ
ففي المعادن سرٌّ في نتائجها يبدو وتلك بحكم الخُلْق تختلفُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول الفيلسوف الإسلامي الزاهد الفاضل أبي العلاء المعري[٥٠] رحمه الله ونصه :

لقد عجبوا لأهل البيت كمّا أتاهم علمهم في جلد جفْر

---

(٥٠) أبو العلاء المعري :

أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري ، شاعر فيلسوف قال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة وهو من بيت علم كثير في بلده ، ولما مات وقف على قبره أربع وثلاثون شاعراً يرثونه ، رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر ثم عاد ، المعرة ، وأقام بها وبها توفي سنة ٤١٩ هـ وله تصانيف كثيرة . الأعلام للزركلي .

ومرآة المنجم وهي صغرى تريه كلّ غابرة وقفر

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

علوم بثي النبي رموز غيب وما حصرت بجفر أو بسفر
نعم رقموا بجفرهم فنوناً بمصطلح نصلها الأغلاط تفري
وتسفر عن لطيف خفيّ علم تهامي رقيق النسج وفر
ولم يجحد مناقب آل طه ﷺ سوى ملموز زندقة وكفر

☆ ☆ ☆

وأنشد العارف الجليل السيد محمد وفا الحسني المصري[٢١] قدس سره :

أيا بدراً على غصن رطيب يهيم البدر فيه والغصون
كشفت لنا لثام الحسن حتى تحيّرت اللواحظ والعيون
وجئت لنا بوجه مستنير وحسن صانه سرّ مصون
وكم في الكون من قمر منير ولكن مثل حسنك لا يكون

☆ ☆ ☆

وقد تبركت فألحقت قوله المبارك بقولي :

لكم بقلوبنا سرّ مصون خفيّ ليس تدركه العيون
بر على الخواطر منه نشر فتطوى في صحائفها الفنون
لها في الحضرة الكبرى شروح مطلسمة بأسطرها المتون
جلت ما كان في شدة التجلي وأسفر سفرها عما يكون
فصعق الحادثات سوى قلاكم بكم وجليل مظهركم يهون
وهذا الملك والملكوت منكم عليه لموكبكم عيون

---

(٢١) ـــــ

على ذمم الـوجـود لكم ديـونٌ وبالإخلاص قد تُقضى الديون

☆ ☆ ☆

وللسيد محمد وفا ـ قدس سره ـ أيضا :

وعـاتبني بلا لـوم فـأبـدى لعيني آيـةً عنـد العتـاب
أثـار عتـابنـا في وجنتيـه لهيباً شبَّ في مـاء الشبـاب

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي

وحبٌ رام يُلحقني عتـابـا بلا سبب وعنّف بـالخطـاب
فبرقـع وجنتـه مني حيـاءً يفيـد بـأنْ تصنّع في العتـاب
صبرتُ عليـه عن علم ولم قـد حكى العنوانُ مضمون الكتـاب

☆ ☆ ☆

ومن لطائف إشاراتي والله المعز :

لقـد نقش الحيـاءُ بـوجنتيـه رمـوزاً تلـك واضحـةُ الرمـوز
ويبـدري كلُ ذي لُبٍ لعمري بـأن النثر يُحبـاُ في الكنـوز

☆ ☆ ☆

ومن أعذب كلمات السيد محمد وفا الحسني المصري ـ قدس سره ـ قوله يشير للحبيب الأعظم ﷺ

طـابت بـك الأمصـار والأعصـار وترنّحتْ بحـديثـك الأطيـار
وتصـوّغتْ أنفاس طيبـك مثل ما نلتْ بنـور جمـالـك الأقطـار
فعلى الـوجـود جـلالـةٌ ونضـارةٌ وعليـه مـسك سكينـةٌ ووقـار
وتروحنتْ أرواحُ أشبـاح الـورى وتقـدستْ بشهـودك الأسرار

وكـــذلـــك الأسماءُ منـــك تنعمتْ وتمتعتْ بجمالـــــك الأبصـــــارُ

☆ ☆ ☆

فألحقت متبركاً قوله بقولي :

سطعتْ بلمعـــةِ نـــورك الأنـــوار وتمينتْ في طمســـهـــا الآثـــارُ
وتمـــايلت تـــزدان أغصـــان الرُّبى طربـــاً بـــذكرك والهـــوى قهـــارُ
فـــالكـــونُ يرقص للغرام مُهَيَّماً بـــك حَرَّكَتْـــه بحكمهـــا الأسرارُ
وحظـائرُ الملكوت باسمـك عُطِّرتْ وتـواجـــد الغُيَّـــابُ والحُضَّـــارُ
أنت الهـــلالُ لعيـــد كلِّ حقيقـــةٍ شبحتْ اليـــك بغيْبهـــا الأنظـــارُ
آهٍ على وقت تُنيـــل بـــــه المنى بـــالقُرْبِ منـــك وتُرفـعُ الأستـــارُ
مـاءُ الحيـــاةِ بكأس قربـــك رائـــق للعـــاشقين أجَـلُّ وبُعْـــدُك نـــارُ
وهـواك نشأةُ طَوْرِ رُوحيَ لا يُرى في دارِ قلبيَ غيرةٌ ديّـــــــارُ
في العـــــالمِ الأعلى لطرزكَ مظهرٌ بـوصيـــده تتـــاقـــطُ الأقـــمارُ
والعـــــالم الأدنى بنـــورك مشرقٌ وسنـــاك برُّ سطـوعـــه سيّـــارُ
بصنـوف أصنـاف الحـوادث كلهـا أنت الحبيبُ المصطفى المختـارُ ﷺ
صلّى عليك الله ما احتبك الدُّجى وتـلاهُ في نشر الكيـــان نهـــارُ
وسرتْ بأنحاء الورى ريحُ الصَّبا وتروحنَتْ بهفيفهـــا الأزهـــارُ

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلماتي والحمد لله :

مُذْ صِرتُ عبـدكَ والتـولُّـهُ رونقي حســـدتني الآصـــالُ والأبكارُ
فـارحم إذاً يـاروحَ أربـاب الهـوى عبـداً عليـك من النسيم يَغـارُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول شيخنا غوث العصر ، وبركة الدهر ، السيد بهاء الدين

محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بـ (الرواس) - رضي الله عنه[٥٢] وعنا به - يشير للجناب العالي النبوي عليه الصلاة والسلام :

كلُّ شيءٍ فيه جلالُك يشهدْ ... ياحبيباً له الخلائقُ تشهدْ
لكَ في مظهر البوارز نورٌ ... وبساطٌ في ساحة الكون ممتدْ
أنت مجلا التجليات ومعنى ... حكمها حيثما انطوى وتأكدْ
أنت في كل ظاهر وخفيٍّ ... مظهرُ القدرة الذي ليس يُجحدْ
أنت في الغيب أحمد الرُّسل والأعيان طُراً وفي الكيان محمدٌ ﷺ
أنت روح الذرّات طيّاً ونشراً ... وعلى فضلك الخواصُّ تُعقدْ
أنت نفخ العلم الذي بثَّ في الكون اليك العلومُ تُنمى وتُسندْ
أنت بدءٌ وأنت ختمٌ وأنت اليوم والأمس بعد ربك تُقصدْ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت بالحاق قوله العالي بقولي والعون من الله :

عقْد فخري بذكر طه مُنضّدْ ... بعصام من لؤلؤٍ وزبرجدْ
رصّعتْه عصائم الدُّرِّ سَهْلٌ ... سن يواقيتها فرائدُ عجدْ
ذكرُ مَنْ يُنعش الفؤاد بروحٍ ... وإذاً بالحياة منها يُرمّدْ
ذكرُ عين الأسرار صبح هداها ... نور عيني شمس الرسالة أحمد ﷺ
هو معنى اتصال كل قريب ... هو مجلى الزُّلفى لكل مُبعّدْ
هو نمطُ القرب الذي بطواه ... نَشْرُ بِشْرٍ لكل عبدٍ مؤيّدْ
هو في دولة النبوة فردٌ ... هو في سدرة الرسالة أوحدْ
هو بعد الرحمن في كل آنٍ ... وزمانٍ يُدْنى ويُرْجى ويُقصدْ
فعليه الصلاة مامال غصنٌ ... أو على الغصن بلبلُ الروض غرّدْ

---

(٥٢) تقدمت الاشارة إلى ترجمته برقم ٢١

وعلى الـــه الأئمـــة والصحب جميعـــا وشيلـــه الغـــوث أحمـــد
والإمـــام الصيـــاد والفرد مهـــدي الأعـــالي أبي البهـــاء محمـــد

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول ابن المعتز العباسي[٣٣] ـ رحمه الله تعالى ـ في الربيع ونصه :

إنّ فصـل الربيـع فضـلٌ عجيبٌ تضحـك الأرض من بكاء السماء
ذهبٌ حينـا ذهبنـا وذرٌ حيث ذرّنـا وفضـةٌ في الفضـاء

☆ ☆ ☆

وقد أخذت قوله بقولي :

قـد عجبنـا من الربيع ومـافي لطفـه من تنـوّع الآلاء
نقش الأرض لـؤلـؤٌ وخيانٌ مزقمٌ في يـاقـوتـيه حمراء
عسجـدٌ سهم الزبرجـد في لـوح لجينٍ تقـول خفـاق مـاء
فلـذ الـدّرّ بـالزمرد رصّتْ كلّهـا في ديبـاجـة خضراء
بلغـات تبـاينتْ عن وفـاق ذكرتْ قـدس خـالـق الأشيـاء

☆ ☆ ☆

وما أجلّ وأجمل قول شيخنا وملاذنا الامام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

طفـح البرّ بـالأزاهر هـذا مـاد لطفـاً وذاك هـزّ اهتزازا
والجلى أخرّ بطرز لطيف عـزّ في رونـق الجمـال طرازا
كلهـا وحّـدتْ وبـالله هـامتْ بفنـون حقيقـةً ومجـازا

☆ ☆ ☆

---

(٣٣) تقدمت ترجمته برقم ٣٢

وقد تشرفت فألحقت قوله العالي والمدد من الله :

حبّك الزّهرُ في الرياض فأبدى ... من نسيم الصّبا لنا أزجازا
جاءنا من عفيفه بعمان ... أخذتْ للقلوب منا مجازا
كلها ذاكرٌ بنُطقٍ خفيٍّ ... مظهرٍ من رموزه ألغازا
عرف العارفون معناه لمّا ... ركّبهم هذه العوالم جازا
يفهم السرّ من طوى الكون عبدٌ ... طرح الكلّ أهل الأحيازا
فإذا قام غاب عن كل شيء ... وإذا نام صحّ الإيجازا
هام من فتّة النسيم على الروض وخلّى الفاني وبالله فازا
بالقوم بالله طابوا وغابوا ... فيه ذلاً فعوّضوا الإعزازا
ولعمري من عامل الله بالإخلاص لاشك بالجميل يُجازا
هاهم القومُ حين هاموا بحب الله صارت آماؤهم أحرازا

☆ ☆ ☆

ومن أفلاذ عصائم الكلمات التي وردت على لسان شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

مصاحفنا تُتلى وآيات سرّنا ... مُرتّلةٌ محفوظةٌ في السرائر
تجلّى لنا النورُ القديم فأشرقت ... خطائرنا أنعمْ بتلك الخطائر
فنحن خمومُ الله في أُفق الهدى ... جلانا لنجلو عنّم أهل البصائر
لظمنا رموزَ الغيب في مُطلق الخفا ... فقمنا صدوراً للصدور الأكابر
وطرنا لباب الحقّ من نمط علمه ... على نهج طه نور كل الحاضر
ومن طينة النور الطلسم خُلّقتْ ... بكونيّةٌ منّا شؤون الذخائر
ورثنا معاني السرّ من خير مُنعِم ... بغائب كنزٍ من فداه وحاضر
وطافت بنا الأفرادُ تبغي تحققاً ... بمنهاجنا في وردها والمصادر

فنحن لأهل المجد في النسج أوّلٌ وآخرُ ركب الكل في كل آخر
خلفنا عليًا والحسين وصنوه وقفنا على أسلوب تلك المظاهر
وفي طيّ سرداب الدواثر كلها غرفنا الأعالي في رجال الدواثر

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت وتنورت بالحاق كلامه العالي بقولي وحسبي الله :

أعاذلُ لو أسعت في الحب عاذري وانصفتني طيبت قلبي وخاطري
أحبّ بهاء الدين شيخي وإنني ولهتُ به عن أسرتي وعشائري
وغبتُ بعشق حبه والهوى له جلالة سلطان على القلب قاهر
هو العارفُ المهديُّ والسيد الذي له السّبقُ في صفّ الرجال الأكابر
تناجيه منّي الروحُ في طوْر غائب فيتحفني بالفضل إسعاف حاضر
أجلُّ رجال الله في العصر شيخهم فتاهم إمام القوم رغم المكابر
إمامٌ لقد ناب النبي وحيدرا وزاحم كُبّار الأولى بالمفاخر
وطلّم في هذا الكيان لعزه ولاح كشمس الأفق تحل الناظر
تقدّم في نسج التأخُّر مثلما تقدّم طه وهو بين الأواخر
أفاض من العلم الوفير معارفا أتت بالمعاني المفحمات البواهر
بروحي لقد أفدي شمائله التي حكت لطف روض زاهر الورد عاطر
عشقتُ محيّاه الكريم وإنني أرى ذاك حصني يوم كشف الدفاتر
عليه من الله التحياتُ كلما ترنّم ذو فهم بأبيات شاعر

☆ ☆ ☆

ويلطف قول المثقب العبدي[٥٤] ونصه :

فإمّا أن تكون أخي بحقٍ فأعرف منك غثّي من سميني

---

(٥٤) المثقب العبدي

وإلاّ فـــاطّرحْني واتّجـــذني عـــدواً أتقيـــك وتتقيني
وإني لـــو تُعـــانـــدني يميني عنـــادك مـــا وصلتُ بهـــا يميني
إذاً لقطعتُهـــــا ولقلتُ بيني كـــذلـــك أجتـــوي من يجتـــويني

☆ ☆ ☆

فأخفت قوله بقولي :

أصاحبُ قـد نقضْتَ وثيقَ عهـدي وكنتُ أراكَ ذا حسبٍ ودينِ
نثرتَ عليـــك من كلمي عقـــوداً فصّلْتَ عليّ بـــالقـــول المُهينِ
بما فيـك ارتضيتُكَ لي صـديقاً وإنـــك كاسبٌ لـــو ترتضيني
فـأبطنتَ الخيـانـــةَ لا لـــذنبٍ وســوء الحـــال عـــاقبـــة الخـؤونِ
بـــوم الجمـــل طِشْتَ ورُبّ حينٍ تَفُـــزُّ بـــوَكْـــزةِ العلم اليقينِ

☆ ☆ ☆

قـال رجـل لسيدنـا أمير المؤمنين ،إمـام الـدين والمسلمين ،الأمير المرتضى علي[***] ـ كرّم الله وجهه ورضي عنه وعنا به وأكرمه بتحياته وسلامه ـ أخبرني : عن واجب وأوجب ، وعجيب وأعجب ، وصعب وأصعب ، وقريب وأقرب . فما خنس لسانه حتى أجابه الأمير ـ عليه رضوان الله وأشرف تحياته ـ قائلاً :

= العالية بن عصم بن نملة من بني عبد القيس ، شاعر جاهلي من أهل العراق اتصل بالملك ، عمرو بن هند ، وله فيه مدائح ، ومدح النعمان بن المنذر ، شعره جيد وفيه حكمة ورثاه توفي قبل الهجرة بخمس وثلاثين سنة تقريبا . الأعلام للزركلي .

[***] علي بن أبي طالب

أبو الحسن ، علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، باب مدينة العلم ، وابن عم النبي وصهره ، وأحد الشجعان الأبطال ومن أكابر العلماء والخطباء . أول الناس إسلاماً بعد خديجة وله تكنة وربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ، وأقام بالكوفة دار خلافته الى أن استشهد فيها سنة ٤٠ هـ له في الصحيحين ٥٨٦ حديثاً : الأعلام للزركلي يقول الناشر : الكلام فيه يقصر بحرا عن إدراك ثرعته وحقيقته ، ويطول طبعاً دون وصول الى تحديد مرتبته بعد أن قال نبينا الصادق الأمين ﷺ فيه : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » الحديث .

تـــوْبُ الـــورى واجبٌ عليهم وتركُهم للـــذنـــوب أوجبُ
والـــدهر في ظرْفـــه عجيبٌ وغفلـــةُ النـــاس عنـــه أعجبُ
والصبرُ في النـــائبـــات صَعْبٌ لكنَّ فـــوتَ الثـــواب أصعبُ
وكلـــــا يُرتجى قريبٌ والمـــــوت من كل ذاك أقربُ

☆ ☆ ☆

فتشرفت وتعطرت وافتخرت بالحاق قوله بقولي :

ليـل النـوى شـــأنـــه غريب وصحبـــة الخـــائنين أغربُ
والقطـــع للكاذبين عـــذبٌ والـود للصـــالحين أعـــذبُ
وحُبُّ أهـــل التقى ثـــوابٌ وحُبُّ آل النبي أنـــــوبُ
ومن زكا أصلـــــه نجيبٌ لكن فروع الـــــوحي أنجبُ

☆ ☆ ☆

نقل الإمام أبو يعقوب الحَوَيْني عن بعض العلويين أنه أنشد لنفسه :

لقـد صـدقوا والراقصـات الى منىً بـأن مـوذاتِ العِـدى ليس تنفـعُ
ولـو أني دارَيْتُ دهري حيْـــةً اذا استمكنتْ يوماً من الدهر تلسعُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي وحسبيَ الله :

أظنّ جميـلَ الظنّ بـالنـاس كلهم ولا غيرَ ربي مَنْ يَضُرُّ وينفـــعُ
وإن رام غدري بالخديعـة غـادرٌ يُرَدُّ ومنـه الحيـلُ بـالـشر يَقْطَـعُ
نعم للعـدى والحـاسـدين منـازعٌ بما قد طووا من غُصةِ المكر تُسرعُ
يَـدُ الله تعلـو فـوق أيـديهمُ التي بهـا نكثـوا عهـدَ النبي وضيّعـوا
ويحرس أهلَ البيتِ من شـاذ بينَهمْ وتُكسَرُ أصنـــامُ الفجـور وتُصرعُ
لإنْ أبطنـوا سـوء وجـاؤوا بفريـةٍ يرى اللهُ مـاقـد أبطنـوه ويسمعُ

فتُوحَدُ ثاراتٌ وتُقضى بعونه ... تعالى لبانات وتُحقق أطلع
وتبرز من طيّ الغيوب بشائرٌ ... إشاراتها بالغوث والنصر تُرفعُ
فلا أنا في همّ العِدى أينما انْتَحَوْا ... ولا أنا فيهم نكبة أتوقّعُ
أَرُدُّ بهم أمري الى الله راضياً ... بأحكامه فيهم وذلك أنفعُ
ولابدع فالربُّ القويُّ بلطفه ... يُفرّق نصراً للضعيف ويجمعُ

☆ ☆ ☆

نقل التقي السبكي[٢٦] ـ قدس سره ـ في المناقب لسيدنا السيد أحمد الرفاعي[٢٧] ـ رضي الله عنه وعنا به ـ ما نصه :

يا نسوة السرّ إني في الهوى رجلٌ ... برّي عن السرّ والإخفاء أُخفيه
قفْنَ الغداة وهاتا أنتنّ في وجلٍ ... فذلكنّ الذي لُمتُنّني فيه

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول شيخنا الإمام الرواس بهذا المعنى والنوع ونصه :

والغانيات اللواتي لُمنني حسداً ... على محبتهنّ في السر أطويه
متى تلألأ بدر مبرز بشراً ... فذلكنّ الذي لُمتنني فيه

☆ ☆ ☆

---

(٢٦) تقي الدين السبكي :

علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي ، أبو الحسن تقي الدين ، شيخ الإسلام في عصره ، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين ، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر) سنة ٦٨٣ هـ وانتقل الى القاهرة ثم الى الشام وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩ هـ له تآليف كثيرة لسؤول اسمه ، تاج الدين ، أسماء كتبه وأورد ما قاله العلماء في وصف أخلاقه وتوفي بالقاهرة سنة ٧٥٦ هـ (من الأعلام للزركلي

(٢٧) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٠

ومن كلام سيدنا الإمام الشافعي - رضي الله عنه[٥٨] - يمدح أهل البيت الكرام عليهم الرضوان والسلام :

لـو شُـكَّ عن قلبي لُقي وسْطَـه ... سطران قـد خُطَّـا بـلا كاتب
حقيقـةُ الإيمـان في جـانب ... وحُبُّ أهـل البيت في جـانب

☆ ☆ ☆

وقد صدَّر هذين البيتين سيدنا السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي رضي الله عنه[٥٩] فقال :

ألـذُّ من ضرب ومن ضـارب ... ومن غـزال كاعب نـادب
ومن طراد الخيـل في مشعب ... ولاعب يلعب مـع لاعب
ألـذُّ من هـذا وهـذا وذا ... حُبُّ عليِّ بن أبي طـالب

ومن المعلوم أن بعد هذا التصدير ينشد المنشد أعني بعد قوله : (حُبُّ عليِّ بن أبي طالب) (لو شُكَّ عن قلبي لُقي وسْطَه) الى آخر البيتين فتصير خمسة عدد أهل العبا - عليهم السلام - وقد ألحقتها بهذه الأبيات الشريفة السبعة المباركة فصارت أثني عشر عدد الأئمة - رضوان الله وسلامه عليهم - والعناية من الله تعالى :

آل رسـول الله زهر الـورى ... وسيلـةُ الحـاضر والغـائب
قـد أحرزوا فضلاً علا غـدُه ... عن ذكر فكر الكاتب الحـاسب
هم حجـجُ الله وآيـاتـه ... في قـادم النـاس وفي الـذاهب
قـاموا بـأعباق المعـالي فهم ... كالبـدر أو نجم الهـدى الثـاقب
من كل حجـاج رفيـع الـذُّرى ... نـوالُـه كالعـارض الـساكب
علـوْا بطـه المصطفى رتبـةً ... شـاخـةً عن أمـل الطـالب

---

(٥٨) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٠١

(٥٩) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٢٥

آلَ عليّ بن أبي طـــــــالبِ آلَ النبيّ المحـن الـــــــواهبِ

☆ ☆ ☆

وتنورت بمدح الآل الكرام عليهم السلام فقلت :

بني النبي لكم في المجـــد مرتبـــةٌ من دونها في منصّات العُلى الرتبُ
إن ثم من حَسَبٍ يُرْوى ومن نسبٍ فبعـــدكم حسبُ الكُبّـــارِ والنسبُ
فـــالنـــاس جسم وأنتم روحـــه وهمُ لفـــظ وأنتم بـــه المعنى الـــذي يجبُ

☆ ☆ ☆

ونسب لسيدنا الإمام أبي حنيفة[٦٠] ـ رضي الله عنه ـ هذان البيتان ، وفي مناهج التوسل للشيخ عبد الرحمن البسطامي الحنفي أنها للإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ والله أعلم وهما :

كيف الوصول الى سُعاد ودونها قلّلُ الجبـــال ودونهنّ حُتـــوفُ
الرّحْلُ حـــافيـــةٌ ومـــالي مركبٌ والكفُّ صفْرٌ والطريـــقُ مخـــوفُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله المبارك بقولي :

أبكي وليس ســوى الـــدمـــوع بـيلهـــا السّحـــاح يُطفي نـــارَه الملهـوفُ

---

(٦٠) أبو حنيفة

النعمان بن ثابت التيمي ، بالولاء ، الكوفي ، أبو حنيفة ، إمام الحنفية الفقيه المجتهد المطلق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . قيل أصله من أبناء فارس ، ولد بالكوفة ، وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه ثم إنقطع للتدريس والافتاء . وأراده عمر بن هبيرة ، أمير العراقين ، على القضاء فامتنع ورعاً ، وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد فأبى ، وكان قوي الحجة ، قال الإمام مالك بصعته : رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته !

وكان كريما في أخلاقه ، جواداً ، حسن النطق والصورة ، جهوري الصوت ، اذا حدث انطلق في القول وكان لكلامه دوي . قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة . وله تصانيف جليلة توفي رحمه الله سنة ١٥٠ هـ ! الأعلام للزركلي .

فـأنـا العـديمُ وجمْـلُ وزري مثقلي والله بَرٌّ والنبي رؤوفُ

☆ ☆ ☆

وقلت من الروي والقافية :

مـــاذا أقـــولُ اذا سُئِلْتُ وإنني بـالـذنب وَاوهْنَ القُـوى معروفُ
لاعلم يُصلحني ولا عـمـلٌ بـــه أدنـــــو ولا برٌّ ولا معروفُ
وحدي على نهج اعوجاجيَ في الهوى أمشي وركيـانُ الصـلاح صفـوفُ
طـافـوا بكعبـة سرّهم برقـائـق شرّفتْ ووهْاً بـالـزعـوم أطـوفُ
رأوا الحقيقـة بـالبصـائر والفطـا ضخمٌ عليّ وبـــاصري مكفـوفُ
ونُقـودُهم سـارت وقـد رجـوا بهـا ونُقـودُ عـزمي يـا هـذيمُ زيـوفُ
سَلُّوا السيوفَ على الهوى فتحكّموا وعليَّ سُلّتْ للـذنـوب سيـوفُ
مـالي سـوى بذل الدموع وسيلةً يرجـو بهـا قلبٌ لـديَّ خـؤوفُ
ومع الخضوع ببـاب طـه المصطفى ﷺ أبـدُ الروحي بـالـولـوه عكـوفُ
وأنـا امرءٌ من آل أحـمـد مـؤمنٌ ومحـمـدٌ بـالـمؤمنين رؤوفُ
صلى عليـه الله مـا الروضُ ازدهى مَنْ وَرْدِه بـالمرسَـلات صَـفوفُ
والآلِ أقـمـار الحـافـل مَنْ بهم يحمى الـدخـيلُ ويـأمن الملهـوفُ
والصحب أهـل الفضـل والهمم التي أبـداً بفيفـاء الغيـوب تطـوفُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلماتي ـ والحمد لله تعالى ـ قولي هذا الذي رحت به لأشياخي الثلاثة[٦١] مادحاً ، وعلى غصن التنويه بمراتبهم صادحا وها نصه :

لي في الطريـق الأحـمـديّ ثـلاثـةٌ عنهم نظـــــام حقيقتي مَرْوِيُّ

---

(٦١) وله أيضاً رضي الله عنه في بعض مؤلفاته مشيراً الى أشياخه :

سادوا رجال العصر دون تَرَدُّدِ والكلُّ منهم سيدٌ وولِيُّ
فأبي أبو البركات أوّل من له عهدٌ عليٌّ مؤكّدٌ وقويُّ
معمورُ قلبٍ جهبذٌ ذو مكْنَةٍ أسدٌ عصاميُّ الجناب أبيُّ
غمريُّ طورٍ حيدريُّ تسلسلٍ طرزُ الحسين بوجهه مرئيُّ
والشهمُ مولاي ابنُ خير الله ذو الشرف النّقيُّ أبو الصفاء عليُّ
ربُّ المفاخر والمآثر والنّدى كنز الكمال العارفُ العلويُّ
والمرتضى شيخ الفطام أبو البها ء ابنُ البتول الشيدُ الهنديُّ
غوثُ الزمان خلاصةُ الأعيان بلْ تاجُ الأكابر عقدُها الدُّريُّ
بحرُ العلوم ومعدنُ المنطوق والمفهوم ليثُ العِتْرة المرضيُّ
الظاهرُ الخفيُّ منْ نورِ النبيْ بوجهه منه السطوعُ جليُّ
قطبُ الرجال إمامُ أهل الحال فيّاضُ النوال الوارثُ النبويُّ
ينْحطُّ قوسُ الشُّهْب عن عزماته في الخطب وهو الضيغم الغيبيُّ
وله بفضل الله جلّ جلالُه زُبَدٌ بحلّ المشكلات وَرِيُّ
علمٌ لقد خفق الكمالُ بثوبه وأفيضَ منه الهاطلُ القدسيُّ
مزجَ الظهورَ مع الخفاء فشأنُه طيٌّ به نشرٌ ونشرٌ طيُّ

ثلاثة أبيات أسول عددها على نعم الأيام والخطب والعدى
أبو البركات الفحل ذخري وصنوه عليٌّ ابن خير الله والسيد الهندي

وله أيضا رضي الله عن الجميع قوله :

أسول على دهري بسعدين منهما بوارق نور الله بالنصر تحفل
وتأتي فيوض الغيب من كل جانب أبو العلمين الرضى وأبو علي

* * *

أبو العلمين : سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه .
أبو علي : سيدنا السيد أحمد بن الحسن الصياد دفين منكين رضي الله عنه .

الحمد لله الثلاثة كلهم لي شيخنا ومظاهر ووليُّ

☆ ☆ ☆

وما أشرف وأعلى قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به ونصه :

حفظنا لكم عهد الغرام من الأزلْ وفرقانُ معناكم على سرنا نزلْ
وطبنا بكم عن كلّ بادٍ وحاضرٍ وغبنا لكم والعاشقون على وجلْ
ولاح لنا منكم تجلّي حقيقةٍ كما لكليم الله لاح على الجبلْ
تبدّت لنا أيامكم بحقائق طموت وارذ الفضل الذي يُصلح الخللْ
ولم تسرلق الأقدام منا لغيركم ولو مزج البحرين بالخمر والعسلْ
ومن علل الوجد الذي حلّ كلنا فنينا غراماً والغرام له علّلْ
متى حصل التقريبُ منكم لبُعدنا إذاً كلُّ ما نرجوه من بُغيةٍ حصلْ
فأنتم لجسم الكون روحٌ وللهدى صراط به لله كم سيدٍ وصلْ
بكم يُصلح الله الشؤون جميعها ويأتي المُرجّى حين تنقطع الحيلْ
بني الطُّهر أهل البيت أنتم أئمةٌ لكم سرُّ سلطان الوجود قد انتقلْ
وفي وسط التعداد منكم بواسطٍ لنا سيدٌ عالي النقيبة مُحتفلْ
أبو العلمين السيد الأيد الذي تصرّفه في الكون كان ولم يزلْ
له دولةٌ لم ينقض الدهرُ حكمها مؤيّدةٌ والأولياء لهم ذولْ
هزبرٌ من البيت البتولي سيدٌ متى أمّه المقطوعُ بالمدد اتصلْ
له تاجُ سلطان الولاية مُفردٌ وعن شأن سلطان الولاية لا تسلْ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت قوله المبارك بقولي وإنما وليي الله :

ألا يا كرام الحي من أرض واسطٍ ويا منْ بهم يُعطى المؤمّلُ ما سألْ

لكم طـار قلبي لاجتـاً برحـابكم ... وفي ظلّ هاتيك الخظائر قد نزلْ
بكم غاب عن زيدٍ وعمرو وفي الهوى ... ودين الهوى عن غير أعتابكم رحلْ
قد اتصلتْ بالصدق فيكم حبالُـهُ ... وعن غيركم في عالم الطينة انفصلْ
فيـــامن على علمٍ بخلتْ بسرهم ... وطرْقي لهم ذرّ المدامع قد بذلْ
ويـــامن لهم طيّ الفـؤاد مَجَرّةٌ ... ونحنُ سواهم من سماواتـــه أقلْ
ويا خلف الأطهار من آل حيدر ... نجتم على ما أسّسَ السادةُ الأولْ
رفعتم منار المجد شأناً وإنكم ... يُقِرُّ بعالي شأنكم كلُّ من عقلْ
أتانا أبو العباس منكم فأوضح الطريق ونور الصدق في بُرْجه اكتملْ
فطابت به منا القلوبُ وضاءت البصائر بالتحقيق واتحق الزللْ
هو الغوثُ سلطانُ الحقيقة أحمدُ ... أبو العلمين الطاهرُ النبعة البطلْ
تسلسل في البيت البتولي مجدُهُ ... يطرزُ على كل المعالي قد اشتملْ
وفي بيته قد أذنَ اللهُ أمّةً ... بأطوارها والفضل قد يُضرب المثلْ
وناهيك بالمهدي منهم فإنه ... خزانةُ فخرٍ ضمنها العلمُ والعملْ
تمكّنَ في غوثيةِ العصر وارتقى ... مقاماً لعمري دونه الشمسُ في الحملْ
ونالَ الأولى آلَ النبي برقعةٍ ... وحالٍ وعن ذي الفانيات لقد عدلْ
له فعلتْ ما شاء قدرةُ ربه ... تعالى وإنّ اللهَ يحْكمُ ما فعلْ

☆ ☆ ☆

وما أعذب وأطيب قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

هذا طريقُ الشرع يا مغرورُ ... خَلِّ الهوى فلكل حقٍّ نورُ
لاتبسط للشطح واعرف حكمه ... وافطنْ فزعمُ الشاطحين غرورُ
واهجر دعاوى الاتحاد ومثلها ... دعوى الحلول فضلُها مكسورُ
قدّسْ بسرّك ذاتَ ربك إنه ... فردٌ شديد الانتقام صبورُ

أيغرك الإمهالُ منه ألا انتبهْ ... فإليه عاقبة الجميع تصيرُ
وصفاتِه قدْسٌ حقائقها فني ... تقديمها كلُّ امرءٍ مأمورُ
فصفاتُه لاعينُه أو غيرُه ... قامتْ به ومع الورود صدورُ
لاتقبل الترتيبَ بل ضمنيةٌ ... تنْفكُّ عنها في الكيانِ ستورُ
فالشّقُّ يحْدثُ والصفاتُ قديمةٌ ... مضمونها في علمه موفورُ
وبنسبة الاحداث يحْدثُ كلُّ ما ... يبْدو وللمعنى الخفيِّ ظهورُ
والعلم تُرْسَمُ فيه كلُّ حقيقةٍ ... واذا الجلتْ فنسجها منظورُ
رسمُ المعاني في قديم العلم مطْويٌّ وحادثُ نسجها منشورُ
ومن الغيوب لكل شأنٍ بارزٍ ... معنىً عليه من الجلالِ ستورُ
ولقد تُوفّى كلُّ نفسٍ أبْرزتْ ... أجلاً ولوح كتابها مسطورُ
فعن الكرام الكاتبين خطوطُها ... تبدو وكلُّ حادثٌ مقهورُ
فالقائلون بوحدةٍ إطلاقها ... نزغاتُ زيغٍ كلُّهم ممكورُ
راموا القصورَ بوهمهم فرمى بهم ... من قُرب شاهقةِ القصور قصورُ
فلبعضهم حدُّ الوقوفِ وبعضُهم ... لكماله في حاله معذورُ
وكلامهُ في السّطح نقصٌ ظاهرٌ ... وبه عن النهج القويم فتورُ
قول يُقال وليس يُكتب بل ولا ... يُرضى وزاعمه الغنيُّ فقيرُ
وكذاك دعوى الفعل باسْتبْداد مَنْ ... يُعْزَى اليه فرِدْهُا مشهورُ
إن كان عن خلْق الإله فبابها ... خَسْفٌ وإلاّ فهي حقاً زورُ
فبحكم نصِّ الشرع لم يُسْنَدْ الى المخلوق في أفعاله التأثيرُ
اللهُ جلّ هو المؤثّر والذي ... للغير يُسْنَدُ قاله المغمورُ
وأتى أُناسٌ أسقطوا التقليدَ في ... هذي المذاهب والجهولُ صبورُ
أهلُ المذاهب تفْحوا أحكامها ... حكماً تُضيء وقولهم منصورُ
خدموا النبيَّ بشرعه وسعوا بعز ... م الصادقين فسعيهم مشكورُ

ولقد أحاطوا بالنصوص ونهجها ... علْماً فبيتْ فهومهم معمورْ
فالآخذون بقولهم قالوا بما ... قالوه لا ضيقٌ ولا تقصيرْ
قد قلّدوا المعصوم لكن وافقوا ... قول الأئمة والإمام بصيرْ
جاز العُلَى بالاجتهاد فكلُّ ما ... أبداه من عمل هو المبرورْ
فالزم طريقتهم وخلّ من انتحى ... بزعومه إنّ الإلٰه غيورْ
وابهج بميراث النبي ولا تزغ ... فالله للبرّ التقي نصير

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت وتبركت فألحقت قوله العالي بقولي ومن الله العون :

خيْرُ الطريق المنهجُ المأثورْ ... ولحال طه رونقٌ منثورْ
فنظامه هو في الحقيقة ظاهرٌ ... مافيه من صعْب الشكوك وُعورْ
نهجٌ تطيبُ به القلوبُ فكلُّه ... حقٌّ وحكم نصوصه منصورْ
وافى به الأصحابُ والآلُ الكرامْ وتابعوه فهديهم هو نورْ
مافيه إغلاقٌ ولا شطحٌ ولا ... كِبْرٌ ولا طيشٌ يليه غرورْ
هو دلّةٌ لله جلّ جلاله ... وهو الخبيرُ الصانع المذكورْ
فرعتْ له همْ الرجال بصدقها ... واليه أفئدةُ الكرام تطيرْ
ساروا على إثر النبي لقدسه ... فهمْ لركبان الطريق صدورْ
فبحكم صدق الاتّباع تكنوا ... من حال أحمد فالمسيرُ يسيرْ
قد نزهوا أقوالهم عن كل ما ... في الشرع معنىً قولُه محظورْ
وأتوا بأزكى الاعتقاد لبابه ... ولهم هنالك لهفةٌ وزئيرْ
من كل ليثٍ في العجاج مُلثّمٍ ... ولدى الصفوف الشُّمْ فهو هصورْ
كالسيد المهديّ سلطان الحمى ... ذُخري اذا عجّ الخطوب يثورْ
يأتي بأصناف العلوم فكلها ... دُرَرٌ حواها بحْرُه المسجورْ

شـل الرفـاعي الكبير وعينـه وابن الكبير الشـأن فهـو كبيرُ
شيخي بهاء الـدين مَنْ منه الجلى علَمٌ على أهـل الـوحى منشـورُ
تـاج العصـائب من كبـار أطـائب غُرٌ لهم ضمن الخفـاء ظهـورُ
عبي خـلال الصـالحين ونـاصرُ الـدين المبين وسيفُـه المشهـورُ
لي منـه أُستـاذ ألـوذُ بظلـه وحمـاي دومـاً ركنـه المعمـورُ
فرع من الأصـل الـذي نُحمى بـه يـوم الـسؤال إذ السماء تمـورُ
لازال يُمطرُ رَبْعَنـا من غيثهم مـدةَ ونصرٌ دائم وسرورُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلماتي والحمد لله قولي :

أقضَرتَ لي يـومي وقـد أسهرتني بـك يـاكحيـلَ المقلتين طـويـلا
فعسى الـذي أعطـاكَ حسـناً وافراً يُعطيـك من خير القلـوب قليـلا

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي الشهير ونصه :

خليليّ مـا للعـاشقين قلـوبُ ولا للعيـون النـاظرات ذنـوبُ
ويا معشر العشاق ما أوجع الهوى اذا كان لا يلقى المحبُ حبيبُ
أمـوتُ لحبي والهـوى لي مطـاوعٌ كـذاك منـايـا العـاشقين ضروبُ
عدمتُ فؤادي كيف عذّبـه الهوى أمـا لفـؤادي من هـواه نصيبُ

☆ ☆ ☆

فأحقت قوله بقولي :

يُزنْحني ريـحَ الجنـوب بطـور مَنْ أُحبُ فيغشـاني هنـالـك طيبُ

فـأسكر في معنى الخيـال ولفظـة أحنُّ ومن عبِّ النسيم أطيبُ
ويُضْحِكني مَرْأى الحبيب الذي بدا لفكري ويُبكيني قِلىً ومغيبُ

☆ ☆ ☆

وللعباس بن الأحنف ، وقد أجاد :

أقمتَ ببلـدةٍ ورحلتَ عنهـا كلانا بعد صاحبه غريبُ
أقلُّ الناس بالدنيا سروراً حبيبٌ قد نأى عنه حبيبُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي ، وهو حسن أيضا :

بروحي من أُعاطيه بروحي ونُطقي وهو كبراً لايجيبُ
فأكثرُ عنه أعذاراً وقلبي به من قلبه القاسي لهيبُ
وأخدعُ فيه لوامي وصوناً له فأقولُ ما هجر الحبيبُ
ويُلحِقُ وعده كذباً وخُلْفاً ويوماً يصدقُ الرجلُ الكذوبُ
وليس يُفيد صدقُ القول شيئاً اذا كذبتْ بما فيها القلوبُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف شعر العباس بن الأحنف قوله :

سبحان من خلقَ اللّيلَ ملولا لا يستطيع الى الوفاء سبيلا
لو كنتُ أصبرُ ما كتبتُ صحيفةً يوماً اليك ولا بعثتُ رسولا
ما كان ضرّك من تعاهُدِ عاشقٍ يُهدي التحيةَ بُكرةً وأصيلا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي ، والطبع السليم الحكم :

يا ربِّ حبك لو حمت بنظرةٍ لعليلِ قلبٍ يطلبُ التعليلا

قَصُرَ السرور به عليك وخُبِّرْتَه أضحى وأيـــامُ الغرام طـويـلا
أو تعْذُبُ الأوقاتُ إنْ طَرَحَ الوفا عمْداً وإن هَجَرَ الخليلُ خليلا ؟ !

☆ ☆ ☆

ومن شرائف المعاني ما ضمّنته قولي ، والله المستعان :

أُخـــاطبُ فيـــك نسيم الصَّبـــا وأذكر بـالـوجـد عهـد الصِّبـا
فـــأسمـعُ من هبَّ لُطف النسيم كـلامـاً عن الهجر قـد أعربـا
أرى عجبـــاً أن يُريـعَ الصِّبـــا محبُّـــك والحـقُّ أن أعجبـــا
ألفّتْـــكَ قبـل انســدال الستـور وقبـل انحجـابـك ضمن الحبـا
وقلبي وحـقِّ دجى مقلتيـــك لغيرك يـا روحـة مـا صبـا
نقضت العهـود بـــلا مـــوجب وبرق الـوصـال غـــدا خُلَّبـا
وظلماً بغـدتَ وحقـاً عليـك بكُلِّـــك مِنْ أن تقربـــا
أرادَكَ قلبيَ يـــــــوم المسير ومذهبُـك الصدُّ طـور الظِّبـا
ذهـــابُـــكَ قلبي ولمـــا ذهبتَ سترت ذهـــابـــك والمـذهبـا

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول العباس بن الأحنف ونصه :

مـــا أحسن الـــودَّ اذا كان مِنْ تهـواه يجـزي الـودُّ بـــالـودّ
وأنعمَ العـــاشـــق في عيشـــه إن دام من يهـوى على العهـــد
وأقبـــح الـــوصـــل اذا لم يكن يفي الـــذي يهـواه بـــالـوعـــد
والحُب مَنْ يعلـقُ بـــه لايـزال في طـــاعـــة الأحـزان والجهـد

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي ، وفي هذا الإلحاق فليتدبر فإنه لطيف :

لِمَ القلى يـــا مخلفَ الـوعـــد قد طـالَ عن خُلْوِ الكرى عهـدي

أسرفتَ في هجري بـــلا بـــاعثٍ وجُرتَ بـــالتعـــذيبِ عن عمـــدِ
أصبتَ بـــانْخطىءُ نهـجَ الهـــوى لـــو كنتَ تجـزي الـود بـــالـــودْ
هـــل عطفـــةٌ منـــكَ بنيـل المنى كعطفـــة المـولى على العبـــدِ ؟
ليُطرَفَ الحـزنُ ويـــأتي الصفـــا ويُمحـــقَ القربُ ذُجَى البُعـــدِ

☆ ☆ ☆

وما أجل وأشرف قول شيخنا الإمام الرواس ـ رضي الله عنه وعنايه ـ بواقعة :

أفرطتَ في دعـــوى التفـــوّق بـــالأكابر يـــا مكابرْ
مـا أيّـدوا بـالسيف بـل عبـة الكريم فلا تخـاطرْ
إن الـــذي أعطى الأوا ـلَ قـادرٌ يُعطي الأواخرْ

☆ ☆ ☆

وهنا أتشرف بإلحاق كلامه العالي بقولي :

شيخي الإمـامُ أبو البهـا ء الغوثُ أستاذ البدائرْ
منْهـديُ أبنـاء الرقـا عيّ الأســاتـــذة الأكابرْ
لمّـا حنـا عطفـاً علـ ـيّ وقد حباني بالبشائرْ
غـار امرؤٌ لم يـدرِ حُكـ ـم الغيبِ والمقنونُ حائرْ
رةُ النصـــــوص بسره ومضى لخـاطره يُـــامرْ
فخلا لـه شيخي الظـلا م بنظمـه نظم الجـواهرْ
وبـدا بحمـد الله مـا قد قالـه والحقُّ ظـاهر
أنـا مـذنبٌ عبـدٌ ضعيـ ـفٌ عـاجزٌ والله قـادرْ
وبمنهجي أستـــاذيَ الـ ـمهدي سلطانُ الحظائرْ
بجـــــلاه قمتُ وإنني بجنـاحـه العلويّ طـائرْ

مَنَّ الإلـــه بنفحـــة الـ ـمختـــار رغمـــاً للمكابرْ
فـــالسر عن قلب الرســـو ل الهـــاشمي الطُّهر صـــادرْ
والله يفعـــل مـــا يشـــا ء بـــأمره تبـــدو المظـــاهرْ
فـدع الجهول ومـا ادعـا ء ومـا يؤمّـل أو يحـاذرْ
وعن السريرة بـالرضـا والله أعلم بـــــالسرائرْ

☆ ☆ ☆

ولما كان هذا الإلحاق مبنياً على الحكاية ولم أبلغ فيه من مدح شيخي - رضي الله عنه - الغاية أفردت بهذا الوزن والروي هذه القصيدة النضيدة بمدح شيخي صاحب الأطوار السعيدة ، والأخلاق الحميدة ، والعلوم المفيدة - رضي الله عنه وعنا به - وهاهي بنصها والحمد لله رب العالمين :

بـدرُ الكمـال من الـتـائرْ حيّـا فـأشرقتِ الحظـائرْ
شيخي بهـاءُ الـدين مهـ ـديُّ الرجـال أبو المفاخرْ
الـــوارث العلـــويّ سلـ ـطان الحمى عـالي المـآثرْ
والملحـقُ الشُّعْثَ الأصـا غر بـــالأجـلاّء الأكابرْ
فلـــكٌ بـــه ذوْرُ الـولا يـة والهُـدى النبـويّ دائرْ
فرعٌ جليلُ الأصـل زاكي الـ ـفعـل رحبُ الباع طـاهرْ
سبق الرجالَ أُولي الكمـا ل بباطنٍ عـالٍ وظـاهرْ
ذمجتُ بطيْـــــةِ برّه شيم الأوائـــل والأواخرْ
أُنظر اليـــه تقـول إنـــك للـوصي الفحـل نـــاظرْ
واسْمَعْه تحسبُ جدّه الـ ـمكرار يخطب في المنـابرْ
وتظنُّ والـــده الرفـــا عيُّ الإمـام الغوث حاضرْ
وتخـــالُ صيّـــاد القلـو ب يجول في تلك المحاضرْ

وترى جنـابـاً في معـا رفـه العظيمَ الفكرِ حـائرْ
شيـخ الطرائـق والحقـا ئقِ والخطـائرِ والـدوائرْ
علَمُ العلـــوم وكنز أصـ ـحابِ الإفاضاتِ البواهرْ
النـــائبُ النبـويُّ معـ ـمـور السريرة بـالسرائرْ
ذو مظهر بـالفضـل والـ ـبرهـان متّـاحٌ وقـاهرْ
الله أعطـــــاه التصرفَ في البـواطن والظـواهرْ
بحرٌ إلهيُّ الفيـــــو ض نداه يقذف بالجواهرْ
ولقـــد تجفّ اذا أرد ـنا وصفه العـالي المحابرْ
قد حاز فضلاً يُدْهِشُ الـ ـأبصار من أهل البصائرْ
فعـلا بسيرتـــه عن الـ ـأشْبـاهِ طُرّاً والنظـائرْ
منهـاجـه مثـلُ شريـ ـعة البيك في الأكوان سائرْ
فيـه الرفـاعيُّ الكبيـ ـر يُزيل شتشتةَ المكابرْ
وبـه أبوه لأُمّـه الـ ـجيليُّ مُفتخرا يُفـاخرْ
وزكت أُرومتُـــه بعر ق طيبٍ زاكي العنـاصرْ
يعلـو الى الحسنين بـالنسـب الـذي نظم الـزواهرْ
عُقِدتْ على طرقيه بـالـ ـإجلال في الكونِ الحناصرْ
ولـه الكرامـاتُ التي نهزتْ ومنها البحرُ زاخرْ
لم يجْحَدْنُهـا قـطُّ إلاّ كلُّ مكـور وخـاسرْ
يُحْيي القلـوبَ بنظرةٍ ويُفيض بالنَّفَسِ البشائرْ
وفتىً يلـوذ بـه بصـد ق بيتُـه بـالله عـامرْ
قطبُ البريـةِ غوثُهـا شيخ البـوادي والحـواضر
والله مـا نـاديتُـه إلاّ ومنـه السرُّ حـاضرْ
ولأهْ مـولاء الـولا يةِ فهو تاجُ ذوي المظاهرْ

وبه انطوتْ أسرارها ... وطها لعمري منه ناشرْ
وعلومُه كم قد طوى ... فيها عبيراً بالعبائرْ
ورموز حكمته جلتْ ... سر البشائر بالأشائرْ
ذو همة كم قوّمتْ ... بعد اعوجاج حالَ عائرْ
وفتى قويُّ العزم قد ... فلق العجاج بأسِ صابر
أغنته نجداتُ الرسو ... ل عن القبائل والعشائرْ
وعلا منصة رفعة ... حنوت الموارد والمصادر
وبكل أمرٍ رئُسه ... أبداً له واقٍ وناصرْ

☆ ☆ ☆

ويعذب ما أورده الحريري[٦٦] في مقاماته ، وذلك بيتان معصوران خمّستها فقلت :

اذا انتبه الإنسانُ من سَكْرِ نومه ... وقام نبيه الفكر حرّاً بقومه
يقول ولم يجْنحْ لسلاّك لومه ... لعمرك ما الإنسان إلاّ ابنُ يومه
على ما تجلّى يومَهُ لا ابنُ أمه
يؤخّره فقْدُ النُّهى إن تقدّما ... ويُبْرزهُ العِرْفانُ إن كان مبهما
فكم حاملٍ بالعلم هام النُّهى سما ... وما الفخر بالعظم الرميم وإنما
فخارُ الذي يبغي الفخار بنفسه

☆ ☆ ☆

---

(٦٦) الحريري :

أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، الأديب الكبير صاحب « المقامات الحريرية » ، ط ، و « درة الغواص » ، ط ، و « ملحة الإعراب » ، ط ، له شعر حسن ، وأخبار ، فمن شعره المولده سنة ٤٤٦ هـ ووفاته بالبصرة سنة ٥١٦ هـ من الأعلام للزركلي .

وأورد الحريري ـ رحمه الله ـ في مقاماته من لطائف الأبيات البديعة ما نصه :

لعمرك ما كلُّ فرع يدل ... جناهُ اللذيذُ على أصله
فكلُّ ماحلا حين تُؤتى به ... ولا تسأل الشهد عن نحله
ومَيِّز اذا ما اعتصرتَ الكروم ... سُلافةَ عصرك من خَلِّه
لتُغْلي وتُرخصَ عن خبرةٍ ... وتُشْريَ كُلاً بمرى مثله
فعارٌ على الفطنِ اللوذعي ... دُخولُ العميزة في عقله

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

اذا المرءُ أخطأ نهج الصواب ... عناداً فقد زلَّ في فعله
وإن أهملَ العلمَ يبغي الحطام ... فذاك الدليل على جهله
يدل على العقل فعلُ الفتى ... ومنتظمُ السبك من قوله
ومَنْ مِنْ حرام يُفيضُ النوالَ ... فقد يَرْهنُ الحُكمَ في بخله
وقد يُطلبُ التبر من كيره ... ويُستودعُ السرُّ في أهله

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلماتي والعون بالله ومن الله :

عجبتُ لأصحاب هذا الزمان ... فهل هكذا سائرُ الأزمن ؟ !
اذا الحالُ خالف أهواءهم ... رَمَوْا هدف الود بالأسن
كأنك وقّتَّ لآرائهم ... وفرضَ عليك بها تعْتني
وإن هزّك الدهر في صفْحة ... فلوك وراشوك بالأعين
تفرّد هذا الزمان الأخيرُ ... بمزج المسيء مع المحسن

☆ ☆ ☆

ومما كتبته لبعض الأخلاء عن واقعة :

يا مَن جعلتَ العتبَ طبعاً لاتكنْ ... ممن يرى للمخلصين ذنوبا
فمتى انسلكتَ مع العتاب خرجتَ من ... نهج السوداد فلا أراك عتوبا

☆ ☆ ☆

وكتبت في أخرى لأحد الأخلاء :

أفلانْ لانْبِغِ التكلف إن تكنْ ... خلاً من الخِلِّ المعرَّف بالوفا
فالسود في طبع الكرام غريزةٌ ... صِينت وما للخِلِّ أن يتكلفا
فاذا السوداد جرى بشكل تكلُّفٍ ... بين الأحبّة قُل على الدنيا العفا

☆ ☆ ☆

ومن أدقّ كلام سيدنا السيد المهدي رضي الله عنه وعنا به ولصه :

أبَنِيَّ خِلُّ ذوي النفاق بغيْضهم ... فضلاً وذعْ بين الأنام أذاهُمْ
أترومُ منهم غيرة ؟ وقديمهم ... رأوا النبي ونوزعْ أعداهُمْ

☆ ☆ ☆

فتشرفت بإلحاق قوله العالي بقولي :

إلزم سبيلَ الصادقين وكن على ... طول المدى معهمْ وخِلَّ سواهُمْ
فالناس ياهذا معادن فاغتنمْ ... من شأنهم أسرار من سوّاهُمْ

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلمات شيخنا الإمام السيد المهدي رضي الله عنه وعنا به قوله

فتنّ هذه المظاهرَ فافهمْ ... حكمة الوضع فالرجالُ معادنْ
تتداعى الجبالُ تسعى بعزمٍ ... وترى في البساط وهي سواكنْ

فتـــدبّرْ صنـع المهيمن فـــالـــذر ات فيهـــا ممـــا طـــواه كائنْ

☆ ☆ ☆

فافتخرت ملحقاً قوله الجليل بقولي الكليل ونصه :

رُبمَ الكلُّ قبـلْ في العلم فـــالقد ـضيُّ لابـــد في الحقيقـــة كائنْ
لكنِ السرُّ غـــامضٌ وهـــو عن أفـ ـهـام أمثـالنـا بعيـدٌ وبـائنْ
وبمعنى اعتبـــارنـا بقـــدْ فكرٍ نفهمُ السرَّ تـــارةً إن تعـــاينْ
والـــذين ارتضـــاهم الله أحبـــا بـأ لعمري هم للخفـايـا أمـاكنْ
إنمـــا خِلْعـــةُ المحبـــةِ فيهـــا مـــددٌ ضمّنـــه المســـاوي محـــاسنْ

☆ ☆ ☆

نقل ابن الحاج الواسطي ـ طـاب ثراه ـ في (أم البراهين) أن الإمـام الأكبر ، والغوث الأشهر سيدنا السيد أحمد الرفاعي[٢٢] ـ رضي الله تعالى عنه وعنا به ـ كان يُنشد من شعره في أيام رمضان هذه الأبيات المباركة ونصها :

أراني اذا مـــا أظلم الليـــلُ أشرقتْ بقلبي من نـــار الغرام مصـــابيـحُ
أصلي بـــذكراكم اذا كنتُ قـــائمـــاً ألا إنّ تـــذكار الأحبـــة تسبيـحُ
يشـــحُّ فـــؤادي أن يبـــوح بسركم كذلك بعض الشح في المرء ممدوحُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت وافتخرت بإلحاق كلامه العالي بكلامي هذا وحسبي الله :

كتبتُ هـــوى من هيّم القلبَ حُبّهم ومن طي كتماني بحـــالي تصريـحُ
تُرَنّحني ريـحُ الصّبـــا بشـــؤونهم فتخطفني من كل أجـزائي الريـحُ
يقـــولـــون لي هـــلاّ اشتغلتَ بغيرهم فقلتُ وهل بالشغل تُشفى الجـارِيحُ ؟

☆ ☆ ☆ ☆

---

(٢٢) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٠

روى الحويّي في الفرائد بيتين لبعضهم في صاحب تغيّر عليه ونصها :

قد كنتَ أكرم صاحب وأبرّه ... حتى دهتك أصابع الشيطانِ
خذ الإله بنانها وأبانها ... كم غيّرتْ خلقاً من الانسانِ

☆ ☆ ☆

فأخذت قوله بقولي :

يا من تُغيّره روايةُ كاذبٍ ... ويروح منقاداً بكل عنانِ
ما فيك من شيم الأحبة شيمةٌ ... لتُعدّ في الأحباب والخلاّنِ
ترضى وتغضبُ للمطامع زالقاً ... عن نهج أهل الصدق والعرفانِ
وتقيم منك على الحب تعنتاً ... حُججاً بمحض الإثم والعدوانِ
وتظن أنْ تعدو بذلك رابحاً ... سُفهتْ رأيك باعتُ الحسرانِ

☆ ☆ ☆

وفي حِكَمِ الإمام الصادق بن محمد رضي الله عنهما « قبر العاقّ خير منه » فنظمت هذه الحكمة بسلك هذه الأبيات فقلت :

ربَّ الزور طبعاً يلهو ... كم تبدو الدنايا عنهُ
والحبُّ الحبُّ الدنيا ... فوق الدين لا تأمنهُ
والحبُّ الذي لا يبغي ... إلاّ أنت قلباً صُنْهُ
واهجر عاتباً لا يرضى ... لو كالبدر أضحى يزهو
وابنَ عقّ أعرض عنه ... (قبر العاقّ خير منه)

☆ ☆ ☆

وروى الامام الحَوَيّي بيتين لبعضهم احتويا على معنى يحث على علّو

الهمة وعدم فوت الفرصة ونصها :

وقالوا يعود الماء في النهر بعدما ... عفت منه آثار وجفت منارعة
فقلت الى أن يرجع الماء عائداً ... ويعشب شطاه فوت ضفادعة

☆ ☆ ☆

وقد أخذتها بقولي :

يبارغ ربُّ الحزم بالخير مؤمناً ... بما الله في الحكم المقدّر صانعة
يقوم بنفع الناس لله لم يجد ... بمراء عما المصطفى الطُهرُ شارعة
يؤدّي حقوق الله والخلق ريّضاً ... وتُبدلُ فيها الله يرضى صنائعة
ويعرضُ عن خوض اللئيم ترفعاً ... على أنه في لغوه الله سامعة
وإن امرءٌ أذى الأنام لنفعه ... ستفتح يوماً في الزمان مصارعة
ويأمن مكر الدهر من هو أحمق ... وإن كثرت مما اقتناه بضائعة
وما الشيُّ من هذي الحُطام بسعدٍ ... يسفّة شاريه ويخسر بائعة

☆ ☆ ☆

وفي الفرائد للخوئي ـ رحمه الله ـ بيتان رواهما عن الخالدي ـ طاب ثراه ـ وهما :

وأخ زخصتُ عليه حتى مَلّني ... والشيءُ مملولٌ اذا ما يرخصُ
ما في زمانك ما يعزُّ وجوده ... إن رمته إلاّ صديقٌ مخلصُ

☆ ☆ ☆

وقد أخذتها بقولي والله المعين وبه ثقتي :

الناسُ أجناسٌ لكلٍّ معدنٌ ... والحُر عن حكم يزيد وينقصُ
تجري مع الحكم الشؤون وتارة ... للفرد في الزمن الملائم يُرقصُ

ويَكرُمُ الحِبُّ اللئيمُ لِثَرْوَه ... ولفضلِـــــه الفَطِنُ اللبيبُ يُنَقَّصُ
فـإذا علقتَ بخاصٍ فـاحفـظ لـه ... حـــقَّ الـــوداد وأين ذاك الخاصُّ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف إشاراتي والحمد لله وهو يقطر لطفاً :

يُميـلُ النـسيمُ الغصـونَ الرقـــاق ... فيخطفُ ذاك اللطيف اللطيفـــا
وتجـذبُ نـوعَ القلـوبِ الطبـاعُ ... وطبعـاً يُحب الشريفُ الشريفـا
وإن الخـــؤونَ يُـــوالي الخـــؤون ... ولا ريب يرضى العفيفُ العفيفـــا
وتلقى القـــويُّ يُعـــز القـــويَّ ... وقلبـــاً يعين الضعيفُ الضعيفـــا

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلام سيدنا القطب الأعظم السيد عز الدين أحمد الصياد الرفاعي الحسيني[٦٤] ـ رضي الله عنه وعنا به ـ قوله وهو في غاية الحسن ومعانيه تحتمل وجوهاً كثيرة :

يامدعي القربِ والأقوامُ قد بلغوا ... مراتبـــاً ذات إجـلالٍ وإعـــزازِ
وقفتَ بـالـوهم في زعمٍ على شطـطٍ ... مـــا العلمُ تَنْسِبُ أرمـــازٍ وألغـــازِ
القـومُ في الـسُّورِ الأُولى منـــازلهم ... وأنت بين أبي جـــــادٍ وهـــوَّازِ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت قوله العالي بقولي :

يُـزاحمُ القـومَ قـومٌ لاخـلاق لهم ... بـزعمهم طيشُ هَمّـــازٍ ولَمّـــازِ
ما ماثلوا القومَ في عـالي مراتبهم ... إلاّ كما مـــاثـلَ العصفـورُ للبـــازِ

---

(٦٤) ـــــــ

الحقُّ مهما طواه الناسُ في كذبٍ يجْلى بفرْقٍ كفرق الشام عن زاز

☆ ☆ ☆

وأقول روى الأبيات الصيادية الشريفة سيدنا الإمام السيد بهاء الدين محمد مهدي أل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بـ (الرواس) ـ رضي الله عنه ـ في رسالة له صغيرة اسمها (واردات الغيب) وقال بعد ذلك ذكر الأبيات وبعض كلمات ونصه :

سيدنا الإمام السيد عز الدين أحمد الصياد الرفاعي الحسيني ـ رضوان الله تعالى وتحياته عليه ـ كان من أعظم الأقطاب الذين أحرزوا بالتكين مرتبة الغوثية وقاموا بها زتبة وخلعة بدون طيش ولا سُكْر ، وهو من سلاطين حضرة الحضور .

والحق أقول : هو في الدوائر على قدم جده سلطان الأولياء والصديقين السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني ـ رضي الله عنهما وعنا بها ـ وله اللسان العذب الرشيق ، والكلام الحلو الرقيق وهو أحد أهل الناطقة العلوية في البيت الأحمدي العلوي ، ولا تلتفت أيها المحب لمن لم يعلم مقادير الرجال ، ويشتغل بالقيل والقال ، ويُتعب النظر بكُتب أهل الوحدة المطلقة والشطاحين فهو مثلهم من المغلوبين ، وتمسك أيها المحب بظاهر الشرع لا تعدون عيناك عنه تُريد زخارف الأقوال ، فإنها حجاب عن الله ، والموانع عن الدخول الى حضرة القرب النبوي ، ولو تضمنت كلمات صحيحة فهي كالسم في الدسم ، الله الله بدينك ، الله الله بإيمانك ، دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، خذ ما تعرف من ظاهر السُّنة ، ودع ما تُنكر من باطن الاختيارات ، ولا تُقدِّم على الشرع قولا ، ولا تُحدث فيه فعلاً ، واتَّقِ الله فالله غيور ، وإن الله مع المتقين . انتهى

فمن رقيق نظم السيد المترجم قوله رضي الله عنه :

أمن رفرف الأكوان لاحت لك النفس ... فوافقها من حالك الطور والجس
تأنّ بأهل الله واعمل بجدهم ... وتكينهم فالجنس يعرفه الجنس
هُمُ شهدوا نور الحبيب وحسنه ... وأطمست الأملاك والجن والإنس

☆ ☆ ☆

وما أسنى وأشرف قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به ونصه :

إياك تزعم في الورى فوقية ... عن واحدٍ من كل خلق الله
فنهاية الأحوال غيرُ جليةٍ ... ولدى التناهي يسقط المتناهي
فخف الإله وكن لبيباً واعياً ... فالأمر في تنويعيه لله
واصرف جميعك عن جميع الكون لا ... تزلق ولا تغترّ بقلبٍ لاهي
كم راح للمدركات يهوي من علا ... بالنفس بين تفاخرٍ وتباهي
خاض المنايا وهو يحسب أنها ... لا شيء يطرقها بعزم واهي
فافزع لربك ناهجاً نهج الهدى ... وطريقة الهادي فما إلاّ هي

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت بالحاق قوله بقولي :

يامن يروم الى الحقيقة مشعباً ... خُذْ صادقاً إثْر العريض الجاه
وتنحّ عن دعوى التعالي إنها ... فيها من المرض المُلِمّ دواهي
إن الدواء هي الشريعة فالتزم ... منهاجها واعمل بأمر الله
فالنصُّ بالحكم المؤيد أمرٌ ... وعن المآثم والنواهي ناهي
واجعل بكل الناس ظنك طاهراً ... واهجر أخا السوء الأثيم اللاهي

وصُنِ اللسانَ فلا تدعْه مُلوثاً فبالى القلوب طرائقُ الأهواءِ
واستغنِ بالمولى ففي قيد العنا من كان منتصراً بغير الله

☆ ☆ ☆

ويُعجبني ويُطربني قول شيخنا الامام الرواس رضي الله عنه وعنا به ونصه :

أترجو من الأموات نصراً وكلُّ مَنْ تراهم من الأحياء في الكون أمواتُ
فإن ثمّ نصرٌ عن يدٍ قد تسربلتْ قُوىً فلها من حضرة القدس اثباتُ
ولا فعل للمخلوق والغيرُ آلةٌ . تُدبّرُ فللشرك المأوّل آفاتُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله الشريف بقولي وأنا أعثر بأذيالي خجلا ولاحول ولا قوة إلاّ بالله :

تمسّك بأهل الحقّ والحقّ إنه على الحقّ والسارين فيه علاماتُ
وخَلِّ أُخَيَّ الغيرَ عنك وكن كمن نزلوا وبرُحب الأمن في بابه باتوا
يقولون أبعدت الضير أللسّوى يعودُ ضميرٌ أو تدوم لـه ذاتُ
لقد أبرز الآثار ربي لحكمةٍ أجلّ كلُّ أصناف الحدوث إشاراتُ
مظاهرُ تبدو جلّ مُحدثُ كونها له عزٌّ في هذي المظاهر آياتُ

☆ ☆ ☆

ومن شرائف الكلمات النورانية قول شيخنا الإمام السيد محمد مهدي رضي الله عنه وعنا به :

رفرقْ وجودك في عدمْ وافنِ الزعوم عن الاممْ
لاتنظرنْ ثمّ الأعـا رب لا ولا شوس العجمْ

وبكل هـذا لا تَـدَعْ ... مـا قـام فيهـا من حِكَمْ
آثـار أسرارٍ جَـلا ... منهـا الخفيَّ المكتتمْ
دلّت عليـه وشـأنهـا ... جـارٍ على نصّ القِسَمْ
هـل آكِـلٌ كلّ الخطـا ... م فقّ بلَمْتهـا خطَمْ
أو آخـذٌ مـاقـد قفى ... أو آمنٌ فيا ألَمْ
فاسلكْ سبيل الصالحيـ ... ـن الزُّهر أصحاب الهممْ
وانهج على قـدم النبيّ وخـلّ رُكبـان الـعـدمْ
سـاروا على أهـوائهم ... كالعُمْي تخبـطُ في الظُّلَمْ
شيخٌ يتيـه بشطحـه ... وبشطحـه الـوهْ انتظمْ
وفقٌ يرى في نقـصه التـ ... ـأثير زلّقـة ذي صممْ
ومُخـامِرٌ وهم الحلـو ... لِ والاتّحـادِ مـع العـدمْ
أرأيتَ معـدومـاً يـبدو ... م وَفيتَ داهيـة السَّقَمْ
أبصر بنـور الله تعـ ... ـرف سر مـا خَـطَّ القلمْ
وهنـاك لم تَغْـلِطِ الحـوا ... دثَ قطُّ سلطان القِـدمْ
ولهـا تُقَر بـأن الـذي الـ ... ـبـاري الحكيمُ لهـا حَكَمْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت متشرفاً مفتخراً قول سيدي بقولي والعناية من الله له الحكم واليه ترجعون ونص قولي :

شيخي حكيمُ الأوليـا ... ـ كتـابُ آيـات الحِكَمْ
أبـدى أسـاليب الطر ... يق على الطريق المنتظمْ
وأبـان أسرار الـوجـو ... د وحَكَمَ أطـوار العـدمْ
والجمـع بين النكتتيـ ... ـن على هُدى الشرع الأتمْ

والفرق مـا بين الحـدو ث بكل طـور والقـدمْ
لن تستبـدّ الحـادثـا تُ بفعلهـا قـافهمْ ونمْ
يـا من يرى التـأثير للـ ـمخلوق قولك خسْؤ نمْ
وكذاك يا من قد نفى الـ آثـار منـك الجهـلَ عمْ
النـار تحرق بـالـذي فيهـا أقيمَ ولا جرمْ
والمـاءُ يُعطى الريّ بـالسر الـذي فيـه انتظمْ
ولكل اجـزاء الـوجـو د إفـاضـةٌ فيهـا قـمْ
جرت المقـاديرُ التي كُتبتْ وقـد جفّ القلم
أو مـا رأيت قـوام هـذا الجسم في هـذي اللُّقمْ
فاعرفْ من الأسـباب أسـ ـرار المسبّب لن تُـذمْ
واعمـل بـأحكام الشريـ ـعة لن يزلّ بك القدمْ
وتنـحّ عن مـزج الضيـا ء بغير علم في الظُلَمْ
وخُـذ الهـدى من أهلـه فـالنـار تامـع في العلمْ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول الشريف الموسوي ـ قدس الله روحه ـ ونصه :

أنت الكرى مـونـاً طرفي وبعضُهم مثلُ القذى مانعاً عيني من الوسن
لقـد تـنـازع قلبـانـا كأنهما تراضعـا بـدم الأحشـاء لا اللّبن

☆ ☆ ☆

فأحقت قوله بقولي ، فليتدبر فلكل وجهة :

أسهرتَ طرفي وقـد أشبعتـه شجـا وقـد يشـب لهيبُ النـار بـالشجن
طـواك قلبي وقـد مـزّقتـه حنقـا عليّ وَفْقْتَ سرُ الحـال في اللبن

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول بعضهم ، ونصه :

إن المعلم والطبيب كـــلاهمـــــا لا ينصحـــان اذا همـــا لم يُكرمـــا
فاصبر لدائـك إن جفوت طبيبـه واقنـعْ بجهلـــك إن زجرتَ مُعلّما

☆ ☆ ☆

وأحقتُ قوله بقولي :

قَرّبْ كرام الخيّرين أولي النُهى واهجرْ من اتخـــذ التـــودد مغنمـــا
فـأخـو الخطـام مقـاربٌ ومـــاعـدٌ فـــاقطن لـــه متـــأخراً متقـــدّمـــا
زيّض فـؤادك يـــالبيبُ لبُعـــده أبـــد المـــدى حتى يـــزور جهنّما

☆ ☆ ☆

ومن تجربة ابن العميد[٦٥] رحمه الله قوله :

أخ الرجـــال من الأبـــا عد والأقاربَ لاتُقـاربْ
إن الأقـــارب كالعقـــا رب بل أضرُّ من العقاربْ

☆ ☆ ☆

وقد أحقت قوله :

إنّ الأقـــارب إن زكـــوْا شيئاً بهم تُنفى النـــوائبْ

---

(٦٥) ابن العميد :

محمد بن الحسين العميد بن محمد أبو الفضل : وزير من أئمة الكتّاب كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ولقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله . قال الثعالبي : ابتدئت الكتابة بعمد الجهبذ وختمت بابن العميد ، وكان كريما ممدوحا له - مجموع رسائل ، ج - وشعر رقيق . قال ابن الأثير في وصفه : أبو الفضل من جلساء الدنيا اجتمع فيه مالم يجتمع في غيره من حسن التدبير وسياسة الملك والكتابة التي أتى فيها بكل بديع مع حسن خُلق ولين عشرة وشجاعة تامة ومعرفة بأمور الحرب والمحاضرات وله تحرج عهد الدولة البويهي وصنه تعلم سياسة الملك وهيبة العلم والعلماء توفي سنة ٣٦٠ هـ عاش بضعا وستين - من الأعلام للزركلي .

واذا علتْ أخـــــــلاقهم وضعـــوك في أعلى المراتبْ
لكن اذا اخطـــوا بـــوه الخلـــق والتحقـــوا المعـــائبْ
فهم العقـــارب فـــابتعـــدْ عنهم فـــا هم بـــالأقـــاربْ
بل هم عليـك من الـزمـا ن جلب أصناف المتاعبْ
وإذنْ فـــأحسنْ منهمُ البُعـــداءْ من أقصى الأجـــانبْ
فـــاستكف بـــالله الكريم عن الّـــلام والعِـــاتبْ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول عبد الله بن طاهر رحمه الله ونصه :

ألم تر أنّ المرء تـــدْوى بينْـــه فيقطعُهـــا عمْـــداً ليسلم ســـائرهْ
فكيف تراه بعـد يُمنـاه صـانعـاً بـا ليـس منـه حين تبـدو سرائرهْ

☆ ☆ ☆

وقد أحقت قوله بقولي وفيه معنى جيد ونصه :

اذا المرءُ لم يحفـظ كرامـة خلّـه وأضحى للّـوم بـالعنـاد مجـاهرهْ
يحـلّ لـه في شرْعـة المجـد قطعُـه وعـاذلُـه في ذلـك القطع عـاذرهْ
وإن قـال ان القلب منـه يحلّـه يُكـذّبُـه في ذلـك القول ظـاهرهْ

☆ ☆ ☆

وقد ذكر شيخنا القطب الغوث الجليل السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خـزام الصيـادي الرفـاعي الحسيني الشهير بـ(الرواس) ـ عطر مرقـده ـ في رسـالته المسماة (واردات الغيب) بيتين لسيدنا ومولانا الإمام السيد أحمد الرفاعي الحسيني ـ رضي الله عنه وعنا به ـ ونصهما

إن كان لي عنـــد سُليمى قبـــولْ فـــا أبـــالي مـــايقـــولْ العـــذولْ

أطمـــــــــع أن ترضى لأني على حُبّي لها عنـدي شهودٌ عُـدولُ

☆ ☆ ☆

قلت : وبعد أن ذكر شيخنا البيتين المذكورين ، قال هو ـ رضي الله عنه ـ ما نصه :

شهودي الصـــدقُ على حُبّهـــا ودمعـــةٌ تسقي فجـــاجَ الطلـولْ
ولـوعـــةٌ يعرفهـــا أهلُهـــا مُحْرقـــةٌ لـــولا انهلالُ السيـــولْ
لـــذاك أدنتني بـساطـــانهـــا لـــدنتهـــا مـــا بين كل القفـولْ
وقفتُ في حضرتهـــا زاهيـــا لم أدْرِ للفرحـــة مـــاذا أقـــولْ
نقلتُ قبل الوصول عنها الرضا وتمّ حكم الـوصـل بعـد الـوصـولْ
الحمـــــــد لله المرجّى أنى وصحّـــح الله تعـــالى النقـــول

☆ ☆ ☆

قلت وإشارات شيخنا ـ رضي الله عنه ـ للذات المقدسة المحمدية ، وفيها رمز يُعرب عن مد اليد النبوية الزكية للحضرة الجليلة الرفاعية ، وهنا قلت ملحقاً مع الفخر والشرف قول شيخنا ـ رضي الله عنه ـ بقولي :

لقـــد حكى الهـــديُ عن جـــده رمـــوزَ أسرارٍ تُطيش العقـــولْ
بـــالفروع قـــد علتْ رفعـــةً قد شاكلت بالطول شأن الأصولْ
منهم بهـــاء الـــدين صـــدر الحمى علاّمـــةُ الـوقت القـؤول الفعـولْ
سلطانُ أهل الحـال غوث الورى والصـــادق الموثـوقُ فيما يقـولْ
بحر من العرفـــان مـوجـاتُـــه في كل برٍّ بـــالمعـــاني تجـولْ
وسيـــدٌ رحْبُ ذراع لـــــه دانتْ لإحراز القبـــول الفحـــولْ
يـــاليت شعري هـــل أراني ولي في بـــابـــه الرحْب المعلّى مَثـولْ
أُقبّـــلُ الأرض بـــــذاك الحمى بخشيـــــة ودمـــعٌ عيني سيـــولْ

أذُرُّ في العين ثرى قبره ... ويا بعيني تُرْبٌ تلك الطلولْ
ما أطيب الوقفة في بابه ... وفي لوجدي واشتياقي ذهولْ
هذا هو القصد وكلُّ المنى ... عسى المنايا عنه أن لاتحول

☆ ☆ ☆

وما أعذبَ قول الحسن بن هاني في الإمام علي الرضا رضوان الله عليه وسلامه :

قيل لي أنت أشعر الناس طُرّاً ... في المعاني وفي الكلام النبيه
فلماذا تركت مدح ابن موسى ... والمعاني التي تجمّعن فيه
قلت لا أستطيع مدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيه

☆ ☆ ☆

فأحقت قوله بقولي : والفضل بيد الله :

إنّ مدح الرضا عليّ لعمري ... يفخر المادحُ المفاخرَ فيه
هو من عترة النبي إمامٌ ... يتذكر الله موقناً رائيه
كعبة الأمن مهبطُ الروح جبريل أمين الرحمن بيتُ أبيه

☆ ☆ ☆

وقد روى بعضهم عن أبي نُواس الحسن بن هاني مثل هذه الأبيات في مدح أهل البيت المحمدي ونصها :

قال لي قائل رأيتك تهوى ... آل طه وداتها تجتنبهم
كان فرضاً عليك تستغرق المد ... ح جميعاً فيهم وفي من يليهم
قلت ماذا أقول والكون طُرّاً ... يشهد النوال من نادبهم
أنا لا أستطيع أمدح قوماً ... كان جبريلُ خادماً لأبيهم

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي مفتخراً ومتشرفاً بمدح الآل الكرام على جدهم وعليهم السلام ، ونص قولي :

آلُ بيت النبي أقطارُ فضلٍ ... نَشْرُ ذاك الكساء قد يطويهم
عترةُ المصطفى ودون نزاعٍ ... طَويتْ سائرَ المفاخر فيهم
لم يحبْ في الدارين مخلص قلبٍ ... راح في كشف حادثٍ يرتجيهم
فبهم بدل وقبلهم بأيهم ... أشرق الكون بالهدى وأبيهم
ربهم في العلا اصطفاهم وحكماً ... وافق الله كل من يصطفيهم

☆ ☆ ☆

ولشيخنا ـ رضي الله عنه وعنا به ـ وهو في غاية الحُسن :

قد تدّعي رُتبة القوم الذين علوا ... يا كاذباً غرّة الأسماءُ والنسبُ
هذا أبو لهب في حكم رتبته ... لو صح منهاجه المرضيّ قيل أبُ
قد أسقطته على وعْرٍ قطيعتُه ... بغيّه وانطوى في صدره الحسبُ
فتابع القوم لاتترك طرائقهم ... ولْيُصْلح الشأنَ منك الدينُ والأدبُ
فنهجُ المرء يُدرى من عوامصه ... وبِرُها صدقةُ الممدوحِ والكذبُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي بقولي والأمر لله :

لم ينفع القولُ في أمرٍ بلا عملٍ ... وكلُّ شيءٍ له في حكمه سببُ
صحائفٌ في خزانات الغيوب لقد ... صِينَتْ وقد نُظِر الألواح والكتبُ
تباين الصدقُ والزور القبيح كما ... عرقاً تباينت الأعجام والعربُ
أقول هذا لفرق النوع معترفاً ... بأنه الدين عند الكامل النسبُ

☆ ☆ ☆

وما أعذب قول شيخنا رضي الله عنه وعنا به :

لازمْ أُولي الذوقِ أربابَ الفهوم وخذْ ... من علمهم مُذعناً كلّ الأقانين
ولا تقل ذاك من بدوٍ ومن حَضَرٍ ... قد يوجدُ الوردُ في غير البساتين

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله متشرفاً بقولي :

يخف ميزانُه بالكذب إن ثقلتْ ... بالصدق للقوم كلّياتُ الموازين
أقواله لغطٌ في اللفظ مبرزةً ... قول الدُهاة وأفعالُ الجهانين

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا الإمام الرواس ـ رضي الله عنه وعنا به ـ من كلامه :

العقل يثبتُ بالأفعال إن شرفت ... وإنما المرء يُعلى العمر بالخُلق
فربّ شخص غلا سعراً كجوهرة ... ثمينة منطوٍ في درعه الخَلق
وربّ لابس درعٍ ذرُّه يققٌ ... وذاته كتُراب ذرّ في الطُرق

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي الغالي بقولي والله المعين :

خذْ صاح بالخُلق المرضي منزلةً ... عند الكرام ففضلُ الناس بالخُلق
فكم فتى حسن الأخلاق ساد بلا ... مالٍ فضمّ العُلى في ثوبه الخَلق
كذلك الخُلق الممدوح كامنُه ... كالمسك ينفحُ منه طيّب العبق

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا الإمام الرواس ـ رضي الله عنه وعنا به ـ من كلامه العالي :

يمّ ذوي الحقّ واعرف شأن رُتبتهم ... لم يُدمج العطرُ في كلّ الرياحين
في الخلق كالناس لكن في خلائقهم ... طوّرَ الملائك عن آثار تمكين
لله دلوا وقد عزّوا بشام بهم ... ذلّ المساكين في عزّ السلاطين

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت مفتخراً متشرفاً قوله المبارك بقولي وفيه إبداع :

يامن وهنا بكم والوجدُ هيّمنا ... فلا نُفيق لتعداد الأحسابين
غبنا بكم وانقطعنا في محبتكم ... عن الأجلاّء طُراً والمساكين
متى جُبنا بكم قُلنا بفخرة ... (مالذّة العيش إلاّ للمجانين)

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا الإمام السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي ـ رضي الله عنه وعنا به ـ من كلامه العالي المبارك ما نصه :

نبتهج إذ يأتي بشيّ اللقا ... يا منْ أقمتم في رياض النّقا
قد أبعد الخطّ المدى بيننا ... والبينُ شيءٌ من دواعي الشقا
إن صحّ ما قال البشير الذي ... بشّر من بعد القلى باللقا
فُتنا له أرواحنا للفنا ... فيكم وفي هذا الفناء البقا
وذا على بارئنا هيّنْ ... كم عثم بعد باللقا أدرقا

☆ ☆ ☆

فألحقت كلامه المقدس المبارك بقولي ، والمدد من الله :

يا سادة دمعي زباهم شفى ... والعينُ إلاّكم فلن تعشقا

قيّدني الوجدُ باعتابكم ... ولم أرُمْ والله أن أطلقا
قد خالفتُ في اللب من هجركم ... لهفتي الأحمر والأزرقا
الله كم تنثرُ عيني بكم ... دُرًا ثمينًا نوعُهُ مُنتقى
أضرُّنا يا قوم هذا القلى ... بالله جودوا لحظةً باللقا

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا ـ رضي الله عنه ـ من كلامه الأشرف ما نصه :

نباهي بكم يا أهل (أمّ عبيدة) ... صنوفَ رجال الله والحقُّ ظاهرُ
بأخلاقكم تزهو العبائرُ كلما ... أفيضتْ ويزدان الحمى والمنابرُ
لكم خضعت بعد البين التي اخجلت ... قبائلُ أصحاب الوغى والعشائرُ
يزاحمنا من مُدّ بالوهم ظلّه ... ودونَ مدانا بالسموّ الزواهرُ
تعالتْ لأصحاب اليمين أكُفنا ... بعهدٍ عليه قد غقدْن الخناصرُ
فمن لنا العزُّ المطلسم كنزُهُ ... فما النّبْزُ شيء عنده والجواهرُ
لإنْ حسد الأكفاءُ شامخ مجدنا ... فقد تحسدُ الحسناء ميُّ الضرائرُ

☆ ☆ ☆

أقول : أورد شيخنا ـ رضي الله عنه ـ في مدحه الذي ذكرناه خطابه بصيغة الجمع إعظاماً لشأن الإمام الأكبر السيد أحمد الرفاعي ـ رضي الله عنه وعنا به ـ وقد تشرفت بإلحاق قوله العالي بقولي ، والعناية من ولي التوفيق والهداية ، وهنا نص قولي :

لك اليوم يا مهديّ أبناء أحمدٍ ... مقامٌ له تعنو الفحول الأكابرُ
تفرّدتَ في الأقطاب يا باهر السنا ... فنورُك وضّاحٌ وصيتك عاطرُ
إشاراتك الفيّاضة العلم بحرها ... بأنواع آيات الحقائق زاخرُ

وأنت لنا ذخرٌ نسأل بـه المنى ... اذا كثرتْ للكانزين الذخائرْ
أبوك أبو العباس شيخ الحمى الذي ... به لاذ كُبّارُ الوحى والأصاغرْ
إمام عمد اليد من قبر جده ... تفرّدَ والبرهان كالشمس ظاهرْ
وأنت ابنه المندوب في كل حضرة ... على اثره والفرعُ للأصل صائرْ

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا ـ رضي الله عنه ـ من كلامه الشريف ما نصه :

خلِّ الرياضةَ وارْضَ في محبتنا ... يامنْ يروم من المحبوب إحسانا
والزمْ طريقتنا وافهم حقيقتنا ... إنْ نلتَ من واردات الغيب عرفانا
فاللهُ في عالم القدس المنيع عُلاً ... على دوائر أهل الله ولأنا
تعطي وتمنع والأقدارُ تعفتنا ... فضلاً وعينُ رسول الله ترعانا
ونحن في الدرة الكبرى بحضرته ... قنا على عزه الشطّاع نرهانا
من رام في عصرنا من غيرنا مدداً ... فما البعيدُ ويدنو لو تولانا
كنا قضى اللهُ والأحكام سابقة ... وإنْ طغى خَصْمُنا ظلماً وعُدوانا
يمضي على الوهم مقهوراً بحسرته ... والله يقضي كما يرضي الذي كانا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله العالي الغالي بقولي ، والفضل لله :

يا سيدي يا بهاء الدين أنتَ لنا ... رُكنٌ بـه يَعْمُرُ الرحمنُ أركانا
إنا تبعناك يا شيخ الوجود على ... طريقةٍ قد جلتْ نوراً وإيمانا
لما اقتدينا بك ازدانت محاضرنا ... والبعدُ ظاهرنا والله أعطانا
طويتَ فينا براهينَ الطريق فلم ... نحتجْ إذنْ بعد هذا الطي نرهانا
عرّفتنا بعد تنكير ألمّ بنا ... وعزمك النبويُّ الحال أعلانا

فـأنت غـوثٌ بـإذن الله كم علنـاً أطفأتَ من حادثاتِ الدهر نيرانا
وكم رفعتَ وضيعـاً فـارتقى وسما بـالعلم والحـال بهرامـا وكيـوانـا
ونحنُ كيف انطوتْ في الدهر بارزةً على طَريق بهاء الـدين مـولانـا

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا ـ رضي الله عنه ـ من كلامه الشريف ما نصه :

أجـلِ الطرف فـالبرايـا مرايـا واعتبرْ بعـدُ في مرايـا البرايـا
وتـدبَّرْ صُنـع الإلـه ومـا قـدْ بَثَّ في الكون من خبايا الزوايا
وإذنْ تُبصر المعـاني رقـاقـاً ولعمري كم في الـزوايـا خبـايـا

☆ ☆ ☆

وقد أحقت قوله اللطيف الشريف بقولي ونصه :

جـلَّ من في الأثـار أبدى الخفـايـا وارتضى لـلأعـمال منّـا النـوايـا
أبرزتْ مُضْمَر الخفـايـا النـوايـا ولعمري إن النـوايـا مطـايـا
وبطيُّ التراب في حَفْرِ القـبـا ع سـواءٌ أمْـازعـا والرعـايـا

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا رضي الله عنه وعنا به :

بـرّان في الحُكم إيجـادٌ وإفقـادُ ومنـه نـوعـان تقريبٌ وإبعـادُ
تخـالفـا انطـويـا في العلم وانتشرا في الحُكم والطَّرْز إصـدارٌ وإيرادُ
فـالعلم في قِـدَمٍ والحُكم في حَـدَثٍ مـاقـام عنـه ولـلأضـداد أضـدادُ

☆ ☆ ☆

وللشريف عيسى الحسيني المعروف بموتم الأشبال[٦٦] ـ قدس الله روحه وطيب ضريحه ـ ونصه :

الى الله نشكـوا مـانـلاقي فـيانـنـا نُقتَـلُ ظلمـاً جهرةً ونُخـافُ
ويَسْعَـدُ أقـوامٌ بحُبّهمُ لنـا ونَشْقى فهم والأمر فيـه خِـلافُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي ، وحسبي الله ، وكفى بالله :

عجبتُ لأهـل البيت بعـد جـلالهم أُخيفوا جزاءَ الطيبـات فخـافوا
وقـد أثقـلَ الأعبـاءَ واقرُ فيئهم ومنـه فهم صِفْرُ الأكفّ خِفـافُ
يـوالـون خلـقَ الله لله إنمـا عليهم بكاسـاتِ الحِمـام يُطـافُ
أفـاضـوا القـوى في المسلمين وإنهم من الهمّ والكرْب المُلِمّ ضعـافُ
لذلـك فـالـدنيا على كل صورةٍ تُـذمُّ وتُقْصى بعـدهم وتُعـافُ

☆ ☆ ☆

وحسن قول السيد محمد الفخري رحمه الله وهو :

الى الدّنيّ أرى الدنيـا الـدنيـة لا تـزالُ تُـدني وتُقْصي كل ذي شَرَفِ
وطبعُهـا كان هـذا في شبيبتهـا فكيفَ وهي غَدتْ تُعْزا الى الخَرِفِ

☆ ☆ ☆

---

(٦٦) عيسى بن زيد :

عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ثائر من كبار الطالبيين كنيته أبو يحيى ويلقب بموتم الأشبال . قيل لبوة فقيل له : أيسرك أشبالها . فقال : نعم أنا موتم الأشبال . فكان لقباً له . ولد ونشأ بالمدينة المنورة وكان أعلم أهل زمانه وأورعهم وأسخاهم وأشجعهم صحب محمد بن عبد الله (النفس الزكية) وأخاه ابراهيم . ولما خرج محمد في أيام المنصور العباسي ثائراً بالمدينة المنورة ثار معه عيسى فكان على ميمنته . ولما قتل محمد وابراهيم اجتمع رجالها فلم يجد فيهم ما يمضي به الأمر فتركهم وتوارى واستتر الى أن توفي سنة ١٦٨ هـ : من الأعلام للزركلي

وقد أحقت قوله بقولي ، والله المعين :

تَبّا لدنيا رأتْ إزعاجَ من شَرُفتْ ... أعراقُـــه سُنّـــةً عن غير مُقْتَرَفِ
تُرضي أخـا سَرَفٍ أطرافُـــه خَبُثَتْ ... وقد تُسيء الشريفَ الطاهرَ الطرفِ
وترتضي كلَّ خِبـلٍ لاخـلاق لـــه ... طيشاً وتُهْمِلُ جَحْجاحاً من النحفِ
في الأمر سِرٌّ تُرادُ البـــاقيـــات لمنْ ... زكتْ مغـــارسُـــه والسر غير خفي
فـارجعْ الى الله لا تطلبْ به بـدلاً ... واخضع لسلطـانه الأعلى ومنه خَفِ

☆ ☆ ☆

وفي (جلاء القلب الحزين) لشيخ الإسلام الإمام السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي[٦٧] ـ رضي الله عنه ـ من حكمياته المباركة قوله :

أذانُ النـــاسِ حين الطفـلُ يـــأتي ... وتـــأخيرُ الصَّلاة الى الـوقـــاة
يُشيرُ بـــــــأن عُمر المرء شيءٌ ... كما بين الأذان الى الصـــــــلاة

☆ ☆ ☆

وقد أحقت كلامه العالي بقولي :

عجيءُ الطفـــــل حين يجيء معنىً ... لمن يـــدري يـــدلُّ على الـوفـــاة
فـإن حسُن العُبـورُ فـذا التـوالي ... ســـواءٌ في الحيـــــاة وفي المماتِ

☆ ☆ ☆

وله رضي الله عنه وعنا به أيضا :

ولـو أنَّ لي في كلِّ يـوم وليلـــةٍ ... بـــاط سليمـانٍ ومُلـكَ الأكاسرة
لما سَوِيتْ عندي جناحَ بعوضـة ... اذا لم تكن عيني لـوجهـك نـاظرة

☆ ☆ ☆

---

(٦٧) تقدمت الاشارة الى ترجمه برقم (٨)

فألحقت كلامه العالي بقولي وحسبي الله :

لعمرك أسرار البـــــواطن كيفما ... لخافتْ لدى أهل البصائر ظاهرة
وكلُّ شؤون الحادثات بأسرها ... عن العلم بالحُكم المؤيَّد صادرة
فسَلِّمْ اذا دبَّرْتَ فيه راضياً ... بأحكامه إذ قدرةُ الله قاهرة
ولا تنتصرْ قلباً بغير جنابه ... فما خاب في الدارين من كان ناصرهْ
وعفِّرْ له منك السريرةَ إنها ... سرائرُ أصحاب الحقيقة عامرهْ

☆ ☆ ☆

ولسيدنا الإمام الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ هذان البيتان بجدِّه الإمام الحسين الشهيد سلام الله عليه :

شققْتَ جيبي عليك شقاً ... وما لجيبي أردتُ حقا
لو كان قلبي مكان جيبي ... لكان للشَّقِّ مستحقا

☆ ☆ ☆

فألحقت كلام سيدنا ـ رضي الله عنه ـ مفتخراً متشرفاً بقولي والأمر لله :

لله كم قد فقْتَ رِقّاً ... من قلب مضنىً قد ذاب عشقا
خِفْتَ يا بدرَ أهِ لو مَنْ ... يهواك يفنى وأنتَ تبقى

☆ ☆ ☆

ولي (واردات الغيب) لشيخنا الإمام الرواس ـ رضي الله عنه وعنا به ـ من كلامه المبارك :

المرءُ يسعى ولغير الـــذي ... يسعى له الأقدارُ قد تجدُّهْ
عليه أن يسعى وماذا إذنْ ... عليه إن خالفه يغلبهْ

وليحترفْ للرزق لا كـــــــــلاً يقـولُ رزقُ المرء قـــد يطلبـــهُ
يجرّدُ الهمـــةَ للسّعي والأقـــدارُ قـــد تُبـــدي الـــذي تكتبـــهُ

بين طريـــــــق الأمر والـسر لا يـــزل من بينهما مـــذهبُـــهُ
هنـــالـــك الـلائم لم يزمـــه بلـومـــه والعقـلُ لا يتعبـــهُ
والحكم لم يـــأخـــذه سلطـــانـــه ولم يُكـــدّرْ بـــالهـوى مشربـــهُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت كلامه الشريف بقولي والمدد من الله :

لكل معنىً حكـــمةٌ حَكَمَهـــا يُفصـــحُ عن فحـــواه إذ تطّلبـــهُ
تقرؤهُ لكن على غفلـــــــةٍ منّـــا وفي أوراقنـــا نكتبُـــهُ
يتّقـــدُ منّـــا حين نجرى على أرائنـــا من غـــوره سَبْتَـــهُ
مشْعَبُنـــا في الشرق يسوم السُّرى والغربُ والهف النُهى مشْعَبُـــهُ
والسرُّ من مضمـــونـــه ظـــاهرٌ يُبْعـــدهُ الفهمُ وقـــد يُقْربُـــهُ
ليسعى الفتى للرزق لكنـــــــه إيمـانُـهُ بـالغيب قـد يصحبُـهُ
وإنمـــا الإيمـــانُ نـــور الفتى كالليل يجلو عتْمَـــه كـوكبُـهُ

☆ ☆ ☆

وحسن ما أورده الإمام الحَوَيْني ـ رحمه الله ـ ليبعضهم وحكمته صريحة ، وهو :

أرى عهـدكم كالـورد ليس بـدائم ولا خير فيمن لا يـدومُ لـه عهـدُ
وعهـدي لكم كالأس خُـلْـسا وبهجـةً لـــه نَضْرةٌ تبقى اذا ذهب الـورْدُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قول القائل بقولي ، وأظن أنّ نكتته ألطف والله أعلم :

نقضتم عهـوداً أوجب اللهُ حفظهـا وأكثرتم الـزور الـــذي كلُّـــه زَدُّ

زهوتم بعهد الحسن والزور طبعكم وأقصر شيء يزدهي عهدة السورة

☆ ☆ ☆

ومن كلام غوث الأمة سيدنا الإمام الرفاعي ـ رضي الله عنه وعنا به ـ كما رواه عنه الحافظ الذهبي[٦٨] ـ رحمه الله ـ في تاريخه الكبير :

أغار عليها من أبيها وأمها ومن كلّ من يرنو اليها وينظر
وأحذر من أحد المراة بكفها اذا أبصرتْ منها الذي أنا أبصر

☆ ☆ ☆

فأخذت قوله العالي بقولي :

فؤادي ضنينٌ أن أبوح بسرّ منْ أحبّ ويخشى أن يسه السرُ يخطرُ
اذا كان حرّني وهو قلبي كما ترى له غار فاعلم أنّ كلّي أغيرُ

☆ ☆ ☆

ومن أغرب ماروى له الإمام الذهبي وأعذبه قوله رضي الله عنه وعنا به :

اشتقتُ يا نفس الفلاة فنلغي وطربتُ يا حادي النياق فغنّي
هي تلك دارهمْ وهذا ماؤها فاشربْ ومرّ عليّ إن لم تسقني

☆ ☆ ☆

فأخذت قوله الأطهر بقولي ، والفيض يؤمل من الله ، ولا إله إلاّ الله :

آه لأيام الوصال فإنها تحكي الحياة بلطف طالعها الثني

---

(٦٨) الذهبي :
محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله : حافظ مؤرخ علامة محقق ، نسبته لكثرة مولده ووفاته في دمشق ٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ . من الأعلام للزركلي .

قلبي يطير بطوره لرحـــاب منْ أحببْتهمْ فيـــــودّ أن لا ينثني

☆ ☆ ☆

وحسن قول الشريف الموسوي ـ رحمه الله تعالى ـ ونصه :

اشترِ العزَّ بما بيـ ـع فما العزُّ بغالِ
بالقصار الشَّفْر إن شئتَ أو السمر الطوال
ليس بالمغبون عقلاً مشتري عزٍّ بمال
إنما يُدخَر المـا لُ لحاجات الرجال

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي ، والمنة لله :

لازم الحكمـــة في الأقـــوال طُرّاً والفعـــال
وابتعـــد عن درب طيّـــاش من الحكمـــة خـــالي
لم يُنـــلْ عِـــزٌّ بعَمْ واضح المجـــد وخـــال
بـــــل بعلم وكمال زانـــه حسنُ الخصـــال
وبمـــال صين للبـــذل وإلحـــاف النـــوال
والـــذي يـــزعم بـــالمـــال التعـــالي للمعـــالي
جهـــل المعنى ولم يفهم رمـــوزات الرجـــال
فـــالمعـــالي هي دينٌ لم يَـــدنّس بـــالتغـــالي
وفهـــــومٌ نيّرات ضنّ عن قيـــل وقـــال
وابتعـــادٌ عن أذى النـ ـــاس الأداني والأعـالي
واذا أمكن نَفْـــعُ الـ ـــكلّ في قـــالٍ وحـــال
ولقـــاء الخلْـــق بـــالبشْـ ـــر على غير مـــلال

لا بمـــــال غيـــــره تسرق من جيب الليـــــالي

☆ ☆ ☆

من المعلوم عند أرباب العلم بأخبار العرب وأيامهم أن الحارث بن عباد كان من أحلم الناس في زمانه ولما قتل جشاسُ كليباً اعتزل قومه لأنهم ظلموا بقتل كليب وطال الحرب وتمادى الشر بين تَغْلِبَ وبكر ، وفي كل تلك الحروب يكون الأمر والغلبة لتَغْلِبَ على بكر فلما استحرّ القتلُ في بكر إجتمعوا الى الحارث وقالوا : قد علم الناس كلهم أنك اعتزلت قومك لما ظلموا. فلو أرسلتَ ولدك بجيرا الى المهلهل أمير تَغْلِبَ يقول له قولا طيباً فعسى أن يكفّ عن بكر وتنقضي هذه الحروب والمتاعب . ففعل وأرسل بولده بجير الى المهلهل وقال له قل له : قد علمت أني اعتزلت قومي لأنهم ظلموك وخليتك وإياهم وقد أدركت وترك فأنشدك الله في قومك .

فأتى بجير مهلهلا وهو في قومه فأبلغه الرسالة . فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : بجير ابن الحارث فقتله ثم قال : نَوُّ بشِسْع كليب . فلما بلغ الحارث قتله وما قال له مهلهل حين قتله . أنشد :

قرّبـــا مربـــط النعـــامـــة مني إنّ نَيْـــع الكريم بـــالشِّسْـــع غـــال
قرّبـــا مربـــط النعـــامـــة مني لقحت حرب وائـــل عن حيـــــال
لم أكن من جُنـــاتهـــا علم اللـ ـــــه وإني لحرهـــا اليـــوم صـــال

☆ ☆ ☆

والنعامة فرس الحارث وكان يقال له فارس النعامة ثم جمع قومه وقاتل مهلهلا وقومه وقتلهم فلم تقم لهم بعد قائمة .

وفي الأمرين من سر العدل الإلهي ما فيه بلاغ ولا جرم فإن مصارع

الظلم وخيبة ، والظلم ظلمات يوم القيامة .

وقد أخذت قول الحارث بقولي :

لا تكن ظـــالمـــاً فتبلى بظلم ... وترى مُرْغَماً تتـــاتَ الحـــال
وتـــذكّر جثـــانهـــا وكُليبـــاً ... تلـك حـال فيهـا رياضـةُ بـال
وكـــنّا في مهلهـــل وبجير ... عبرة للعقـــول مثـــلُ العقـــال

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلمات الفيلسوف الإسلامي الفاضل أبي العلاء المعري رحمه الله[٦٦] :

تشتـــاق أيْـــار نفوسُ الـورى ... وإنّـــا الشـــوق الى ورده
تـدعـو بطـول العمر أفـواهنـا ... لن تنـــاهى القلبُ في ودّه
يَسُرُّ أن مُـــدَّ بقـــاءً لـــه ... وكلُّ مـــا يُكرَهُ في مُـــدّه
فحربـة الـدنيـا وأفعـالهـا ... حثّتْ أخـا الزُّهـد على زهـده

☆ ☆ ☆

فأخذت قوله بقولي ، وحسبي ربي :

جـــدُّ الفتى يُفهمُ من وعـــده ... وجـــدّه يُبصر في عهـــده
والشيءُ قـد يتـــاز بين الـورى ... بمـــا يراهُ النـــاسُ من ضـــده
والعقلُ يُـزرى فضلـــه إن يكنْ ... لم يُخْرِج العـــاقـــلَ عن خـــدّه
وزتبـــــةُ المرء وإن أُهملتْ ... تُعرفُ بـــالآثـــار من بعـــده

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا ـ رضي الله عنه ـ ينقل عن جده لأمه

---

(٦٦) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٠٢

عقد مجدنا السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي - رضي الله عنه -[٧٠] أنه أنشد بواقعة يخاطب ابنه السيد حسام الدين - قدس الله روحه - مانصه :

واذا الكلاب تلاوحت أذنابها فأنا أبوك وللسباع حسابُ
مهما تكاثر جيشهم وتعاظموا فهمُ ذبابٌ والذُبابُ ذبابُ
وبناءُ أصحاب التقى فوق البنا وبناءُ أصحاب الضلال خرابُ

ثم قال وصدق الله قوله وأخزى عدوه وأعزّ مجده أليس الله بكاف عبده .

قلت : وقد ألحقت قول شيخ الإسلام السراج المخزومي - رضي الله عنه - بقولي :

إن التُقى منه التوكّلُ والذي يقي التوكلَ لم تزعزعه صعابُ
يحمي بسر اللطف من صدع البلا وتصونه بثؤونها الأبوابُ
تُستغلقُ الأبوابُ دون محمد وبحض لطف تُفتح الأبوابُ
واذا البلاءُ تنزلاً صرع امرء زاكي العناصر دأبه الآدابُ
يرضى عن الباري لغامض حكمة تدري بها الألقاب والألقابُ
فالمنحُ في الغلّبى يدوم وهذه الـ ـدنيا بها هذا الشراب سرابُ
وعن الرضاء الغض قد يبدو الرضا ومحبّبٌ ما يفعلُ الأحبابُ

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا الإمام السيد سراج الدين - رضي الله عنهما - يروي قوله جوابا للقاني ملك بغداد حين وهبه قرايا وردّها عليه :

إني وإن كنتُ ذا عيال قليلُ مالٍ كثير ذيْن
لستعفُ برزق ربي حوائجي بينه وبيني

☆ ☆ ☆

(٧٠) تقدمت الاشارة الى ترجمته ص ٢٨

فأخذت كلامه المبارك العالي بقولي :

يـــا من غرَفْتم صـــدقي لربي ... والصـــدق حقـــاً ديني ودَيْني
أقـــــامني الله حيث يرضى ... فضـــلاً وقرّتْ بـــذاك عيني
ولست أبغي إلاّ رضـــــاه ... آثـــاز ذاتي لـــــه وعيني
قطعت كلي لـــــه اتصـــالاً ... بحبلـــه فـــارغ اليـــدين
لا أبتغي الفضـــلَ من ســـواه ... بكل حـــال لـــو حـــان حيني
وسيلتي المصطفى اليـــــه ... روحُ البرايـــا في المشهـــدين
وحسبي الله في أمـــــوري ... لاتـــدخلـــوا بينـــه وبيني

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا ـ رضي الله عنه وعنا به ـ يروي عن جده دعامة محمدنا الإمام شيخ الاسلام السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي ـ رضي الله عنه ونفعنا بعلومه وبركاته ـ أنه أنشد في محاضرة جليلة ما نصه :

غبتُ عن كلي وعن هـــذا الورى ... بـــكَ يـــا عيني ولـــو أني أمـــوتُ
لم أرَ الـــدنيـــا ولا أطـــوارهـــا ... ولهـــذا فكـــلامي كالـــكـــوتُ
إنمـــا الـــدنيـــا خيـــالٌ عـــارضٌ ... كلُّهـــا وهْنٌ كبيت العنكبـــوتُ
ســـدمٌ في طرز بـــاقي جهـــلِ المُقْتَني منهـــا زمـــوزات الثبـــوتُ
علْمُ مـــا كان لعمري ثـــابتٌ ... والـــذي كان حـــدوثٌ ويفـــوتُ
كلمـــاتٌ طُرّزتْ في لـــوحهـــا ... هي أسماء لعمري ونعـــــوتُ
أنتَ يـــا حبّـــاهُ معنـــاهـــا الـــذي ... قـــام في خـــدْر زوايـــا الملكـــوت

☆ ☆ ☆

ثم قال شيخنا ـ رضي الله عنه ـ وقد ذيّلت قول سيدي الإمام شيخ الإسلام السيد سراج الدين ببيتين من نسيج محاضرته ـ رضي الله عنه ـ وهما :

لـــكَ روحي يـــاحبيـــباً نـــوزة ينجلي في بُرْج ســـــك الجبروتْ
كلُّ روح لم تكن محرابهـــــــا تنزوي القبلـــةُ عنهـــا فتـــوتْ

☆ ☆ ☆

قلت : وقد ألحقت قول شيخي ـ رضي الله عنه ـ ببيتين فقلت :

أشرقتْ منـــك المعـــاني في العُلى وتـــدلّتْ لخفـــايـــا البهمـــوتْ
رحمـــةٌ جلتْ فـــــدارك زَلّتي واغمسْ كلي ببحر الرحمـــــــوتْ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف المعاني ما أورده شيخنا ـ رضي الله عنـه ـ في (واردات الغيب) لجده سيدنا الإمام السيد سراج الدين ـ رضي الله عنه وعنا به ـ ونصه :

بنا حـازتِ الأفكارُ من كلّ فـاضلٍ وشـــأنـــكَ مـــا زلنـــا بـــه نتخيّرُ
وتصْـدر عنـا الخـارقـات جليلـة وعنـكَ فـإنّـا والخـوارقُ نصْـدرُ
فـأنتَ لآيـات النهـايـات مـوْردٌ وأنتَ لغايات البـدايـات مصـدرُ

☆ ☆ ☆

ثم قال شيخنا ـ رضي الله عنه ـ وقد أوردت ثلاثة أبيات من هـذا النسج فقلت :

لـكَ المدُّ الفيّـاضُ فـالكون كلـه ونحن بـــه من طـــاهر الخير نـسكرُ
ولـولاك لم تلمـعْ بـوارقُ كـونـنـا ولا بِرُنـا الكتـومُ في المُلـك يظهرُ
وإنـــك روحُ البـــارزاتِ وشمسُهـــا فـألـوانهـا من نـور شمْـسك تُبْصَرُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قولها العالي بقولي ، والمدد من الله :

إليـكَ إشـاراتُ القلـوب وسيرهـا تغيبُ بمعنـــــــاك الكريم وتحضرُ

جلالُكَ العظمى جلائلُ سرّها بكل زمـــانٍ كالكـــواكب تظهرْ
فيا أكبر الأشياء يعجز مليكها متى لُحتَ قـال المُلـكُ : الله أكبرْ

☆ ☆ ☆

وقال شيخنا ـ رضي الله عنه ـ في (واردات الغيب) وهو له بجده الأعظم ﷺ :

معانيكَ ثابتـة في القلوب فـأنتَ المعـاني بهـا والفهومْ
فمنكَ الإفاضاتُ والمكرمات وعنـك الفهومْ وعنـك العلومْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي بقولي :

إليـكَ تـير قفولُ القلـوب وترسم أسرارهـا في الرسـومْ
فـأنت لها الروح تُعطي الحيـاة وتحيـو بنـور القبـول الهمـومْ

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا رضي الله عنه :

أيـا الـساري زويـدا خـذ فـؤادي وتمهّـلْ
لي بـذاك الحي حبٌّ هـو مقصودي المؤمّلْ
لا تـدعْ قلبي يحـنّ الصـدق خُـذْهُ وتفضّـلْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله العالي بقولي :

آه من قلبي فقلبي خرّقـة العجم مُهمَلْ
عللـوه واعجبـوا منـ ـه عليـلٌ يتعلـلْ
طـال هجر الحب حتى صار آهي منـه أطـولْ

ولشيخنا رضي الله عنه وعنا به :

يـــاقـــومُ قلبي عصـــاني قـــد طـــار مني وحلّـــقْ
فهـــــل سمعتم بقلب بُرْجَ الـسماء تطرّقْ
بين السماء وبين الأرض الـــــذلـــــول مُعلّـــــقْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله العالي بقولي :

فبينْ هـــــو الفجرُ أشرقْ غَرْبَ قلبي وشَرْقْ
ومن مـــزيـــــد بكائي قد صرتُ بالدمع أشرقْ
وبين عـــانٍ وحـــــالٍ بـــالـدمـع حُكمـاً يُفرّقْ

☆ ☆ ☆

ومن كلام الفيلسوف الإسلامي الزاهد أبي العلاء المعري رحمه الله[٢٧١] ما نصه :

عشتُ من أيسر حـــلْ وتشبّهتُ بظلّي
لـت بـــاخـلْ أصـــافيـــك ومـــا أنت بخـلّ
ربمـــا يعتـــــد المرء على العضـــو الأشـــلّ
أيهـــا الـــدنيـــا لحـــاك اللهُ من زبْـــيـــة ذلّ
مـــا تسلّى خلـــدي عنـــك وإن ظنّ التسلّي
إنمـــــا أبقيتِ مني لـــلأحـــــلاء أقلّي
أمس أوديتِ ببعضي وغـــداً تـــذهبي كلّي

(٢٧١) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٠٣

لـــك أوقـــاتي فخليـــ ـني إذا قتْ أصلّي
ودعيني ســـاعـــةً فيـــ ـــك لـولاي الأجـلْ
والصّبا ملـكٌ وقـد يُبْـ ـكى على الملـك الـولّي

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي ، وحسبي الله وكفى

خـلْ عنـك الطيش خـلّ واخضعْ للتجلّي
لاتر الفعـــــــل لغير قـــطّ في عقْـــدٍ وحـلّ
يجْـذبُ الحـظّ سعيـداً للتحلّي بـــــالتخلّي
فيرى الـدنيـــا بعين الـ ـعقـل عن زُهْـدٍ كظـلّ
ويرى السير الى الله بـــــــإخـــــــلاصٍ وذلّ
غـــائـــباً في مشهـــد الـ ـتقـديس عن كل محـلّ
يلْفتُ الهمـــــــــةَ عن كل مَليٍّ ومَقـــــــلّ
والهُ اليـــوم يـــــامن قـــــد درى سرّ التحلي
إن فنّى المرءُ خطـــامَ الـ ـكون من جزءٍ وكُـلّ
هـل غـداً يصحبهـا للـ ـقبر إنْ راح فقل لي ؟

☆ ☆ ☆

وقد كتبَ لي الفاضل الكامل الحسيب النسيب المرحوم عبد القادر قدري أفندي آل القدسي الكاتب الثاني للجناب العالي الملكي مداعباً يشكو من أحد الأحباب الظرفاء أنه أخلف وعده ما نصه :

مـــاذا يقـول سيـــدي وسنـــدي وعُمْـــدتي وركنُ حصن مجـــدي
شيخي الـــذي أقت نفسي عنـــده بصـــدق إخـلاص مقـــام العبـــد
بخلفِ وعـــدي ولا عُـــذرَ لـــه وعهـــدُه عهـــدُ زمـــان الـورد

فـاحكم بمـا ترضـاه يـا سـيدنـا وحُكمـك المعمـول فيـه عنـدي

☆ ☆ ☆

فكتبت له طيب الله ضريحه وروحه :

الى حبيب القلب سـامي المجـد والجِـدُّ جَمّ الجـود زاكي الجـدّ
جـوابٌ مَنْ دقّـقَ في سـؤالـه ليصـدر الحكم بخلف الـوعـد
إن كان عن عـذر صحيـح لم يضر حكمٌ على الحبِّ بنقض العهـد
وإن يكن جـاء بعـذر ظـاهر وخجـل زيّن وردَ الخـدّ
ككـل أو هفـوة عن زلـل فجـازه حـالا بقطـع الـورد

☆ ☆ ☆

ولشيخنا الإمام السيد المهدي ـ رضي الله عنه وعنا به ـ في (ولردات الغيب) ما نصه :

من يَجْمَعْ في همتـه غيرَ لقـانـا لا يامـع في جبهتـه برْقَ سـنـانـا
يتـبـدل في حضرتنـا أسودَ وجـهٍ وجهـاً قمريـاً فنراه ويرانـا

☆ ☆ ☆

وفي قوله العالي إشارة للكرامة التي أجراها الله تعالى على يد عبده ووليه سيدنا الإمام الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ وهي مشهورة الذكر ، معروفة السر ، فإنه مُحِيَ ببركته اسمُ قاصده من ديوان الأشقياء ، وكُتِبَ بفضل الله في ديوان السعداء نص عليها الكثير من العارفين والعلماء العاملين في طبقاتهم وكُتبهم ـ نفعنا الله بهم ـ وقد أخذت قول شيخنا ـ رضي الله عنه ـ بقولي وكل له مقال بنسبة المقام والبون بيْنَ ، بين الجبان والمقدام :

الحبُّ من الحـان كا شـاء سقـانـا بالفضل وأحيـانـا وقد صان حمانا

قمنـــا بيعـــاد لحب في غفلتنـــا بالقرب حبانا وللرحاب دعانا

☆ ☆ ☆

ومن كلام شيخنا ـ رضي الله عنه ـ في (واردات الغيب) مانصه :

من ذا الـذي يرى جمـالَ سيـدي طرفـة عين والـسِّوى أنـاً يرى
يعمى عن الأكـــوان ذو بصيرة يراه عن بُعـد بـأسجـاف الكرى

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت كلامه الشريف بقولي :

سَرَتْ الى الحبِّ القلـــوبُ فجرى من العيـون للهيـــام مـــا جرى
قـد زَمْـزَمَتْ ليـلاً لـــه وإنـــا (عند الصباح يحمد القوم السُّرى)

☆ ☆ ☆

وكتب اليّ أحد أفاضل الفارسيين كتاباً عربياً قال في بعض جُمَلـه مـا نصه : أما سيدي فهو اليوم مظهر السر العلوي ، وبـدر ذلـك البرج المرتضوي ، ورحم الله تاج العارفين الجنيد بن محمد فإنه قال :

رقَّ الـزُّجـــاجُ وراقتِ الخمْرُ فتشـــابهـــا وتشـــاكل الأمْرُ
فكأنَّـــا خمر ولا قـــــدحٌ وكأنَّـــا قـــــدحٌ ولا خمْرُ

☆ ☆ ☆

قلت : وأطال في كتابه ، وأظهر العجب العُجاب من كلاته وآدابه ، فكتبت له بعد كلام :

معنى عليٌّ للسماء عـــــــلا قـد حـاز في سلطـانـه الفكر
إن كان فينـا منـــه لامعـــةٌ في المـاء حينـاً يُطْلِـع البـدرُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فقلت في أمير المؤمنين ، الكرار الأعظم ، سيدنا علي ـ كرّم الله وجهه ورضي عنه وأتحفه بتحياته وسلامه ـ مادحاً وعلى أغصان الافتخار بنعته العالي صادحاً :

عليٌّ مظهر الرحمن مجلى الـــــــد ... نـــوٌ لكل أربـــــاب الفتـــوح
متـــونٌ كالـــه فيهـــا فنـــونٌ ... تعـــالت عن عبـــارات الشروح
أريـــد مـــديحـــه فيطيش فكري ... وأسكر في العبـــوق وفي الصُبـــوح
مليـــكٌ ولايـــةٍ سلطـــان قـــدسٍ ... لـزهـــد قـــام في زَتِّ المـــوح
تقول لـــه يـدهش الوجـد روحي ... أمير المؤمنين قـــدتـــك روحي
وفي هَفـــاتهـــا بـــالـُكر فيـــه ... تَقَلَّبُ في الغمـوض وفي الـوضـوح
نطير لـــــاحـــــة النجف المعلّى ... فعن طربٍ أقـــول : أروحُ روحي

☆ ☆ ☆

﴿ تحفة ﴾

إن نسب سيدنا الإمام الرواس ـ رضي الله عنه وعنا به ـ ينتهي من جهة الآباء للإمام الأكبر السيد أحمد الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ ولأسباطه الأكابر ، النجوم الزواهر ، ومن جهة أمهاته الى الإمام الجليل السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ رضي الله عنه ـ فهو حسيني الآباء حسني الأمهات ، وقد نص على ذلك في (واردات الغيب) وفي الزفرف وفي الكثير من كتبه ، وفي (واردات الغيب) أنشد بهذا المعنى ما نصه :

لأبي سيـــد الرجـــال الرفـــاعي ... رفعتني نظماً عقـــــــــودُ جُمان
وبسلـــك الفخـــار قـــد سلسلتني ... نســـــــة الأم للفتى الجيـــــلاني
فهما كـــوكبـــــا سماء العـــــالي ... وبـــأبنـــاء حيـــدر العلمـــان
وأنـــا الحمـــد لله قـــد قمت بـــدراً ... يكتنفـــاهُ في المطلـع الكـوكبـــان

يستقلُّ البدور مَنْ عاية النظم بأفلاذ أصله الحسان

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي بقولي مادحاً جنابه المكرم :

يا بهاءَ الاسلام والدين يا مَنْ عزَّ في نظم مجده الطرفان
أنت للفخر سُلّمٌ وهذا الدين ذُخرٌ مُجدِّدٌ في الزمان
أنت قطب الوجود من غير ريبٍ وإمام الأُولى أولي العرفان
نُبْتَ عن جدك الإمام الرفاعي وورثتَ السامي الذُرى الجيلاني
أنتَ بين الاثنين كوكب فضل أنبأته درعيها القمران
فلهذا ياشيخ كل البرايا قمتَ فرداً وما لك اليوم ثاني
والإمامان يازعيم الأعالي بك بين السادات يفتخران

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا رضي الله عنه وعنا به :

قفْ أمثيرَ الركب هذا الحمى وعده واسطٌ ذاتُ الرياضْ
عفِّرْ بواديها ومرِّغْ به خدك لاتعبأ بربٍّ اعتراضْ
وادٍ يلوح النُّورُ من نُوْره ويترع الكوثرُ تلك الحياضْ
الله كم من جمع حالٍ به قام بسوق السر دون انفضاضْ
على انكسار زهر آياته تحيها كثرُ العيون المراضْ

☆ ☆ ☆

فألحقت كلماته العالية بقولي وحسبي الله :

نُزْ حادي الركب وخذ مهجتي فانني منك ولو ذُبتُ راضْ
وانزل بها في لابتي واسطٍ حيث الرياضُ الريْضاتُ العراضْ

وقل لكم مهجة عبد صبا بحبكم والحبُّ يا قومُ فاضْ
عام بكم عن غيركم معرضاً عن مُعْرِض بالصادق الحب خاض
وعنكم الإحسان يُرْوَى وبل منكم لعمري كل برٍّ يُفاض

☆ ☆ ☆

ومن لطائف غُرر كلمات شيخ الاسلام السيد سراج الدين الرفاعي المخزومي رضي الله عنه وعنا به قوله :

اذا ما الثوى البرق اليمانيُّ وانطوت شؤونٌ بهذا العتم في نشرها تجري
بكينا فأبكينا النواحي وأهلها وطبنا وقد غنا الى مطلع الفجر
فلم تحضر الألباب منا تولهاً بكم غيبةٌ دامت الى الحشر والنشر

☆ ☆ ☆

قال شيخنا الإمام الرواس ـ رضي الله عنه وعنا به ـ بعد نقله هذه الأبيات الشريفة في (واردات الغيب) ما نصه

فيا غيبةً أعطتْ حضوراً مؤيّداً وفضلاً أفاض النور في السر والجهر
ويا حضرةً لم ينقض الدهرُ عهدها تُثيب الهدى من حيث ندري ولا ندري
تطلعت الأسرار فينا بحكم ما بدا من حضور ضمنه غيبةٌ تجري
فقمنا ولم ندر القيام وطورهُ ولا غوش هذا الكون في البر والبحر
ومن عجب لم تَطْوِ عنا دقيقة ولم نفهم المعنيّ فيها من السرّ
فقف إن ترد فيض الغيوب ببابنا ولا تشتغل قلباً بزيد ولا عمرو
فحالفنا البرُّ الكريمُ أقامنا خوصاً لتجديد الشريعة في العصر
فإن فاض في العصر انهار سحابة بأرض فإن الفيض من سرّنا يَسْري
أجلْ نحن آياتُ التجلي مُبينةٌ فإن غلط القراءُ لم يغلط المُقري

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت كلماته الطاهرة الباهرة بقولي ، والحمد لله على فضله :

رفعنا لكم أبصارنا عن تحققي ... بحكم الهوى نسري على النهي والأمر
ولم نلتفتْ والله يوماً لغيركم ... ولو قُلِّبتْ منا القلوب على الجمر
نموت بكم نحيا بكم كلنا لكم ... عبيد بلا عتق مع الطي والنشر
بحق الهوى والغائبينَ عن السّوى ... أغيثوا دموعاً في محبتكم تجري
اذا الحظ أدنانا اليكم بليلةٍ ... فتلك وفرقان الهوى ليلة القدر
عرفنا بكم والحقّ كنا من النوى ... مُنكِّرةً منا الحقائقُ في الطُّهْر
ولولا أياديكم وموجاتُ بِرِّكم ... غرقنا مع التنكير في لُجج النُّكْر
ألا يا أطباء القلوب بحقكم ... أعيدوا علينا عادة الفضل والبرّ
ولا تقطعوا ياقوم عنا حبا لكم ... فحُبّاً لكم غبنا عن المدّ والجزر
تُشاهدكُمْ منا القلوبُ ولم تزلْ ... مُهيمنةً في الحب تكتم للسرّ
فنوا بكشف الحُجْب عن أعين بكم ... لها أعينٌ تجري بها مرة القطْر
وقولوا : لنا في أيسر الروم فتيةٌ ... يغيثُ النوى فالغوث بالنصر والبُشْر
ولا تهملونا يا كرامُ لنقصنا ... فأنتم لنا عونٌ على نُوَب الدهر

☆ ☆ ☆

ومن مناجات مولانا شيخ الإسلام السيد سراج الدين الرفاعي المخزومي - رضي الله عنه - يرويها بسنده عن جده الإمام الأكبر الرفاعي - رضي الله عنه وعنا به - ونصها

يا من بك حاجتي وروحي بيديك ... أعرضتُ عن الخلق وأقبلتُ اليك
مالي عملٌ صالحٌ أستظهر به ... سلّمتُ لكَ الأمرَ توكلت عليك

☆ ☆ ☆

وهنا قد ألحقت هذه المناجاة الجليلة بقولي مستدراً فيض صاحبها رضي الله عنه وعنا به :

يا من عرعتْ قوافلُ الصدق اليكْ ثم اعتـــدتْ بنير الحـقّ عليـــكْ
إرحم كرمـــــاً ذُلّي واستُرْ زللي حين أراني خـاشعـا بين يـديـك

☆ ☆ ☆

وما أحسن قول عنا المرحوم السيد كاظم أفندي آل خزام الصيادي الرفاعي ـ رحمه الله تعالى ـ في واقعة :

لَبِسْتَ من الـــواد طراز مجـــدٍ تَنَهْ من سنـــا النـــور المبين
ومِسْتَ بـــه بـــأمراط ابتهـــاجٍ وقلتَ إليّ يـــا غمْشَ العيـــون
فـــإني أحـــديٌّ ذو نجـــارٍ (متى أضع العمامـــة تعرفـــوني)

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

ورثتُ السرّيّ عن جـدي الرفـاعي أبي العلمين ذي المجـــد المصـــون
وجللت العلـــــوم بطيّ درعي فـــدرعي صـــار كنزاً للفنـــون
لقـــد عرفتني الأقطـــــار طُراً فليس بضـــائرٍ أن تجهلـــوني
فـطـلـعُ البـــدر يَحْجبُ عن كليـلٍ وتخفى الشمسُ عن عُمْي العيـــون

☆ ☆ ☆

وقال المرحوم السيد كاظم افندي آل خزام رحمه الله تعالى :

لإن شمختْ بنـــا رُتبُ المعـــالي وطَلّـــا النجمَ بـــالهمم الرفـــاعِ
فـــلا عجبٌ فـــإنـــا آل بيتٍ نـــؤول لحضرة الغـوث الرفـــاعي

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي والله المعين :

تَحَـــدَّرتِ المنـــاقبُ من عليٍّ ... لأهـل البيتِ تنزلُ بـــارتفـــاعِ
وأوفرُ قسمـــةٍ منهـــا استفـــاضتْ ... بـزُهرِ الآلِ أبنـــاء الرفـــاعي

☆ ☆ ☆

وللمرحوم كاظم أفندي في واقعة :

أفرط الـواشي ينـــا عن حـــبِ ... لقبـــول الشكلِ ثـــوب التُّهم
لأولي الإنصـــاف قلنـــا كرمـــاً ... قـــابلوا تُهمـــةَ ذا بـــالشّيم

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

يكْنِزُ التُّهمـــةَ زوراً فـــاسقٌ ... ويَغُضُّ الطرف عـــــالي الهمم
إنمـــا الخـوضُ لـــانٌ نـــاطقٌ ... بفم الحُبُّ الـزُّلـــوق القَـــدم
يُبصر الغيبَ بـــــوهمٍ كاذبٍ ... وهـو عن ســـاطعـــة الشمس عمي

☆ ☆ ☆

ومن كلام المرحوم كاظم أفندي آل خزام ـ رحمه الله ـ في واقعة :

بأمْ الأولى أجدادنا (بَرْق) سَلْسَلت ... الى السيد الجيلِّ منّا السلاسلْ
رواها التّراجُ المنتقى في (صحاحه) ... وصاحبُه الوتريُّ فالحبلُ واصلْ
ورثناها أبناءُ الأخ السيد الذي ... اليه انتهت في الأولياء الفضائلْ
ألا هو مولانا الرفاعيُّ منْ به ... تمسّكَ في نهج الطريق الأفاضلْ
أبو العلمين بن الحُسين الذي سما ... سماء المعالي والمعالي دلائلْ
ومَدُّ يد المختار برهانُ طَوْلها ... رفيعٌ لديه يقصر المتطاولْ
وناهيك بالباز الذي طال مجدنا ... به ذروةً ما نالها المتناولْ

أبو صالح شيخ الأكابر وافر الـ ... مفاخر غوثٌ طاهرُ العرق كاملْ
هما العلمان الأطولان ومنهما ... لنا البرُّ والفخر المسلسلُ حاصلْ
يقول ابْنُ ابنِ نسبةُ البنت لم تَفِدْ ... أجَلْ مافما في العد والعقد طائلْ
فقلنا له اهْدِدْ ما اللبيب بسامعٍ ... ولا أنت لو تدري البراهينَ قائلْ
أبونا كريم النبعتين وأمُّنا ... بمفخرها الوضّاح تدري القبائلْ
مسلسلةً أنّانا بأنّةٍ ... من الطرفين المجدُ فيهم يُساهلْ
وفي مدد الجدين قُمنا كواكباً ... تعالتْ ومنها الحاسدُ الخلُ ذاهلْ
كريمان من عليا أبينا وأمّنا ... أقاما لنا ركناً ذُراه الشمائلْ
نُؤيّدنا الأخلاقُ فالصدقُ بُرْدنا ... وأمراطنا أطوازنا والخصائلْ
متى ذُكرتْ أوصافنا لأولي النُّهى اصـ ... ـطفونا ولم يرْتَبْ بذلك عاقلْ

☆ ☆ ☆

فألحقت كلامه اللطيف بقولي ، والله حسبي وكفى :

هو المجدُ إن سامَاكَ بكرٌ ووائلْ ... خصائلُ يرضاها النُّهى وشمائلْ
وعلمٌ وسيعٌ يجذب الناس للهدى ... وطبعٌ كريمٌ طيّبٌ وفضائلْ
وعرقٌ شريفُ النبعتين مؤيّدٌ ... متين اذا ما عارضته الدلائلْ
وإلاّ فحض القول لم ينفع الفتى ... اذا كذّبتْ منه المقالَ الفعائلْ
وكم زاعمٍ مجداً ولا مجدَ عنده ... زعوماتُه الطّلُ الذي هو زائلْ
فقلْ للذي لم يُعْطِ للمجد حقّهُ ... طريقُكَ مزْلاقٌ وزعمك باطلْ
تمسّكْ بنهج المصطفى في طريقه ... فما خاب من في نهجه الحقّ عاملْ
مضى الآلُ سادات الوجود ببائره ... فأعظمهمْ خَطْمٌ لهم ومحافلْ
وقد تبع الأصحابُ نَبْزَ ذرّيه ... فدانتْ لهم أقيالُها والقبائلْ
فقفْ صاح في باب الرسول وكن على ... طريقته والعزُّ والمجدُ حاصلْ

وإن رُحْتَ تَعْزُى للحبيب بنسبةٍ ... لها شرفُ الأخلاقِ والفعلُ كافلُ
فَرُحْ بأمانِ الله من دونِك السُّهَى ... مقاماً وما للآلِ أنتَ مُعادِلُ
نجومُ الهدى آلُ النبي فكلُّهم ... بنَيْكِ العُلَى الأسمى بدورٌ كواملُ
يُطاولهم في ذروة الفخر حاسدٌ ... فيقصُرُ عنهم عزمَةُ المتطاولُ
أولئك قومٌ شرَّف اللهُ قدرهم ... ومساهمٌ بين البرايا عمائلُ
لإن حسدتهم أمَّةٌ ضلَّ رأيها ... فكم حسد النحريرَ للفضل جاهلُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلماتي قولي :

لو قال للمضنى غَزَيِّلُ حاجر ... وجداً على لُعْجِ الهوى بلُ سالا
لهفي لسَوْرةِ فوق وجنتِه ازدهى ... كم قد سقته مدامعي سلسالا

☆ ☆ ☆

وقلت مُذيِّلاً البيت الأول لبعضهم :

(صاحِ إنْ جزتَ الغَرِيَّا ... فاتْبِكِ مولاكَ عليَّا)
سيدَ الأشراف طُراً ... الوصيَّ الهاشميَّا
كم وكم في يومِ عجٍّ ... جزَّ هاماً قَسْوريَّا
كل ذي قلبٍ سليم ... خالصٍ يهوى عليَّا

☆ ☆ ☆

وقلت في الإمام الكرار عليه الرضوان والتحية :

عجباً من قائلٍ حُبُّ علي ... لك داءٌ قلت يا هذا الخلي
قد تطاولت بقولٍ سمجٍ ... أنادِيني في السورى حُبُّ علي

☆ ☆ ☆

ومن إشاراتي القلبية ، في منظوماتي اللفظية المعنوية ، قولي :

مـــآثرُ الأســـلاف إذ تُنْقَـــلُ ... فحيـــدرٌ والـــدتـــا الأفضـــلُ
وجَدُّنا روحُ الورى المصطفى ﷺ ... سر الـوجـود السيـــد الأكـــلُ
ولحن من نبعـــةِ بيتٍ غـــلاَ ... وعن ســواه الـــدينُ لا يُنقـــلُ
وفي ذراري الأنبيـــــاء الأُولى ... لنـــــا الطراز الأكيس الأوّلُ
سلسلة القُـــدرةُ في نظمنـــا ... قـومـــاً بهم رحب العُلى يحْفَـــلُ
قـومٌ ببحبـوحـة دست الهـدى ... لهم لعمري المنبرُ الأطـــــولُ
جـاء الرفـاعيُّ بـأوسـاطهم ... قِرْمـاً لـه أُسْـدُ الشَرى تـذهـلُ
أحمـد شيخ الآل حـامي الحمى ... ذو نسب كالشمس لا تـــأفَـــلُ
إن ذُكِرَتْ أقـوامُ قـوم فـــنا ... مَعْرَفَ القـــوم ولا يَجْهَـــلُ
أبـو اليـد البيضـاء مَنْ ذكرُهـا ... في كل فـجٍّ نَصُّـــة المنـــدلُ
غيْلَمُ[٧٢] علْمٍ موجُـــة حِكمَـــةٌ ... منصـورةُ الأحكام لا تُخْـــذَلُ
وذو كرامـــاتٍ براهينُهـــا ... من وَضْحِهـا شمسُ الضُحى تخجلُ
مـا رام بـالسـوء حمـاه امرءٌ ... إلاّ وأمسى نَفْسُـــه يقْتَـــلُ
تطرقـه الأقـدار صـدامـةً ... بـــأسهـــا من حيثُ لا يعقـلُ
فقلْ لـذي جهلٍ بـأوهـامـه ... رَمَى السُهى أخطـأتَ يـا مَغْفَـلُ
بيت الرفـاعي الرفيع الـذُرى ... في هـامـة البـدر لـه منزلُ
كم رام يستنزلـه سـاقـطٌ ... والنجمُ بـــالأحـــلام لا ينزلُ
آلُ عليٍّ في بروج العُلى ... رغماً لما يهـذو بـه الأسفـلُ
إن غَرَّكَ الإمهـالُ يـا خصمَهم ... كأنـــك المُنِيُّ والمهمَـــلُ
عـــاقبـــةُ الأمر لأهـل التقى ... والآنَ في أهـــل التقى الكَمْـــلُ

---

(٧٢) الغيلم : البحر والماء الذي عليه الأرض . كما في القاموس .

لابـــدْ يشـــوي القهرْ أعـــداءهم ويُمْهِـــلُ اللهُ ولا يُهْمِـــلُ

☆ ☆ ☆

وقد أورد ابن الجوزي ـ قدس الله روحه ـ في المنتظم لأبي الأسود الدؤلي[٣٣] رضي الله عنه ما نصه :

يقـــولُ الأرذلـــون بنـــو قشيرٍ طـــوالَ الـــدهرِ لا تَنْسَى عليـــا
أُحبُّ محمـــدا حُبّـــا شـــديـــداً وعبّـــاســـاً وحـــزةَ والـــوصيـــا
فـــإن يـــك حبُّهم رَشَـــداً أُصِبْـــهُ ولستُ بمخطئٍ إنْ كان غيّـــا

☆ ☆ ☆

فذيلت قوله بقولي هذا :

أقمْتُ على الأُولى حججـــاً صراحـــا بحب المرتضى فنشرت طيّـــا
وطبتُ بـــذكره فشبعت ريـــا وقـــد أدركتُ نشراً عبهريـــا
وقـــد شُغِفَتْ بـــه في الغيب روحي وأحفـــظ عهـــده مـــا دمتُ حيـــا
عليـــه وآلـــه الأعـــلام مني ســـلامٌ مُعْبِقـــاً مسكاً زكيـــا

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلماتي قولي ، والمدد من الله ، وحسبي الله :

طـــال شـــوقي لنـــور طلعتكم أيهـــا الغـــائبـــون عن نظري
يتحلّى لي خيـــالُكُمْ أبـــداً فـــاســـألوا عن خيـــالكم فكري
لا أرى غير شمس مظهركم هي ذاتُ البروج في بصري
أثراً كنتُ والهيـــامُ لكم قـــد محـــاني بـــالعين والأثر
وجـــد القلبُ نـــارَكم فقضى وأضـــاع الهـــوى بكم عُمْري

---

(٣٣) ـــــ ١٧١ ـــــ

يـــا قلبِ أذبتـــه وقـــد ... كان قلبـــاً أقسى من الحجرِ
ســـامـــح الله شـــود أعينكم ... فهي تنضى بيضـــاً من القـــدرِ
وخـــدودٌ لكم لقـــد برزتْ ... كبروز النجـــــوم والقمرِ
قبلكم لا ومحـــد ســـودكمْ ... مـــا رأيتُ الأقـــار في الصُّـــورِ
شُبِّهتْكمْ بـــالحور طـــائفـــةٌ ... وسبقتم للحـــور بـــالحـــورِ
بشَرٌ قـــد جـــلا بنظركمْ ... لَطُفَ طـــوْرِ الأمـــلاكِ في البشرِ
مـــزج الحُسْنَ بِشْرِ طـــالعكمْ ... مـــزْجَ قُلْـــبِ الياقـــوتِ بـــالـــدُّرر
رونـــــق اللطف في شمائلكم ... طرزّه عبرة لمعتبر
وبتلـــك الـــوجـــوه مُـــذْ جَليتْ ... نصُّ والفجر بـــالـــوضـــوح قُري
أيّـــد اللهُ شـــأنكم أبـــداً ... مـــا سقى الروضَ هـــاطـــلُ المطرِ
أو تغنّى القمريُّ في غُصُنٍ ... والصَّبـــا هبّ ســـاعـــةَ السحرِ
وغـــلاكم مـــازال رونقـــةٌ ... يتعـــالى في اليـــدو والحضرِ

☆ ☆ ☆

ومن كلام الشيخ محمد العيـاوي الشيخوني[٧٦] ـ رحمه الله ـ يمدح سيدنا الوالد الماجد ـ قدس سره ـ بقوله :

لنـا بـ (شيخون) شيخ نستفيضُ بـه ... نـور البتول اذا مـا أعْتَمَ الـزمنُ
اذا نعتنـــاه قلنـــا مفردٌ علَمٌ ... وإنْ مدحنـاه قلنـا الـيـد الحَسَنُ

☆ ☆ ☆

يُشير أنه يكتفي عن مدحه الكثير بذكر اسمه المبارك لشهرته بالصلاح والحال والفضل .

---

(٧٦) محمد العياوي الشيخوني : كان رحمه الله من تلامذة الممدوح ومزيد به من أهل الفضل والتقوى والحب الصادق يدل عليه كلامه وله الآن بين الظهرنا أحفاد متبركون ادام الله علينا وعليهم وكافة إخواننا المسلمين سائر نعمه .

وقد ألحقت قوله بقولي :

شيخ الهدى حسن شهم يقدمه ... على الرجال بحق خلقه الحسن
وجود كف جرت من بحره لأولي الـ ... ـحاجات بالنية المرضية المنن
مضى ولم يعرف المحجوب رفعته ... ومثله عز أن يأتي به الزمن

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول بعضهم :

نون الهوان من الهوى مسروقة ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا
ومتى هويت فقد تعبدك الهوى ... فاخضع لجبك كائنا من كانا

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول القائل بقولي :

ألحب يخرس ألسنا قوالة ... فن الهوى لا تستطيع بيانا
أسرار أصحاب الهوى في طيها ... نثرت على أصحابها عنوانا

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلماتي قولي والفضل من الله :

غزيل مر له بصدره ... لؤلؤة تلمع وهو القمر
رمى فؤادي بنبال طرفه ... تعمداً وراح لا يعتذر
فقلت أخطأت أبا لؤلؤة ... بما ارتكبت ما الطعين عمر

☆ ☆ ☆

ومثله قولي أيضا :

رأت جروحي فشة هزأها ... فجد لنصري فدمعت من فشة
قالت : من الخصم لنمضي به ... سيوفنا رغماً لمن يزأة

فقلت : خلّوه وقولوا معي يا قاتل الله أبا لؤلؤة

☆ ☆ ☆

ومن الحِكَم الرشيقة قولي ، والعون بالله :

ما كان لله هو الصوابْ وغيرُه فالخطأُ المعابْ
فالعمل الذي له الثوابْ جزاؤه وغيره العقابْ
ورُبَّ خصمين أمِيٌّ اختصما ولعبت بينهما الحِرابْ
قواحد أضحى هو المغلوب والـ ـثاني فذاك الغالب الهابْ
سطا على المغلوب حتى باد فا لـ ـمعمور من أرجائه خراب
حقّق ترى المغلوب لم يُغلَب وذا الـ ـغالبُ لم يدُم له جنابْ
على الخيال يا أُمَيْمُ اقتتلا كلاهما غايته التراب

☆ ☆ ☆

وقد قلت بسيدنا الإمام الرفاعي رضي الله عنه وعنا به :

أيها الغوثُ أحمد القوم إني مستظلٌّ بظلّ ساحة بابكْ
وأبى الله أن تمسّ سهامُ الـ ـخطب من كان لائذاً برحابكْ
أنتَ يا بضعة الحسين إمامٌ تترامى الأُسُودُ في أعتابكْ
نائباً للنبي قمتَ وجهراً فاح مسك الكساء من أثوابكْ
وأنا ما بقيتُ يا ابن الرفاعي كيف دار الزمانُ عبدُ جنابكْ

☆ ☆ ☆

وقلت مخمّسا كلام سيدنا الغوث السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ الذي تشرف به بمدح روح الوجود ، وسيد كل موجود ﷺ ونصه :

قبل تشخيص صورتي في المرايا قمت عبداً لتاج أهل المزايا

وعلى وَهْنِ همتي بـــالخطـــايـــا مـــا ذكرتُ الحبيب روح البرايـــا
في مقام إلاّ وقد غبتُ عني
فعلى حـــــالتَيْ فراغ وشغـــــل هـــو روحي في طي بَعْـــدٍ وقبـــل
كنز قـــدس متجمعٌ كلُّ فضـــل ليتـــه جـــاد لي بقُبلـــة نعـــل
هي أشهى من ألف جنة عدْنِ

☆ ☆ ☆

الى هنا وقد استراح القلم من تسطير سطور هذه اللطائف والحكم فالمرجو ممن أحرزوا رُتبة الأدب الجزل ، وتصدروا على منصّات العلوم والفضل ، أن ينظر كل منهم الى هذه الحديقة الأنيقة بعين الصفح عن الزلاّت ، والغض عن الهفوات ، فإن الانسان محل الخطأ والنقصان ، والكمال المطلق في النوع الآدمي من خصائص النبي الأعظم ﷺ والله أسأل ، وبجاه نبيه صاحب الوجّه المقبول أتوسّل ، أن يُحسن لنا وللمسلمين الخواتيم ، وأن يشملنا جميعاً ومن تحويه شفقةُ قلوبنا باللطف الخفي والكرم العميم ، وأن يحشرنا امنين يوم القدوم عليه تحت لواء صاحب الخُلق العظيم ، الرؤوف الرحيم ، عليه أكمل الصلاة وأفضل التسليم ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبلطفه تحصل النجاة من الآفات ، ويرتقي العبد الضعيف الى أعلى الدرجات ، وكفى بالله وليّاً ونصيرا ، وصلى الله على سيد مخلوقاته ، وشرف مصنوعاته ، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

كمل تحريره بقلم مصنفه الفقير اليه تعالى محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي الحسيني ثم الخالدي غفر الله له ولوالديه ، وأحسن بدار الجزاء جزاءهم بين يديه ، وكان ذلك في يوم الأربعاء اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجة المبارك أحد شهور سنة ١٣٢٢ هجرية .

﴿ التقريظ الحقيقي ﴾

قد اخترنا من كلام المؤلف رضي الله عنه فصلا من بعض كتبه جعل عنوانه (الحكمة الشرعية) لخصنا منه ما ينوب عن كثير التقاريظ لأن المفاهيم قد تختلف وعلى الأخص فيما بين المتقدمين وبعض المتأخرين والأذواق قد تتباين اذا لم تكن فى زمننا هذا معدومة الوفاق ، أو نادر فيها وجود الاتفاق .

يقول المؤلف السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ تحت عنوان (الحكمة الشرعية) :

قال تعالى ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا ﴾ وهذه الحكمة المنصوص عليها في كتاب الله عز وجل : هي العمل بما شرع الله ورسوله ﷺ وبذلك الجمع بين خيري الدنيا والآخرة ، لأن الله جلّت قدرته جمع لحبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام في شريعته المباركة ما تفرق في شرائع إخوانه المرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من كل ما ينفع البشر في الدنيا ، ويكون سبب نجاحهم في العقبى . فالحكمة قانون إلهي أُضمر في الكتاب العزيز ، فسّره المفسر الأعظم حبيب الله ﷺ وفي تفسيره الكريم مضمرات تحتاج لإلهام رباني ليكون المرء مُحدّثاً كشأن الفاروق الأعظم سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ وبذلك نُعت على لسان المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن فروع المحدثية المعنية بالحديث الشريف أيضاً الفراسة وقد ورد « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » والمتصف بالحكمة يقف مُفيداً مع الشرع . وفي الآثار « الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها أخذها » وفي خبر آخر « استعينوا

على كل صناعة بأهلها ، وأيضا ، اقتلوا الأرض بخبّارها ، وكذا ، أهل مكة أدرى بشعابها ، وفي هذه الجمل الشريفة نكات حكمية ، ولطائف علمية ، رقيقة التبيان ، دقيقة البيان ، دلّتنا على أن نأخذ الحكمة الصالحة من كل من تُعرف عنده الحكمة ، ولا نتجاوز الحد المحدود بهذه النصوص لا بعموم ولا بخصوص !

ومن فروع المحدّثية التي مرّ ذكرها ، وأذيع بلسان الحكمة سرها ، الاكتفاء بما أفاض الله للعبد من علم صالح غير مُستند على تقريظ زيد ، وشهادة عبيد ، من ميت أو حي ، أو بعبيد دارٍ أو جارٍ حيّ ، فإن ذلك من دواعي البطالة ، وآثار الجهالة ، نعم جرت عادة الفضلاء والعلماء ، وسرت سُنّة العقلاء والنجباء بإعطاء الحقوق لأهل المقادير من المؤلفين والمنصفين ، وأرباب العلم المحكم المتين ، بتقريظ كتبهم والثناء عليهم وعطف أنظار أهل الكمال اليهم ، لينتفع بعلمهم المبتدي ، ويشاركهم في العمل الصالح المنتهي ، ولينجذب الى إعزازهم الجاهل ، ويقف فيهم عند حده المتطاول ، وفي ذلك الشأن انقياد لأمر رسول الله ﷺ بنصه الشريف ، أنزلوا الناس منازلهم ، ولقوله تعالى في النهي القطعي ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ ولا بدع فمن خالف الله تعالى فيما نهى عنه ، وخالف رسول الله ﷺ فيما أمر به لم يكن من الحكمة ولا من الدين على شيء ، وبضاعة العلم تجارة صاحبها ، ومآله المحبّ بجيبه لاحتياج الى شهادة أحد ، وما أحسن ما نقله الحافظ ابن الحاج في (أمّ البراهين) عن الإمام الرفاعي رضي الله عنه أنه قال :

كن عـالمـاً وارض بصف النعـال ... لا تطلب الصـدر بغير الكمـال
فـإن تصـدرت بـلا آلـة ... يكـون ذاك الصـدر صف النعـال

☆ ☆ ☆

وفي الحقيقة : الاعتراف من الفضلاء بالفضل للفضلاء دليلٌ صريح على

ثبوت فضيلة الشاهد المعترف بشهادة ماورد في الخبر ، عن الصادق الأبر ، وعن أصحابه الغرر ، وذلك ، إنما يعرف الفضل من الناس ذووه ، وكون إنما أداة حصر وتحقيق فمفهومها يقضي بنفي الفضل عمن لم يعرف الفضل لأهل الفضل فليتدبر . فإن المعنى رشيق المبنى ، وقد تتحد الآراء وتتقارب القلوب بمجرد النظر الى آثار أهل الفضل وإن بعُدت الديار وتباينت الأقطار ، وما ألطف قول سيدنا الإمام الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ بواقعة ونصه :

إن كانت الأجسام نائية ... فقلوب أهل الحق تأتلفُ
يؤلّبُ مختلفيْن قد جمعت ... قلبيها الأقلام والصُّحفُ

☆ ☆ ☆

ولما كانت الحكمة الشرعية برهاناً قائماً على العقول ، ونقوشاً في كل مطلب أبهج الكلام وأشرف النقول ، خصصنا الكلام هنا على الحكمة الشرعية فانها قد استجمعت مطالب الحكماء في كل وضع وضعوه ، وطريق سلكوه ـ انتهى ملخصا ففي هذا القدر ما يكفي ويشفي والله ولي التوفيق .

ولطيف قول بعضهم :

العلم في الرجل الحليم فضيلةٌ ... ونقيصة في الأحمق المطياش
مثلُ النهار يزيد أبصار الورى ... نوراً ويُعشي أعينَ الخفّاش

☆ ☆ ☆

فذيّل سيدنا السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ قول هذا القائل بقوله وهذا نصه :

ومن اقتنى علماً ولم يسلك عاملاً ... سلك الطريق وكان أعجز ماشي
واذا تجرّأ هاتكاً أحكامه ... نقضَ العهودَ وغدُ في الأوباش

☆ ☆ ☆

﴿ تقريظ لطيف ، سبكه سيد شريف ﴾

إنه بحرٌ أمدّه بالدُّر

﴿ وابل حال المؤلف الناظم الأغر ﴾

فمن الرجال الذين هم سادات الناس وحصن أمنهم من ذوي الفضل الذين يعرفون الفضل لأهله ، ويتحاشون مخالفة نهي مولاهم الحكم العدل ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ ويعملون بأمر جدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ وهو القول الفصل ، أنزلوا الناس منازلهم ، وهم أيضاً من سادة الأحرار الذين تحلوا بقول قائلهم :

الحُر من يرعى وداد لحظة ... وينتمي لمن أفاد لفظة

☆ ☆ ☆

منهم سيدنا السيد الأيّد ، الشيخ الجليل ، فرع الدوحة الهاشمية النبيل ، الأديب اللبيب ، واللوذعي الأريب ، ذو الذوق السليم ، النابع من أشرف خيم وعنصر كريم ، السيد محمد بن السيد أحمد الجربلي الصيادي الرفاعي محتداً ، الحلبي موطنا ومسكناً فقد بعث الينا بكلمة رمزية قرّظ فيها وأرّخ عام سطوع بدر هذا السفر العظيم قياما ببعض الواجب المشرّف ، وشكراً لمولاه الكريم المنعم المتفضل المسعف ، واعترافاً بالفضل لمؤلفه ذي الأيادي التي كانت وما زالت ـ وإن كان قد لحق صاحبها بالرفيق الأعلى ـ تهدي الهدي المحمدي لأهل القلوب السليمة وسائر الأمة المحمدية وتتحف ، وهذه لوامع نص كلمته

ـ حفظه الله تعالى ـ التي بعث بها الينا بحروفها تشع نوراً في أفق سماء الانصاف مُحلّقة تتلالا :

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أنزل ماء الفتح على قلوب الأدباء الأخيار ، فأنبتت حدائق أفكارهم أطيب الرياحين وألطف الأزهار ، ليتمتع بشميها كل ذي قلب سليم ، مغتنماً هبات شذا عطرها من هبّات النسيم متمثلا بقول الشاعر الحكيم :

وطيب لا يقاس بأي طيب ... يُحيّينا بأنفاس الحبيب
متى ما شم أنف حنّ قلب ... كأن الأنف جاسوس القلوب

☆ ☆ ☆

ويسائل نسيم الصبح عما حمله من الطيب من ريّا الحبيب الطبيب :

ألا يا نسيم الصبح مالك كلما ... تدانيت منا فاح نشرك طيبا
كأن سُلبى اخبرت بسقامتي ... فأعطتك ريّاها فجئت طبيبا

☆ ☆ ☆

ويخاطب أحبابه مترفاً ، بما قاله المؤلف مقسما :

وأيات الغرام البينات ... شتاكم في الرياح الساريات
متى هبّ الصّبا أهدى الينا ... نوافجه الرقاق الطيبات
شذاً يحي القلوب وليس بدعاً ... فريح الروح باعثة الحياة

☆ ☆ ☆

وأفضل الصلاة من الله العظيم وأكمل التحيات والتسليم على الرحمة العظمى والنعمة الكبرى سيدنا محمد القائل : « إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا » وعلى آله وأصحابه كنوز العلم والأدب ، وسادة العجم والعرب .

وبعد فإن الأخ الكريم والحب العظيم ، الأستاذ السيد عبد الحكيم بن السيد سليم عبد الباسط ـ حفظه الله ورعاه ، وبلّغه ما يتناه ـ قد تكرم بزيارة إخوانه ومحبيه في حلب الشهباء ، البلدة التي أشار اليها مرارا (غريب الغرباء) وكان اجتماعنا به في منزل الأخ المخلص الودود ، السيد محمد بكري داود ، وأطلعني ـ حفظه الله ـ على كنز مدفون وفُلك مشحون بأصناف المعارف والفنون ، وهو كتاب مخطوط من أنفس الكتب الأدبية الصوفية ولا يدع مؤلفه رافع أعلام الطريقة الرفاعية ، العلامة الشهير ، والعارف الكبير ، من عمّت أياديه الحواضر والبوادي ، السيد محمد أبو الهدى أفندي الصيادي ـ قدس الله سره ، وضاعف أجره ـ فألفيته كتاباً تشد اليه الرحال جمع فيه مؤلفه أفضل ما جادت به قرائح الرجال من الحقائق والحكم والأمثال ، ملحقاً ما قالوه : إما بموازنة أو تذييل نفيس ، أو بما يُطرب ويُرقص من التشطير والتخميس ، وسماه (أزهار الحديقة) لما حواه من المعاني الأنيقة واللطائف الرقيقة وهو كما قال الإمام محمد مهدي الرواس في مقدمة ديوانه (قائدة الهمم) : روضة بر بديعة ، قامت بالنسق الإلهي حسب الفطرة في الطبيعة ، هنا جدبلة زرقاء وهنا وردة حمراء ، وهناك سوسن ، وهناك شقيق مُلون ، تأخذ منه عيون العارفين حظ النظرة ، وأفكارهم فائدة العبرة ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

فهو أزهار حديقة العرفان وجنة نُور نَوْرها للمتزهين دان ، ركزت فيه الفصاحة أعلامها ، وضربت فيه البلاغة خيامها ، كلماته أقداح ، ومعانيه راحة الأرواح :

رُبَّ روح بجملـــــة من كـــلام وكـلام للسمع فيـــه مُـــدام

* * *

ولا يخفى أن المؤلف ديدنه كتابة الدفاتر ومحاورة المحابر ، والتصنيف والتأليف وإغارة القلم في كل علم شريف ، وهو القائل :

ولـولا كتـاب لي لطيف كتبتـه ... وشيء من النظم الرشيـق من الشعر
لمـا سكن القلب الخفـوق لبُعـدكم ... ولـو صيّغـوا لي ذا التراب من التبر

☆ ☆ ☆

ومن مؤلفاته هذا الكتاب الجامع لشوارد الآداب والحكم ومدائح النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقد عني السيد عبد الحكيم بنسخه وإعداده للطبع ، ليعم به ـ إن شاء الله ـ الخير والنفع ، فجزاه الله عن المسلمين أفضل الجزاء ، وحشرنا وإياه تحت لواء شفيع الشفعاء ، ﷺ وعلى آله وأصحابه ومتبعيه وأحبابه ، وقد أرّخت طبعه بهذه الأبيات ، وإنما الأعمال بالنيات :

كتـاب فيـه أسرار الطريقـه ... وقـد جمع الشريعـة والحقيقـه
بـه نفحـات أزهـار المعـاني ... لنـا تُهـدى بـألفـاظ رشيقـه
حـوى حِكَماً وأمثـالاً حسـانـاً ... ووعظـاً والتخـاميس الرقيقـه
وتشطيراً وتـذييـلاً لطيفـاً ... بـه إيضـاح أسرار دقيقـه
كأنـك إذ تُطـالعـه بروض ... حـوى أصنـاف أزهـار أنيقـه
أيـا عبـد الحكيم طبعت سفراً ... عظيمـاً فيـه نفـع للخليقـه
وعـام الطبـع أرّخـه أمهـدي ... تمتعنـا بـأزهـار الحـديقـه

٦٠ ٩٦١ ٢١٦ ١٥٨ = ١٣٩٥

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والسلام عليكم وعلى جميع المحبين ورحمة الله وبركاته .

فضيلة الشيخ السيد
« محمد الحربلي الصيادي الرفاعي »

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا تقريظ المحب الصادق الوفي ، الأديب النجيب خادم الرحب المهدوي الهدائي ، الأخ السيد محمد نذير حبوب (الدمشقي الميداني) وافانا بقصيدة نضيدة يُخيم عليها طابع الحب لصاحب التأليف السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي والإعجاب كل الإعجاب بكتابه هذا المسمى (أزهار الحديقة) بل وبكل ما اطّلع عليه من مؤلفات أشياخه الآل الكرام السادة الرفاعية الأعلام ، وليس هو بالوحيد بهذا الإكبار والإجلال لهؤلاء السادة الأبطال بل أمثاله كُثُر ، وكثيراً ما جَلَوا الطروس بوشيّ الحبر ، وجَلَوْا فوق منصات الأسفار عرائس الأفكار الأبكار ، فانظر لما شيّده هذا الإبن البار لمعرفة الفضل لأهله والدلالة عليه وللتذكار ، قال حفظه الله وتولاه :

الله أكبر هذا الفجرُ وافانا ... بسعده ورسول الغيب حيّانا
وتلك بارقة الأقدار قد لمعت ... تبشّر الكون أن الوقت قد حانا
فأقبل الفتح يحوي ضمن طيّته ... سوائد العلم أطباقاً وألوانا
والبشر عاد الينا بعد غربته ... كأنه الغيث لما سحّ أحيانا
وذا نسيم الصّبا تسري نسائمه ... الى القلوب فتهواه ويهوانا
وطاف حولي هزار المجد يسألني ... أما سمعتَ بنظم راق ألحانا ؟
فقلتُ : هاهي (أزهار الحديقة) قد ... عمّ الورى نشرها شيباً وشبّانا
حديقة بكلام الآل قد غُرست ... فأزهرت وجناها بعد وافانا
بقر تبرقع بالتقوى مؤلّفه ... (أبو الهدى) فحباه الله سلطانا
دستورُ فضل تسامى في مقاصده ... ومنهجٌ لأُولي الأبصار قد بانا
سر الفتوح الجلى من بين سبكته ... نهجاً وعلماً وإرشاداً وتبيانا

بستان معرفة إن رحت تبره ... وجدته بعيون الشعر مزدانا
ازهاره ازدهرت في أرضنا ابتسمت ... من شامنا انتشرت زوحاً وريحانا
تفجرت منه أنهار الهدى حكماً ... لها تصيخ عقول القوم إذعانا
يطيب للروح إذ تُذكر نفائسه ... وتترع القلب أسراراً وإيمانا
كالبحر إن غصت في أعماقه انكشفت ... لك المعادن ياقوتاً ومرجانا
هو السمير اذا ما كنت في سَفَر ... وهو الدليل اذا ماكنت حيرانا
هو الضياء لروح غاب فرقدها ... وهو القراح لفكر بات ظمآنا
فخذه للعقل تنويراً وتبصرة ... وللفؤاد اذا ما مَلَّ لقانا
لله در معانٍ منه قد ظهرت ... ظهور شمس الضحى نوراً وبرهانا
أنعم بناظمه أكرم بجامعه ... أعظم بمن قلّدوا بالبذل عثمانا
قد مكّنوا كل فرد من تناوله ... والفضل ايضا لمن يبغيه عجّانا
جزى الكريمُ جميع المحسنين ولاَ ... كا الرسول جزى بالقرب سلمانا[٧٥]
جلّ الإله الذي شاءت مشيئته ... إبراز كنز طواه الدهر أزمانا
فراح بالحب والإخلاص يُظهره ... (عبدُ الحكيم) الذي والاه مولانا
ما قصده أبداً في السعي مرتبة ... ينالها لا ولا شوقاً لدنيانا
ترفّعت نفسه عن كل منقبة ... فكان شهماً وللأخلاق عنوانا
بغار لله لا يرضى اذا انتُهكت ... حدوده ولغير الحق مالانا
عبد الحكيم أيا شيخي ومعتمدي ... إن سامني زمني ظلماً وعدوانا
يا من أخذت طريق المصطفى أدباً ... تبشّه الخلق إسراراً وإعلانا
يامن حملت لواء القوم مدّرعاً ... بالعلم طوراً وبالإخلاص وجدانا

---

(٧٥) رأى أحد العارفين الرسول الأعظم ﷺ في الروضة الشريفة في حياة الشام بعي الحاضر وفضيلة الشيخ محمود الشنقيطي فوق المنبر يخطب في يوم جمعة وقد أخذ خطبته وكان سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما بجنبه جده فقال : يا رسول الله إن الشيخ محمود قام بواجبه ، فقال الرسول ﷺ الشيخ محمود منّا آل البيت .

أحييتَ نهج أبي العرجاء أحمدنا ... شيخ الطريق إماماً بل وسلطانا
وقمتَ في همة الصياد داعيةً ... للخير لم تخشَ في النشار إنسانا
شربتَ حال غريب القوم فانسابت ... منك الحقيقة أبياتٍ وعرفانا
بوركتَ من رجل تسعى لشدته ... أماجدُ الناس أنجاباً وأعيانا
سلكتَ مسلك أهل الله مُلتحفاً ... بحُبهم وإلـه العرش قد صانا
أرادك الله قِدْماً أن تكون لهم ... كما ارتضى فُداة الخلق أعوانا
فكم هجرتَ بحب الله مُنكسراً ... وكم بذلتَ من المعروف إحسانا
جزاك ربُّ الورى خير الجزاء لما ... قدَّمتَ من عمل قد حاز رضوانا
فاهنأ إذن واشكر المولى الكريم وطِبْ ... نفساً وأبشر فإن الأمر قد كانا
أزكى الصلاة مع التسليم نرفعها ... لحضرة المصطفى حُبّاً وإيمانا
محمدٍ سيد الأشراف مَن نزلت ... في حقه آيةُ التعظيم قرآنا
والآل أهل العبا والصحب ما سحرت ... وَرقُ الخمائل ألباباً وآذانا

☆ ☆ ☆

المحب الصادق المحبوب
السيد محمد نذير حبوب

ترجمة المؤلف

السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه وقدس سره

إننا رأينا من الواجب ترجمة المؤلف سيدنا السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه وقدس سره فعلمنا علم اليقين أننا إن ذكرنا ما علمناه عنه من الكمالات والفضائل وحلو الشمائل والآثار التي تركها من علوم ومؤلفات قد بلغ عددها المئات ، ومنشئات خيرية كالمساجد والمدارس والرُبط والتكايا والزوايا في سائر الأقطار والجهات ، ونشر الطريق بشكله الصحيح طبق تعاليم كتاب الله تعالى والسنة السنية في سائر المعمورة ، وذكر نسبه الشريف الشهير الذي هو أشهر وأظهر من الشمس في رابعة النهار ، ورُتبه التي ما فوقها رُتب سواء العلمية المادية أو الروحية المعنوية لظهرنا أمام العارفين الذين يعرفونه حق المعرفة بمظهر التقصير والعجز وضعف المقدرة وضيق الاطلاع وعدم الاحاطة برفيع قدره وعظيم شأنه ، أما عند من يجهله ولا يعلم عنه شيئاً مما كان عليه من الكمالات العلمية والمقامات العرفانية وعند الحسدة الذين لا يرغبون ذكر محاسنه ومزاياه الشريفة بمظهر لا يرغبونه وحملهم على مالو قلناه فيه الى المبالغة والاخبار الخاص وجعله جُزافاً دون أهلية عنده ولا استحقاق لديه لذا أضربنا عن القول واكتفينا بقول بعض من عاصروه وعاشروه ورقبوا خلاله الحمدية بأنفسهم : منهم صاحب (العقود الجوهرية) سليل آل الخطاب الكرام اللوذعي الفاضل أحمد عزّت الفاروقي العُمري الموصلي وهذا نص قوله في السيد المترجم رضي الله عنه :

رجل تدفّق فضلا وعلماً ، وتجشّم فهماً وحزماً ، قد أعارت الصُبا والشمال

لطف نسيمها الى شمائله وطباعه وحُسن أوضاعه ، ودرّت عليه ـ وهو في مهد النجابة ـ أفاويق ثدي العواتك لارتضاعه ، وأعار البرق الى وقّاد فكره سرعة وميضه ، وأهداه زخّار بحر العلوم وتيّار المنثور والمنظوم بسيط طويله وعريضه ، يتوقد ذكاء ، ويترقى بالسنا والسناء ، يلوح على أساريره نور النجابة الهاشمية ، ويفوح من تقاريره مسك الطريقة الرفاعية ، وعبير المحجة الأحمدية :

نور النبوة في أسرّة وجهه ... يُغني اللبيب عن الطّراز الأخضر
تلقاه في ثوب السيادة صدره ... بحر ويقذف من صحاح الجوهر

☆ ☆ ☆

عاشرته فرأيته جامعاً لأشتات المعالي ، وناظماً لمنثور سلك اللآلي ، قد أتقن المعقول والمنقول ، وحوى من كل باب سائر الفصول ، فلله دره من رجل قد أحاط بعلم الباطن والظاهر ، فكانت صدور فهمه لتلك العلوم نعم المصادر لكل وارد وصادر ، فحريّ بأن يُسمّى بذي الجناحين ، طائراً تحت راية أبي العلمين ، فهو المشار اليه بالبنان ، من كل إنسان ، حيث قد تفتحت أكام أخلاقه عن الأزهار الأدبية ، وتأرّجت جونة سجاياه بالنوافح المسكية ، قد بلغ من العلوم منتهاها ، ومن المراتب العلمية أقصاها وأعلاها ، أقلامه إن حبّرت حبّرت ، أو بسطت سطت ، وهمته إن عاونت ماونت ، أو وصلت ما صلت ، أو نوّهت ما وهت :

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

☆ ☆ ☆

وبالجملة فان هذا الذات الكامل الصفات ، قد انطوت فيه محاسن الكمالات

واتسم بأحسن السمات ، قد دوّنت خلفاؤه مُفصّل حاله ، من حَلّه وترحاله ، خصوصاً ما ألفه الفاضل الأديب السيد محمد أفندي بن السيد عمر الحريري شيخ السجادة الرفاعية بـ (حماة الشام) المحمية من ترجمة جناب المولى المشار اليه وسماها (الذيل الجميل) لكتاب السيد المترجَم المسمى (قلائد الزبرجد) وها نحن نذكر منه مختصر ما حرره السيد الحريري نا سجين من بُرودة ما لابد من العلم بـه ، ومطرزين من سندس منقولاته ولطف مقولاته مالا ينبغي الاستغناء عنه بل يلزم الوقوف عليه . وإلاّ فهو أظهر من نار على علم ، وأشهر من تذكُّر جيران بذي سلَم :

أسامياً لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

☆ ☆ ☆

فهو السيد الشيخ أبو الهدى محمد أفندي الصيادي الرفاعي بن السيد الشيخ حسن وادي شيخ الرواق العالي الصيادي ومقتدى الرفاعية بالديار الحلبية ابن السيد علي بن السيد خزام بن السيد الشيخ علي الخزام دفين قرية (حيش) ابن السيد الشيخ العارف حسين برهان الدين بن السيد عبد العلام بن السيد عبد الله شهاب الدين الزبيدي البصري بن السيد محمود الصوفي بن السيد محمد برهان بن السيد حسن أبي محمد الغواص ـ دفين الشام ـ ابن السيد الحاج محمد شاه بن السيد محمد خزام ـ دفين الموصل ـ ابن السيد نور الدين بن السيد عبد الواحد بن السيد محمود الأسمر بن السيد حسين العراقي بن السيد ابراهيم العربي بن السيد محمود بن السيد عبد الرحمن شمس الدين بن السيد عبد الله قاسم نجم الدين بن السيد محمد خزام السليم بن السيد شمس الدين عبد الكريم بن السيد صالح عبد الرزاق بن السيد شمس الدين محمد بن السيد صدر الدين علي بن القطب الجواد سبط الامام الرفاعي مولانا السيد عز الدين

أحمد الصياد بن السيد ممهد الدولة عبد الرحيم بن السيد عثمان بن السيد حسن بن السيد عسلة بن السيد الحازم بن السيد أحمد بن السيد علي المكي بن السيد رفاعة ويقال له الحسن نزيل المغرب ابن السيد المهدي بن السيد أبي القاسم محمد بن السيد الحسن بن السيد الحسين بن السيد أحمد بن السيد موسى الثاني بن السيد ابراهيم المرتضى بن السيد الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام الحسين السبط شهيد (كربلا) ابن الامام الغالب حضرة سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وزوجته المكرمة الزهراء البتول ، بضعة المصطفى خير نبي ورسول :

قوم من الشم الأنوف تورثوا مجد السيادة كابرا عن كابر

☆ ☆ ☆

ولقد وُلد سنة الألف ومائتين وستة وستين لثلاثة أيام خلت من شهر رمضان المبارك بـ (شيخون) من أعمال معرة النعمان وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين ثم شرع بالكتابة فمهر ، وأخذ يتلقى العلوم العقلية والنقلية عن أفاضل الرجال الأعيان فأتقن فنونها كال الأتقان ، وأحسنها كل الاحسان ، ثم تشرف بلبس الخرقة والخلافة الرفاعية من يد والده الطاهر السر ، السيد الأفضل المتقدم الذكر .

وله إجازتان أيضا بطريقتهم العلية الرفاعية الصيادية : فالأولى : لبسها باذن والده من شيخه وابن عمه السيد الشيخ علي خير الله الرفاعي الصيادي شيخ المشايخ بـ (حلب) .

والثانية : من حضرة شيخه الأجل الولي الأكمل مولانا السيد الشيخ محمد بهاء الدين مهدي الشيوخي الصيادي الرفاعي الرواس لبس منه الشرعية والتصوفية فعاد مصحوبا بالسلامة للديار الحلبية ثم قُسم له نشر علم الطريقة

العلية الرفاعية في القسطنطينية مركز الخلافة الاسلامية وعاد منها بنقابة جسر الشغور ثم نقابة الأشراف بحلب وأخذ يترقى بالتدريج الى المراتب العلمية وقلده (السلطان عبد الحميد خان) مشيخة المشايخ في دار الخلافة العلية وألحقه الى رتبة قضاء العسكر التي هي منتهى المراتب العلمية وهو مع هذا لازال عاكفاً على خدمة الشرع والطريق ، بأحسن سلوك وأقوم طريق ، مواظباً على التأليف ، ومشتغلا بغرر التصانيف ، حتى انه ألف الكتب الجليلة الكثيرة ، والرسائل اللطيفة الوفيرة ، وقد انطبع منها الأكثر فجاء ذلك الطبع موافقاً للطبع ، على ألطف وضع ، تركنا تعداد أسمائها لشهرتها فهي مضيئة كالنجوم عند أرباب البصائر والعلوم . وقد أفرد أيضا لترجمته ومدائحه وحُسن منائحه خليفته صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد أفندي الخردجي الدمشقي وسماه كتاب (قطر الندا) وغيره من الأدباء والفضلاء ، ومدحته بالقصائد البليغة أفاضل الشعراء منها ما أنشدته حين تشريفه الى بغداد وذلك بضمن تهنئة القدوم سنة ١٢٨٣ هـ :

أهلا وسهلا بك من ماجد ... مفخرة الذاهب والوارد
فيك زهت بغداد إذ حثتها ... فكنت خير الوفد من وافد
أنت شهاب في سماء العلا ... يتلو سريعاً أثر المارد
من كان من خير أب واصل ... غير قصير الباع والساعد
تصعد للعيّوق آثاره ... من شاكر منها ومن حامد
أنت الذي ترقى الى رتبة ... لا ترتقيها هم الصاعد
فقد تفرست بكم رفعة ... ولت من يكذبني رائدي
فعترة الصياد خصّكموا ... لطفاً به أوهى قوى الصائد
يا أهل بغداد أتاكم فتى ... في ذهنه زجرة الراعد
ذو فكرة وقّادة لم تزل ... تصب أمواهها على الواقدي

قـــــدمت لكن من سطـــــوة ... حرّمت النـــوم على الراقـــــدي
كبـــارق السُحب اذا مـــا أضـــا ... أو كـوكب الصبح الى الراصـــد
نجـــابـــة الـــــادات محصـورة ... فيـــك ولُطف الجـــد والـوالـــد
أبـوك مـولانـــا الـــذي ذكره ... قـد أعضـد الطـارف بـالتـالـــد
قطب لقـــد دارت بـــأطرافـــة ... عيـــة الراكـع والـــســاجـــد
ذاك الرفـــاعي الـــذي فعلـــه ... يعـز في النقـد على النـــاقـــد
كم ركب الليث وكم راكب ... ذلـل من صـولـة مستـأسـد
كف رســـول الله في لثهـــــا ... حـــاز بهـا الفخر على الجـاحـد
قـــد مـــدّهـــا من قبره نحـوه ... لاحت الى الحـــاضر والشـــاهـــد
بـوقف قـــد غص في أهلـــه ... من ســامـد قـد كان أو عـــابـد
فهـــذه مـــنـــدوحـــة لم تكن ... لغير ذاك الكف من عـــاضـــد
فهـل لـــذاك الرحب من وافـــد ... وهـــل لـــذاك الصفـو من وارد
أنت ابنـــه وهـو أبـوك الـــذي ... لم يخـل في الآثـار من حـــامـــد
أبـو الهـدى أنت وفيـك الهـدى ... وبغيـــة النـــازح والقـــاصـــد
نجي من العـــز ثمـــاراً زكت ... كم قـد حماهـا سـاعـد الـذائـد
وغيركم رام لحـــوقـــاً بكم ... كشـــارد يلحـق بـــالطـــارد
بفكرة جـــامـــدة خلتهـــا ... غبأ عمى بـــالبَرد الجـــامـــد
قـد فقـد الرشـد ومـا فـاقـد ... لرشـــده في الأمر كالـواجـــد
يا أهـل هـذا البيت يـا من غـدا ... زنـد عُـلاه ليس بـــالصـــالـــد
ذكراكمـــــوا أشهى الى مهجتي ... من ريـق ذات الشنب البـــارد
قـــد عـــادني من لطفكم نفحـــة ... إذ صلـة المـوصـول بـالعـائـد
ونـــاقص الحب اذا مـــا انتهت ... أدواره عـــاد الى الـــزائـــد
قلبي لقـــد ضيعتـــه عنـــدكم ... فهـل لمـا قـد ضـاع من نـاشـد

عـدا فتـائي بـك عين البقـا وواجـدي ليس كمن فـاقـدي
ولن أبـالي بـالفنـا فيكـفوا أعـائقي في الحب أم قـائـدي
لازلت في رفعـة جـاه عـلا وذكر عـز في الـورى خـالـد

☆ ☆ ☆

ولو أردنا استقصاء مـأثره ، ولطف مفاخره ، لضاق نطاق الأوراق ، وعجز قلم ، عن حصر ما خوله الله تعالى من مزيد النعم ، لازال محروسا ، وبالكارم مأنوسا . انتهى كلام الفاضل أحمد عزت الفاروقي العُمري رحمه الله تعالى .

☆ ☆ ☆

في تحفة تتناسب مع وضع الترجمة ألحف السيد محمد أبو الهدى المترجم ألحف بها ولده الروحي السيد محمد نورس بن السيد محمد وجيه الكيلاني رحمها الله تعالى .

يقول سيدنا السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه :

ولشيخنا (يعني السيد محمد مهدي الرواس) ـ رضي الله عنه وعنا به ـ وديعة منا لولدنا السيد محمد نورس أفندي آل الكيلاني ليتنوّر ويزداد حالاً وإلاّ فنحن لاشيء والفضل بيد الله :

أبـو الهـدى لي روحُ فيـه طـويتُ شـؤوني
نسَفْتُ فيـه طرازي برمـز كاف ونـون
ففيـه كلُّ علـومي وفيـه كلُّ فـنـوني
وحـاذوه غماة تفض بـداء الجنـون

☆ ☆ ☆

ومن الودائع لولدي الروحي السيد محمد نورس من كلام شيخنا القطب الأنفس ذي النَّفَس الأقدس رضي الله عنه وعنا به :

قـــولـــوا لكل عـــــارف وكل حجـــــــــاح ولي
مقـــــالـــــة مني لهـــــا ألف دليـــــل أكـــــــل
أبـــو الهـــــدى روحي التي معنىً جرت بهيكل
وبعـــــــــد طيّ في الثرى أبـــو الهـــدى وجـــه علي
وهـــــذه مقـــــالتي تُحكى لـــــذي نـــــور جلي
اذنتـــــه بقـــولهـــــا لأهلهـــــــــــا فليقلي
بين النبي وعلي معراجـــــه الـــــامي العلي

☆ ☆ ☆

يقول الناشر (أفقر الورى لمولاه) : وجدتُ هذه التحفة على ظاهر (أزهار الحديقة) وتحت الجلد مكتوبة بقلم السيد محمد أبي الهدى رضي الله عنه وحيث ان المؤلف لم يضعها ضمن كتابه بيده لم أدخلها فيه ولكن للمناسبة وضعتها هنا فليعلم .

عبد الحكيم عبد الباسط

☆ ☆ ☆

واستحسن حفيد السيد المترجم سيدي السيد محمد تاج الدين الصيادي الرفاعي ـ حفظه الله ـ أن نأتي بالقصيدة التي تلي هذه الكلمة هي من نظم جده المترجم يخاطب فيها جده الرسول الأعظم ﷺ يصف ما يعانيه من أهل زمانه رغم زهده في دنياهم وحطامها ، وبُعده كل البعد عن زخرفها ومتاعها ، وينسب لنفسه الذنب هضماً لها وتواضعاً وهو الوارث الشريف المحمدي ، الطاهر المطهر التقي النقي ، راجيا أن يكون تحت أنظار جده الشريفة داخلاً في شفاعته الخاصة والعامة وهذا لعمري حاصل لرفيع شرفه ـ إن شاء الله تعالى ـ دون عناء ولا طلب ، ولكن يُعلّم بذلك أتباعه وأحبابه وكل من تشرف بالاطلاع على شيء من سيرته الأدب ، واتخاذ أشرف الوسائل لنجاح القصد وبلوغ الأرب ، والاعتماد كل الاعتماد على كرم الله تعالى وإن تعاطى المرء لغايته ما جلّ وشرف من السبب ، حتى ولو كان في أعلى قمة الحسب والنسب ، قال سيدنا المترجم السيد محمد أبو الهدى رضي الله عنه :

رسول الله ضاق بي الديار ... وأجّ بقلبي المحزون نار
ولي حمل وهنتُ به ثقيل ... ومالي غير ظل حماكَ جار
وهمي يا عريض الجاه أضحى ... كبيراً دونه همي صغار
وحادي عليّ عدوا بزور ... وطاشوا يا ابن آمنة وجاروا
ولي قصص أسطّرها بوزري ... نتيجتها المذلة والصّغار
ولي رأي أقاليه بأمري ... فيغلبه لدئ الاعتذار
ولي ذنب عظيم جلّ منه ... مصابي والعناءُ والانقهار
ومالي في بلاد الروم خِلٌّ ... يواسيني اذا صار المصار
وجُنحي آهٌ والهفي كسير ... ويجبرني اليك الانكسار
فلاحظني بعين العطف إني ... اليك بصوتُ وجهيَ الافتقار
ولا تجعل لغير الله فقري ... اذا ما ثار من خطب أوار

فإن كبائر الآثام مني ... بذيل جنابك العالي صغار
ألا فاسبل عليّ طويل ذيل ... تلوذ بظل رأفته الكبار
وأدركني بغوثك من زمان ... قليلا صار فيه الانتصار
فلي رحم اليك وحسن ظني ... بجاهك لا يُدنسه غبار
أجلّ المرسلين تولّ أمري ... فإني قد تسوّرني اضطرار
بشأني أضر الخلق سوءٌ ... ولا ورق لديّ ولا نُضار
وحولي عيلة وصغار آلٍ ... هم نسب اليك به الفخار
فإن أهملتني لعظيم وزري ... ففي من يا حبيبي يُستجار
تداركني رسول الله يا من ... يُقال بجاهه العالي العثار
وأسعفني ولا تقطع حبالي ... وأنقذني فقد عظم الخُسار
وخذ بيدي ولا تفصم رجائي ... فمثلك لا يذل لديه جار
جعلتُ الليل معنى عرض حالي ... اليك فقل سيرضيك النهار
عسى بجليل قدرك عند ربي ... أرى فرج الصباح له ازدهار
وتُجبر كسرتي ويُسَرّ قلبي ... ويُخذل حاسديّ بما تجاروا
حبيب الله ادركني فإني ... كطير ما لجنحيه مطار
لقد سلبتني الأعداء ريشي ... ولكنّي بطولك لي اشتهار
فلا ترضَ افتضاح حجاب ستري ... ولي بظلال دولتك استتار
أبَ لي في الحمى شيخ كبير ... عراه لفُرقتي ثم انكسار
وكم يدعو بجاهك مستجيراً ... ومن يدعوك متكسراً يُجار
وإني قد دعوتك والخطايا ... لها بخواطري مني اعتبار
وبي خوف من الآثام منه ... على وجهي ذبول واصفرار
أغثني يا عظيم القدر إني ... خؤوف لا يقر له قرار
وأنت يُعزك المولى بنصري ... ولو جفّت لأوزاري البحار

وخـــالقنـــا بتبـــديل التجلي ... يُجلّـــك والضعيف لـــه يغـــار
فـــذنبي ســـد بـــالظلمـــات دربي ... وأنت بنـــور وجهـــك يُستنـــار
فـــأغفني بغـــوثـــك يـــا حبيبي ... فلي في ذمـــة الأيـــام ثـــار
وســـاعفني بمرحـــة وصفـــح ... فـــعـــالي إن كففت الطرف دار
رفعتَ بعـــزك الـــوضـــاح بيتي ... وطـــال لـــه بـــدولتكم جـــدار
فـــلا تهـــدم بنـــاء فيـــك طـــالت ... دعـــائمـــه وطـــال لهـــا منـــار
بـــآلـــك والصحـــابـــة يـــا ابن فهر ... فهم قـــوم صفـــارهمُ كبـــار
وبـــالأتبـــاع والأصهـــار طراً ... ومن لهمُ بنسبتكم فخـــــــار
تـــــداركني بكشف الكرب عني ... ودارك غربتي فلـــك اقتـــدار
وحـــل قيـــود عجـــزي بـــانتهـــاض ... قـــويٌ فـــالهمـــوم لهـــا ابتـــدار
وحـــوّل ذلتي كرمـــاً لعـــز ... وفخر لا يقـــابلـــه دمـــار
وطـــوّقني بـــإيمـــان ومجـــد ... وخير إذ عليـــك بنـــا المـــدار
ففي أعتـــابـــك العليـــا دخيـــل ... وصـــدق الحب لي أبـــداً شعـــار
تلقّـــاني ببشرك وامـــحُ عسري ... بـــإسعـــاف وقـــل حصـــل اليســـار
عليـــــك الله صلّى كل حين ... مـــدى مـــا عـــاقب الليـــل النهـــار
وكل الرســـل والأصحـــاب طراً ... وآلـــك من لهم كرم النّجـــار
وأهـــل الله والغـــوث الرفـــاعي ... سليلك من لـــديـــك بـــه أُجـــار

☆ ☆ ☆